



ومُلحَقٌ بهِ

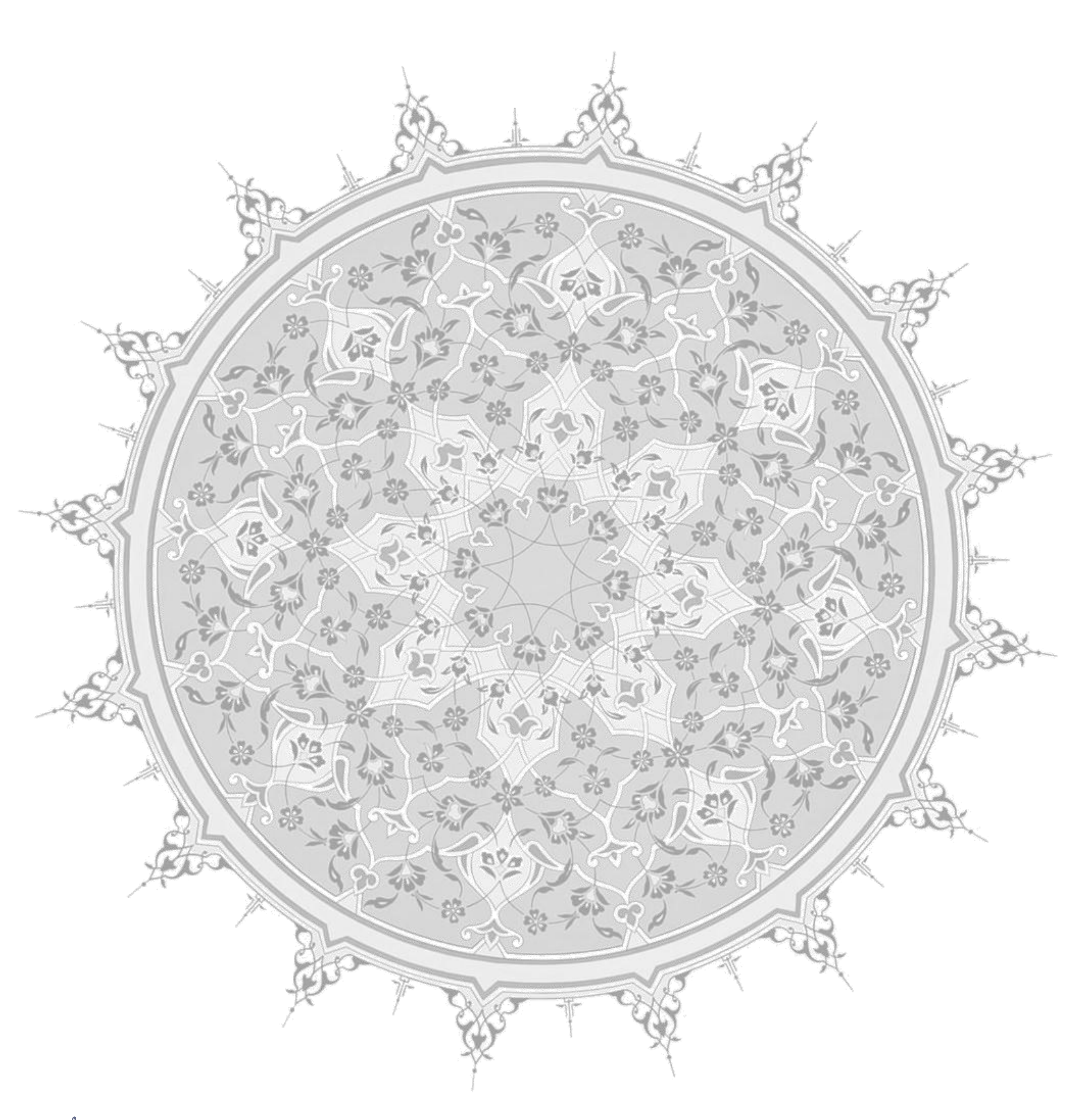
جَدْوَلٌ تفْصِيلِيٌّ لِمُدَرِسِي الحَلَقَاتِ وَطَالِبِي حِفْظِ وَإِتْقَانِ القُرآنِ الكَرِيمِ

تَأْلِيف

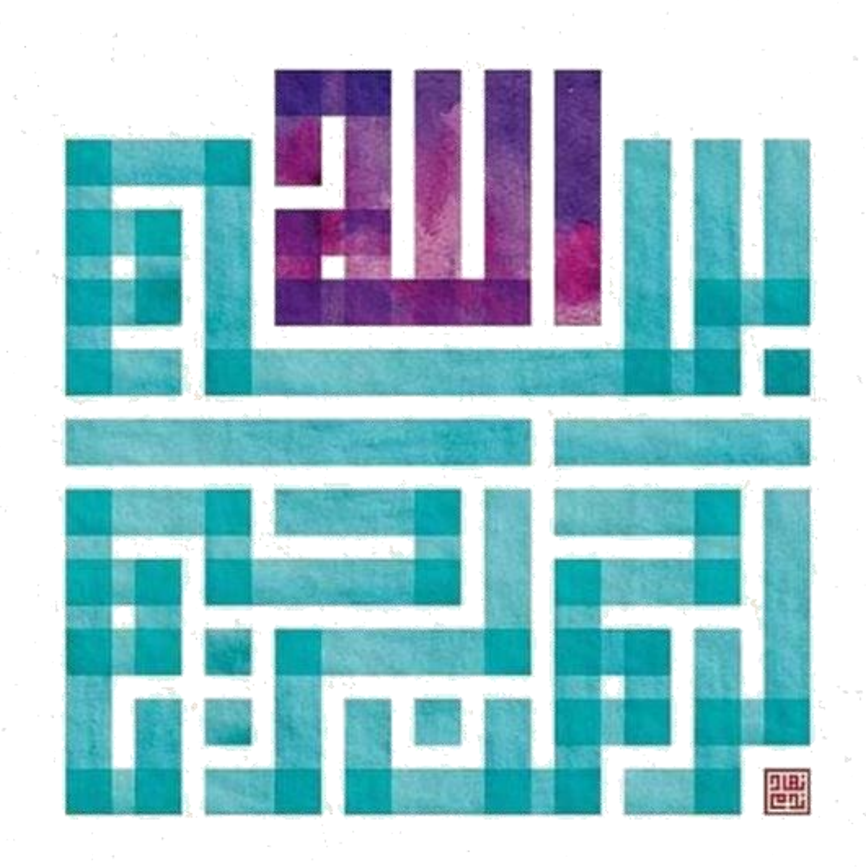
أحمد بن عصام بن عبد الرحمن مخلوف

مُقْرِئٌ بِالْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ وَباحِثٌ فِي الدِّرَاسَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ

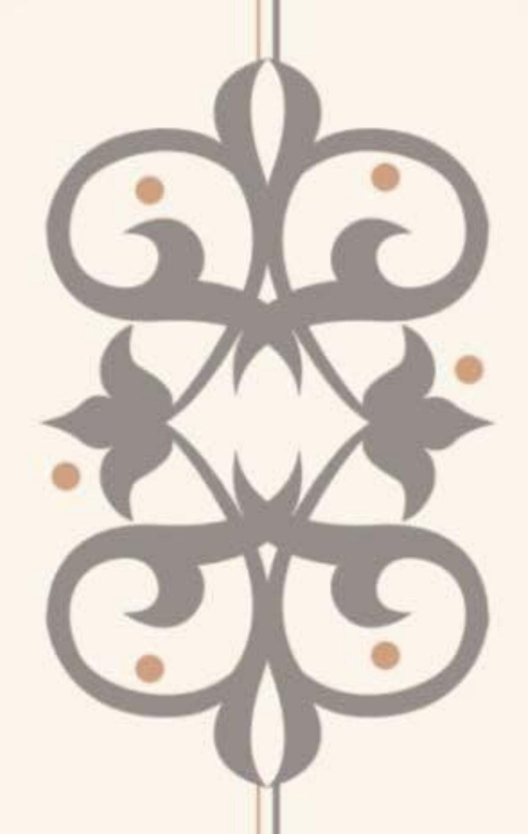
مُدِيرُ مَرْكَزِ غِرَاسِ الرَّاسِخِينَ لِلدِّرَاسَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ



الأُترُجَّةُ النَّدِيَّةُ لِطَالِبِ تَدَبُّرِ وَإِتْقَانِ كَلَامِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ




إهداء





الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة القرآن وأكرمنا بسنة نبيّه العدنان - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم - عليهم الرضوان وارض عنا معهم يا رحيم يا رحمن .. أما بعد :

فقد اطلعت على ما كتبه الشيخ الغالي أبو الليث أحمد بن عصام بن عبد الرحمن مخلوف في هذا الكتاب الجميل الموسوم بـ " الأترجة الندية لطالب تدبر وإتقان كلام رب البرية " فجزاه الله خيراً على ما جمع وكتب وأفاد في التدبر والحفظ والإتقان لكلام الله العظيم وقد وضع في آخر الكتاب جدولاً معدّاً تسهيلاً لمعلمي ومتعلمي القرآن المجيد نفع الله به وبما كتب ووفقه لكل خير .

هذا وأوصي أحبتي حملة كتاب الله أهل القرآن الكريم ومنهم أخي أحمد - صاحب هذا الكتاب- ومن نوى ومن سيحمل كتاب الله بإذن الله تعالى ، أوصيكم جميعاً ونفسي بتقوى الله-سبحانه وتعالى- في السر والعلن ومراجعة هذا الكتاب العزيز وألا يمر يومٌ على أحدنا إلا وقد قرأ ورده من القرآن .

وصلى الله وسلم على خير خلقه وخاتم رسله وخليله ونبيّه وعبده محمد - صلوات الله وسلامه عليه - وجمعنا به في الفردوس الأعلى من الجنة ورزقنا الجبارُ ربُّ العزة النظر إلى وجهه الكريم وجعلنا من أهله وخاصته وقبضنا على ذلك .. آمين .

كتبه خادم القرآن الكريم

علي بن موسى بن علي العسيري

المجاز بالقراءات العشر من الشاطبية والدرة وحفص من الطيبة

صباح يوم الأربعاء ٢٤/١١/ ١٤٤١ هـ





المُقَدِّمَة

الحمدُ للهِ الذي غرز الحِفظ في الأذهانِ، وركَّب آلَته في بني الإنسانِ، وميَّزهم به عن سائرِ الحيوانِ، وخصَّ هذه الأُمَّة بِحفظ أناجِيلها في صُدورها عن النِّسيانِ، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبيِّنا محمدٍ المبعوثِ بالفُرقانِ، إلى جميع الثَّقلَيْنِ مِن الإِنْس والجانِّ، وعلى آله وأصحابِه وأتباعِه ما تَعاقَب المَلَوانِ، وانتَظم في الفَلَكِ الفَرْقَدانِ والحُرَّانِ، وانتَصب في الفَلاةِ السُّبَيْعانِ..

وبَعدُ: فالقُرآنُ الكريمُ هو حبْلُ اللهِ المَتينِ؛ مَن قَرأَه أو حَفِظَه، وعمِلَ بما فيه بِنِيَّةٍ صادقةٍ وقلْبٍ مُتيقِّنٍ، وجعَلَه إمامًا له؛ فإنَّ له جزاءً عظيمًا وخُصوصيةً عندَ اللهِ سُبحانَه وتعالى.

وَلَقَدْ عُنِيَ المسلمون منذ فجر الإسلام، وانبثاق نور الهداية الإلهية على ربوع العالم، بالقرآن الكريم مصدر تلك الهداية، ومنبع ذلك الإشراق، عنايةً كبرى

شمِلت جميع نواحيه، وأحاطت بكلّ ما يتصل به، وكان لها آثارها المباركة الطيبة في حياة الإنسان عامّة، والمسلمين خاصّة، وأفاد منها العلم، وأفاد منها العقل، وأفاد منها الدين، وأفاد منها التشريع، وأفاد منها كلُّ مظهرٍ من مظاهرِ النشاط الفكري والعملي عرفه الناس في حياتهم المادية والروحية.

ولقد زخرت المكتبة الإسلامية من آثار هذا النشاط العظيم، بل زخرت مكتبات أخرى في لغات أخرى وأمم أخرى، بكنوزٍ رائعةٍ يقف العقل أمامها حائرًا مشدوهًا، أمام هذه العظمة التي لا كفاء لها إلا الإقرار بالعجز والخضوع لله تعالى!

ولعلّ مما يدلنا على مدى هذه العناية أنّ الذين فاتتهم القدرة على معالجة القرآن من كافة النواحي العلمية، لم يفُتْهم أن يضربوا بسهمٍ في نواحٍ أخرى، جعلوها مظهرًا من مظاهر عنايتهم، وسبيلًا إلى نيل حظهم من رضا الله وثوابه، فهذا يكتب القرآنَ بخطٍّ جميلٍ، وهذا يزخرف صفحاته وأوائل سوره، وهذا يرقم آياته، وهذا يطرز سجله وغلافه، وهذا يرصد الأموال لتحفيظه، والمكافأة على التبريز فيه، وما زالت المساجد إلى يومنا هذا محتفظة بمظهر من هذه المظاهر

هي تلك المقارئ التي يجتمع فيها القرّاء يتبادلون فيها قراءته وتجويده والاستماع إليه.

لهذا كله أعتقد أني لا أتجاوز حدّ القصد والاعتدال إذا قلتُ: أنه لم يظفر كتاب من الكتب سماويًا كان أو أرضيًّا في أيّة أمّة من الأمم قديمها وحديثها بمثل ما ظفر به القرآن على أيدي المسلمين، ومَن شارك في علوم المسلمين.

ولعلّ هذا يفسر لنا جانبًا من الرعاية الإلهية لهذا الكتاب الكريم الذي تكفّل الله بحفظه وتخليده في قوله:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ٩ ﴾(الحجر: ٩)، فما كان الحفظ والتخليد بمجرد بقاء ألفاظه وكلماته مكتوبة في المصحف، مقروءة بالألسنة، متعبَّدًا بها في المساجد والمحاريب؛ إنما الحفظ والخلود بهذه العظمة التي شغلت الناس، وملأت الدنيا، وكانت منارًا لأكبر حركة فكرية اجتماعية عرفها البشر!

ومن فضل الله علينا في هذا العصر، أنّ الرَّكْبَ سائرٌ لم يقف، ولم يفتر، وأن هذا الروح الكريم ما يزال يسيطر على المسلمين، وينتقل فيهم من جيلٍ إلى جيلٍ، يورثه الآباء للأبناء، وسيظل كذلك -إن شاء الله- حتى يرث الله الأرض

ومَن عليها وهو خير الوارثين.

وهؤلاء هم المسلمون، على تفرّقهم في البلاد والأقاليم، وتفرّقهم في السلطان والنفوذ، وضعفهم المادي أمام دول الغرب، وبالرغم مما غُمِروا به وغُزُوا من علوم متنوعة، وثقافات متعددة ذات ألوان مادية، وأدبية، واجتماعية، وتشريعية؛ لا يزالون يعتصمون بالقرآن، ويدينون بقدسية القرآن، ويتآزرون على خدمة القرآن.

وإنهم ليستشرفون جميعًا لمطلع ذلك اليوم الذي يعود فيه سلطان القرآن فيكون التشريع تشريع القرآن، والأخلاق أخلاق القرآن، والهدى هدى القرآن، ونرجو أن يكون قريبًا.



وكتبه

الفقير إلى عفو ربه

أحمد بن عصام بن عبد الرحمن مخلوف

مقرئ بالقراءات العشر وباحث في الدراسات القرآنية والعلوم الشرعية واللغوية

مدير مركز غراس الراسخين للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية

غرة ذي القعدة ١٤٤١ هـ.

الباب الأول

فضل القرآن الكريم

فَضْلُ الْقُرآنِ الْكَرِيمِ

ما تقولون في فضل كتاب أنقذ الله به أمة من جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، دأبهم السلب والنهب، ومعبودهم الأوثان والحجارة، ودينهم توارث العداوات والأحقاد، لا تعرف من الحق رسماً. نحلتها ما وجدت عليه آباءها، وما استحسنته أسلافها، من آراء منحرفة، ونحل مخترعة، وملل مبتدعة، فأنزل الله عليهم هذا الكتاب فأنقذهم منها به، وانتشلهم به من أوحالها.

ما تقولون في فضل كتاب ختم الله به الكتب، وأنزل على نبي ختم به الأنبياء، وبدين ختمت به الأديان.

ما تقولون في فضل كتاب فتحت به أمصار، وجثت عنده الركب، ونهل من منهله العلماء، وشرب من مشربه الأدباء، وخشعت لهيمنته الأبصار، وذلت له القلوب، وقام بتلاوته العابدون، والراكعون، والساجدون.

ذلكم القرآن الكريم: (كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، فلا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه)[1].

ذلكم القرآن الكريم: كلام الله العظيم، وصراطه المستقيم، ودستوره القويم، ناط به كل سعادة، وحكمته البالغة، ونعمته السابغة.

ذلكم القرآن الكريم: حجة الرسول الدامغة، وآيته الكبرى شاهدة برسالته، وناطقة بنبوته.

ذلكم القرآن الكريم: كتاب الإسلام في عقائده وعباداته، وحكمه وأحكامه، وآدابه وأخلاقه، وقصصه ومواعظه، وعلومه وأخباره، وهدايته ودلالته.

ذلكم القرآن الكريم: أساس رسالة التوحيد، والمصدر القويم للتشريع، ومنهل الحكمة والهداية، والرحمة المسداة للناس، والنور المبين للأمة، والمحجة البيضاء التي لا يزغ عنها إلا هالك...

(1)((الموافقات)) الشاطبي (346/3).

فضل القرآن ومكانته لا يدانيه فضل، ولا تسموا إليه مكانة، فضائل عامة، وفضائل خاصة لبعض سوره وآياته، أكتفي هنا بذكر ومضات من فضائله العامة علَّ فيها المراد.

فضائل القرآن الكريم العامة:

أما فضائله العامة، فقد وردت في آيات عديدة وأحاديث كثيرة الإشارة إلى ذلك، فمن القرآن نهل أصدق الأوصاف لفضله، وأوفاها لحقه، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ (البقرة: ٢)، وهي أول جملة بعد الفاتحة يقرأها المسلم في القرآن، ولك أن تسيح في استكناه المراد بذلك.

ومن فضل القرآن في القرآن: أنَّ عد إنزاله في شهر مزية كبرى لهذا الشهر، فما ظنكم بالمنزل نفسه،قال تعالى:﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ (البقرة: ١٨٥).

وعلق الرحمة عند تلاوة القرآن بالاستماع إليه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

ووصفه بالعظمة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ (الحجر: ٨٧)، وبالهداية: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ (الإسراء: ٩).

وأقسم الله به: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾﴾ (يس: ٢-٣)، وأمر بتلاوته: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ (النمل: ٩١-٩٢).

وبتدبره: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ (محمد: ٢٤)، وذم الذين لا يسجدون عند تلاوته: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾﴾ (الانشقاق: ٢١)، وشهد له بالسلامة من العوج: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (الزمر: ٢٨)، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ

يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١﴾ (الكهف: ١).

بل إنه لكثرة فضائل القرآن تعددت أسماؤه وصفاته، وورد في القرآن كثير من ذلك، وسبق الحديث عن ذلك.

فهل رأيتم فضلاً أكبر من هذا، ومنزلة أعظم من هذه المنزلة، يتبوأ عليها القرآن مستحقاً.

هذا بعض فضل القرآن عند منزله سبحانه وتعالى، أما فضائله التي جاءت على لسان مبلغه عليه الصلاة والسلام فكثيرة، من أجمعها الحديث الذي رواه الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ألا إنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا:﴿ قُلْ

أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝﴾ (الجن: ١-٢)، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم"[2] ،

وروى عبد الله بن مسعود ﵁، عن النبي ﷺ قال: " إن هذا القرآن مأدبة الله، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، وهو النور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما أني لا أقول: ألم حرف،...."[3] .

---

(2)رواه الترمذي (2906) وقال: إسناده مجهول وفي الحارث مقال. وقال ابن العربي في ((عارضة الأحوذي)) (43/6): لا ينبغي أن يعول عليه. وقال المزي في ((تهذيب الكمال)): [فيه] أبو المختار الطائي قال علي بن المديني لا يعرف وقال أبو زرعة لا أعرفه.

(3)رواه الدارمي في ((سننه)) (3315)، قال الذهبي في ((ميزان الاعتدال)) (66/1): [فيه] إبراهيم الهجري [ضعفه غير واحد]. وقال ابن كثير في ((فضائل القرآن)) (46): غريب من هذا الوجه وإنما هو من كلام ابن مسعود ولكن له شاهد من وجه آخر. وروي الترمذي حديثاً بلفظ (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف) وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وصحح إسناده الإشبيلي في ((الأحكام الصغرى)) (901) -كما أشار لذلك في مقدمته -. وقال الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)): صحيح.

ومالنا والإطناب في فضل القرآن ليكفنا - وحسبنا ذلك قول الرسول ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"(4).

فكما فاض فضل القرآن فعم الشهر الذي أنزل فيه فصار أفضل الشهور، والليلة التي أنزل فيها فصارت أفضل الليالي، فقد عم فضله أيضاً على الناس فصار خيرهم من تعلمه وعلمه.

هذا غيض من فيض عن فضل القرآن الكريم عامة في الكتاب والسنة، فإذا كانت هذه فضائله العامة التي هي من خصائصه ، وتلكم منزلته التي ارتضاها له ربنا جل جلاله ، أفلا ينبغي أن نعض عليه بالنواجذ ، وأن نجعله منار سبيلنا ، وقوام حياتنا ، وزمام عقولنا ، وربيع قلوبنا ، وحكم ما بيننا ، وموئل فكرنا ، وعلاج سقامنا ، وعصمة أمرنا. بلى والله إن هذا لبعض حقه علينا ، ندعوا الله سبحانه وتعالى أن ينقذ عباده به ، ويعيدهم إليه عوداً حميداً ، إنه سميع مجيب..

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(4)رواه البخاري (5027).

الباب الثاني

مفهوم التدبر في ضوء القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة

مَفْهُومُ التَّدَبُّرِ

فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَأَقْوَالِ سَلَفِ الْأُمَّةِ

قد كانت لي عناية خاصة بهذا الموضوع منذ زمن ليس بالهين ، وكان أكثر تلك العناية منصبا على التطبيق أكثر من التنظير، لكن لاح لي وأنا أكتب هذه الورقات، سؤال مفاده:

لماذا كل هذا الاهتمام بهذا الموضوع ؟ هيئات ، ومراكز ، وأبحاث ، ودورات ، وكتب ، بينما لا نجد ما يماثل ذلك عند السلف ، هل عندنا شيء ليس عند السابقين، هل فهمنا اختلف عن فهمهم؟

أسئلة قد تدور في ذهن من يتصدى لهذا الموضوع، ولعل من إجابات تلك الأسئلة:

أنهم قوم فهموا المراد ، واهتموا بالتطبيق أكثر من التنظير.

أنهم فهموا التدبر بما يؤول إليه من عمل وسلوك ، فقاموا بذلك ، ونحن اشتغلنا بالتنظير.

ولكن هذا لا يعني أن نترك البحث والنظر، والتأليف، لكنه سؤال لابد أن نستحضره ونحن نناقش هذا الموضوع، حتى لا نسرف في شيء على حساب شيء آخر.

إن التدبر لكتاب الله تعالى هو الغاية التي أنزل من أجلها قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص:٢٩)، وحين نبتغي الوصول إلى مفهوم التدبر وحقيقته فلا بد من الوقوف على الأدلة من القرآن والسنة وأقوال السلف وأحوالهم في تعاملهم مع القرآن وتلقيهم له، ذلك أن أعظم منهج لتدبر كتاب الله تعالى هو منهجهم القويم، وقد كان من توفيق الله تعالى أن وفقني لإدراج هذا المبحث ليكون سلوة للمتلقي الأول للتدبر حول مفهوم التدبر في ضوء القرآن والسنة وأقوال السلف وأحوالهم، والهدف منه تحرير مفهوم التدبر وتحقيقه لكونه من لوازم قارئ القرآن وواجباته، وليتميز عن المصطلحات القرآنية الأخرى، وليكون منطلقاً للمشروع المبارك الذي يهدف

إلى إحياء التدبر في الأمة لربطها بكتاب الله تعالى ليكون منهج حياة وسبيل نجاة بإذن الله تعالى، وهو المأمول سبحانه في تحقيق ذلك.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى قسمين:

القسم الأول: الدراسة النظرية: التأصيل والتحرير.

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية: التحليل والاستدلال.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذه الدراسة خالصة لوجهه، وأن يحقق فيها الحق والصواب، وينفعني بها ومن بلغ إنه سميع قريب مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

القسم الأول: الدراسة النظرية: التأصيل والتحرير

مفهوم التدبر عند اللغوين:

*توطئة:

عند التأمل في هذه الكلمة (التدبر) نجد أنه يمكن أن يحدد مفهومها بالنظر إليها من زوايا عدة، هي المادة التي بنيت منها هذه الكلمة وهي (دبر) وذلك لأن كلمة (التدبر) مصدر للفعل (تدبر) وهو مزيد بالتاء وتضعيف العين، وهذه الزيادة لا بد من استحضارها عند بيان مدلول هذه الكلمة، وذلك من خلال دراسة صيغة الكلمة (تَفَعَّلَ،) كما لا بدَّ من التعرض للصيغة التي وردت عليها الكلمة في القرآن، وهي الفعل المضارع (يتدبرون، يدبروا،) وسر اختصاص هذه الكلمة بالقرآن، دون (التأمل، والتفكر، والنظر) .

أصل التدبر لغة: بالنظر والاطلاع في أقوال أهل اللغة نجد أنها تتلخص في أن أصل معنى التدبر مأخوذ من النظر في أدبار الشيء وعواقبه ونهاياته. [5]

(5) انظر لسان العرب ،273/4التعريفات للجرجاني ص ،167المعجم الوسيط ،269/1 مختار الصحاح ص96.

ومن خلال هذه المحددات رأيت أن أطرق هذا الباب مسهباً محاولاً كشف اللِّثام على النحو الآتي:

أولاً: دلالة مشتقات مادة (التدبر) في اللغة:

بالنظر في معاجم اللغة نجد أن المادة الأصلية لكلمة التدبر هي: (د ب ر) ،وهذه المادة تدل على معان عدة، هي:

١- الذهاب والانصراف:

يقول الخليل (ت ١٧٠هـ): «ويقال للقوم في الحر: وَلَّوهُم الدُّبُرَ والإِدبار، والإدبار التولية نفسها ... وإدبار النجوم، عند الصبح في آخر الليل إذا أدبرت مولية نحو المغرب»[6].

ويقول ابن سيدة (ت ٤٥٨هـ): «دبر الليل والنهار يدبر دبورا»[7]، أي: ذهب وولى.

---

(6)العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، مادة (دبر).

(7)المخصص، ابن سيدة، باب فعلت وأفعلت، 444.

٢- مؤخِّرَة الشيء:

لذا تذكر هذه المادة في مقابل القابل كثيرا، وقد نصَّ على ذلك الخليل بقوله: «دُبُر كُلُ شَيءٍ خلاف قُبُلِهِ ما خلا قولهم: جَعَلَ فلانٌ قولي دَبْرَ أُذُنِه، أي خلف أُذُنه، ودُبُرَ أذنه»[8].

وقد جمع الزمخشري (ت **٥٣٨** هـ) كثيرا من أقوالهم في ذلك، ومما ذكره قولهم: «قبَّح الله ما قَبُلَ منه وما دَبُرَ، والدلو بين قابل ودابر: بين من يقبل بها إلى البئر وبين من يُدبر بِها إلى الحوض، وما بقي في الكنانة إلا الدابر وهو آخر السهام، وقطع الله دابِرَهُ وَغابِرَهُ، أي آخِرَه وما بقي منه، وصكَّ دابرتَه ؛أي: عرقوبه»[9].

٣- النظر في عواقب الأمور وأواخرها: وقد يكون هذا من الدلالة المجازية المنقولة من الدلالة الحسية التي سبق ذكرها، يقول الخليل: «والتَّدبير: نَظَرٌ في عَوَاقِبِ الأُمورِ، وفلانٌ يَتَدَبَّرُ أعجازَ أمورٍ قد وَلَّت صدورُها»[10].

(8) العين، مادة (دبر) .

(9) أساس البلاغة، الزمخشري مادة (دبر) .

(10) العين، مادة (دبر) .

ويقول الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ :) «ويقال: عَرَفَ الأَمْرَ تَدَبُّرًا، أَي: بِأَخَرَةٍ.

قال جَرِير:

وَلَا تَتَّقُونَ الشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَكُم وَلَاتَعْرِفُونَ الأَمْرَ إِلَّا تَدَبُّرَا»[11]

٤- التقاطع والهجران:

يقول الخليل: «والتَّدَابُر: المُصَارَمة والهجْران، وهو أن يُوَلِّي الرَّجُلُ صاحبَه دُبُرَه، ويُعْرِضَ عَنْهُ بِوَجْهِهِ»[12]

٥-التجاوز:

جاء في الأساس: «دبر السهمُ الهدفَ: جازه، وسقط وراءه»[13].

٦- التتبع والتعقُّب:

يقول الخليل: «والدابِرُ : التابع، ودَبَرَ يَدْبُرُ دَبْرًا، أي: تَبِعَ الأَثَر، وقوله تعالى:

﴿ واللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المدثر: 33] ؛ أي: ولَّى لِيَذهَبَ ، ومَنْ قَرَأَ : دَبَرَ ؛ أي:

(11) تاج العروس، مادة(دبر) .
(12) العين، مادة (دبر) .
(13)أساس البلاغة، مادة (دبر) .

تَبعَ النَّهَار..، واستدْبَرَ فُلَانٌ فُلَاناً من حينه: أي حِينَ تولَّى تَبعَ أمرَهُ»[14]، وجاء عند الأزهري (٣٧٠هـ):«قال: ويقال: عقَّبت الأمر، إذا تدبَّرته، قال: والتعقُّب: التدبُّر والنَّظر ثانيةً.

قال طفيلٌ الغنوى:

فَلَن يَجِدَ الأَقْوَامُ فِينَا مَسَبَّةً إِذَا اسْتُدْبِرَت أَيَّامُنَا بِالتَّعَقُّبِ

يقول: إذا تعقبوا أيامنا لم يجدوا مَسَبَّةً»[15]

٧- ريح خاصة:

تُسمَّى بالدَّبور، «وسميت دبورا؛ لأنها تجيء من دُبُرِ الكعبة»[16]

وَهُناك معان أخرى يمكن استنباطها من إيرادهم التدبر تفسيرا لبعض الكلمات، ومن ذلك:

---

(14)العين، مادة (دبر) .

(15)تهذيب اللغة، الأزهري، مادة (عقب) .

(16) جمهرة اللغة، لبن دريد، مادة (دبر) .

٨ - الحرث:

يقول الزمخشري في (**الأساس:**) «وحرثت القرآن: أطلت دراسته وتدبره»(17)

٩- التطفيل:

يقول الزمخشري: «وطفلت الكلام ورشحته: تدبرته»(18)

١٠- الفلي:

يقول الزمخشري: «فليت الشعر: تدبّرته وفتشت في معانيه»(19)

١١- الاقتداح:

جاء في (**الأساس:**) «ومن المجاز: اقتدح الأمر: تدبره»(20)

١٢- التعقل:

«التعقل: التدبر، وتعقلت الشيء تدبرته»(21)

---

(17)أساس البلاغة، مادة (حرث) .

(18)أساس البلاغة، مادة (طفل) .

(19)أساس البلاغة 359/1.

(20) أساس البلاغة، مادة (قدح).

(21) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية (دار الفكر المعاصر

وفي التعريفات للجرجاني: " التدبر: عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب ".

- قال **عبدالرحمن حبنكة**: " التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة ".

- وقال **الدكتور أحمد آل سبالك**: " أما المعنى الاصطلاحي لتدبر القرآن كما ورد في كتب التفسير فهو التفكر في غايات القرآن ومقاصده التي يرمي إليها، ويأتي ذلك بالتفهم والتأمل والتفكر في معاني الآيات ومبانيها ".

- وقال **سليمان السنيدي**: " تدبر القرآن هو تفهم معاني ألفاظه، والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقة، وما دخل في ضمنها، وما لا تتم تلك المعاني إلا به، مما لم يعرج اللفظ على ذكره من الإشارات والتنبيهات، وانتفاع القلب بذلك، بخشوعه عند مواعظه، وخضوعه لأوامره، وأخذ العبرة منه ".

، دار الفكر – بيروت ، دمشق، الطبعة الأولى، 1410هـ) (ج / 1ص 188)

- وقالت الدكتورة رقية العلواني: " والتدبر إعمالُ الذهن والفكر للتوصلِ إلى مقاصدِ الآياتِ وأهدافها، وما ترمي إليه ".

ومن خلال النظر في كل ما سبق نلحظ تقارب المعاني، وأنَّ جُلَّهَا يعود إلى عاقبة الشيء ومؤخرتِه، وقد كفانا ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) مؤونة ردِّ تلك المعاني إلى معنىً كليٍّ بقوله: (دبر) الدال والباء والراء، أصل هذا الباب: أنَّ جُلَّهُ في قياسٍ واحد، وهو آخِرِ الشَّيء وخَلْفُه خلافُ قُبُلِهِ، وتشذُّ عنه كلماتٌ يسيرة نذكُرها، فمعظم الباب أنَّ الدبُرَ خِلَافُ القُبُلِ»[22].

ووجَّهَ ابن فارس كثيراً من الأقوال وفقا للمعنى الذي ذكر فقال: ...« من ذلك: ودبَّرْتُ الحديثَ عن فُلَانٍ ، إذا حدَّثتَ به عنه، وهو من الباب؛ لأنَّ الآخِرِ المحدِّثَ يَدبرُ الأوَّلَ يجيءُ خَلْفَه... وقد دَبَرَ يَدْبُرُ دُبُوراً ، والدَّبَرَانُ: نجمٌ ، سمِّي بذلك؛ لأنه يَدبُرُ الثُّرَيَّا ، ودابرتُ فُلَانَاً : عاديته، وفي الحديث: «لا تَدَابَرُوا ،» وهو من الباب، وذلك أن يترُك كلَّ واحد منهما الإقبالَ على صاحبه بوجهه،

(22)مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (اتحاد الكتاب العرب، 1423 هـ = 2002م)، مادة (دبر).

والتدبير: أن يُدَبِّرَ الإنسان أمره، وذلك أنَّه يَنظُرُ إلى ما تصير عاقبتُه وآخرُه... والدَّابِرِ من القِدَاح: الذي لم يَخْرُج، وهو خلاف الفائز، وهو من الباب؛ لأنه وَلَّى صاحِبَه دُبُرَه. والدَّابر: التَّابع؛ يقال: دبَرَ دُبُورا. وعلى ذلك يفسَّر قوله جلَّ ثناؤُه: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣﴾ [المدثر:33]يقول: تَبِعَ النَّهارَ .. وأما الكلمات الأُخَرُ، فَأُراها شاذَّةً عن الأصل الذي ذكرناه، وبعضُها صحيح»[23].

وبهذا ندرك أنَّ دلالات هذه المادة يمكن أن ترشدنا إلى أنَّ (التدبُّر) يحتاج إلى: التتبُّع للوصول للغايات، وأواخر الأشياء.

وإنما أَورَدتُّ كلَّ ما يخص هذه المادة من معان من أجل الاستقصاء؛ ليمكننا بعد ذلك الخروج بمعنى مناسب لدلالة التدبُّر في القرآن، وفي نظري أن المعاني المذكورة تآزرت بصورة واضحة في دلالة أشرت إليها قبل قليل.

ومع هذا، فأنا لا أرى ما يدعو إلى التعمُّق في البحث اللغوي إلا للمختصين،

(23)مقاييس اللغة، مادة (دبر) .

أما عند مخاطبة الناس بهذا الموضوع، أو التأليف؛ فأرى أن يقصر الأمر على ما يفهمه الناس بسهولة، حتى لا نقيم حدوداً أو حواجز تضيق من مساحة التدبر الواسعة.

وفي رأيي أن عامة المسلمين يفهمون المعنى العام من مصطلح (تدبر القرآن) ، ولهذا فلا أرى مناسبة للتَّوسُّع فيه على ما ذكر، إلا للبحوث المتخصصة، وهذا إحداها.

ثانياً: تحرير العلاقة والفروق الدلالية بين التدبر والمصطلحات القرآنية الأخرى وأيضا بعض مرادفاته من حيث اللغة:-

بما أنَّ التدبُّر لم يُذكر في القرآن إلا مع القرآن، فهذا يعني خصوصية لهذه الكلمة ليست لغيرها ، مما يرى أنه بمعناها مثل: التفكُّر ، والتأمُّل ، والنظر ، والتفسير ، والتأويل،ولهذا رأيت أنَّ مما يمكن أن يُسهم في تجلية معنى التدبُّر وتحديد مفهومه بيان الفروق الدِّلاليَّة بينه وبين هذه الكلمات؛ لإدراك سر اختصاص كل منها بما اختص به.

* الفرق بين التدبر والاستنباط:

يقال في الفرق بين التدبر والاستنباط كما قيل في الفرق بين التدبر والتفسير لأن غرض التفسير والاستنباط واحد هو فهم المعنى وما يدل عليه، فالتفسير في الفهم، والاستنباط في الدلالات، وكلاهما من لوازم التدبر.

- ويضاف في الفرق بين التدبر والاستنباط أمور:

أولاً: بالنظر في أصلهما في اللغة يتبين الفرق بينهما، فالتدبر هو النظر إلى أدبار الشيء ونهاياته، وهذا يدخل فيه الدلالات والنهايات من الانتفاع والاهتداء، وأما الاستنباط فهو استخراج ما خفي، وهذا مقصور في الدلالات.

ثانياً: أنهما يجتمعان في إعمال الفكر والنظر والتأمل ويختلفان في الغرض، فغرض المستنبط العلم بدقائق المعاني والدلالات والهدايات، وغرض المتدبر يتجاوزه إلى قصد الانتفاع والامتثال والعمل.

ثالثاً: أنه يشترط في التدبر قصد الانتفاع والامتثال بخلاف الاستنباط، وإنما يشترط فيه وجود ما يدل عليه في النص.

رابعاً: أن الاستنباط نتيجة للتدبر فهو فرع منه، وذلك أن التدبر هو الوقوف مع الآيات والتأمل فيها فينتج من ذلك الاستنباط.

*** التدبر والتفكر:**

يقول ابن سيده: «الفَكْر، والفِكْر: إعمال الخاطر في الشيء»[24]، وجاء في القاموس: «الفِكْرُ -بالكسر، ويفتح:- إِعمالُ النَّظَرِ في الشَّيء»[25]، وجاء عند ابن فارس: « (فكر) الفاء والكاف والراء تردُّد القلب في الشيء، يقال: تفكرَّ إذا ردَّدَ قلبَه مُعتبِراً»[26]

بينهما تقارب ولذا فقد يجتمعان في شيء واحد فيقال تفكر في الكلام وتفكر في الخلق، والفرق بينهما من وجهين:

أولاً: أن التفكر أظهر في النظر في الآيات الكونية الواقعة والمشاهدة كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ

---

(24) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيدة، مادة (فكر) .

(25) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة (فكر) .

(26) مقاييس اللغة، مادة (فكر).

قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (يونس: 24) ، وهذا غالب استعمال القرآن. وقد يأتي بمعنى التفكر في الآيات القرآنية كما قال تعالى: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (النحل: 44).

- أما التدبر فهو أظهر في النظر في الآيات القرآنية كما قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [المؤمنون:68].

ثانياً: أن التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب ، والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل .. وقد أبان ابن القيم الفرق بين التدبر والتأمل والتفكر والنظر والتذكر والاعتبار والاستبصار فقال:

" هذه معانٍ متقاربةٌ تجتمع في شيءٍ، وتتفرق في آخر: فيسمى تفكرا لأنه استعمال الفكرة في ذلك وإحضاره عنده.

ويسمى تذكراً لأنه إحضار للعلم الذي يجب مراعاته بعد ذهوله وغيبته عنه.

وكل من التذكر والتفكر له فائدة غير فائدة الآخر فالتذكر يفيد تكرار القلب على ما علمه وعرفه ليرسخ فيه ويثبت ولا ينمحي فيذهب أثره من القلب جملة، والتفكر يفيد تكثير العلم واستجلاب ما ليس حاصلاً عند القلب، فالتفكر يحصله والتذكر.

ويسمى نظراً لأنه التفات بالقلب إلى المنظور فيه. ويسمى تأملاً لأنه مراجعة للنظر كرة بعد كرة حتى يتجلى له وينكشف لقلبه.

ويسمى اعتباراً وهو افتعال من العبور لأنه يعبر منه إلى غيره فيعبر من ذلك الذي قد فكر فيه إلى معرفة ثالثة وهي المقصود من الاعتبار، ولهذا يسمى عبرة؛ إيذانا بأن هذا العلم والمعرفة قد صار حالا لصاحبه يعبر منه إلى المقصود به.

ويسمى تدبراً لأنه نظر في أدبار الأمور وهي أواخرها وعواقبها .. وتدبر الكلام أن ينظر في أوله وآخره ثم يعيد نظره مرة بعد مرة ولهذا جاء على بناء التفعل كالتجرع والتفهم والتبين.

ويسمى استبصاراً وهو استفعال من التبصر وهو تبين الأمر وانكشافه وتجليه للبصيرة".

ويظهر من هذا: أنَّ التَّفكُّر هو استخدام للعقل المشار إليه بالنظر والقلب، و من دلالاته الوصول إلى الغايات، والاعتبار بالمشاهدات و ما يماثلها من دلائل القدرة، لذا فإني أري أن الآيات أعم من كونها مسطورة، فهي منظورة ومسطورة، والتدبر يكون في آيات الكون، وفي الآيات المتلوة في آن واحد، ولا يمكن أن تفسر هذه بدون تلك ؛ لأن ذلك هو مجال، وقد أجاد أبو هلال العسكري حين جعل جوهر الفرق بين اللفظين يرجع إلى مقصد كل منهما (العواقب، والدلائل) ، بناء على الفرق المعجمي في دلالة كل منهما ، فقال:

« الفرق بين التدبر والتفكر: أن التدبُّر: تصرُّف القلب بالنظر في العواقب ، والتفكر: تصرف القلب بالنظر في الدلائل»[27]

* التدبر والنظر:

جاء في «العين:» «تقول: نَظَرتُ إلى كذا وكذا من نَظَر العين، ونَظَر القلب»[28] وفي «المقاييس:» « (النون والظاء والراء) أصلٌ صحيح، يرجع فروعه إلى معنىً

(27)الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري121/1 .

(28)العين، مادة (نظر).

واحد، وهو تأمُّلُ الشَّيء ومعاينتُه، ثم يُستعار ويُتَّسَع فيه، فيقال: نظرت إلى الشَّيءِ أنظُر إليه، إذا عاينتَه»[29]

ويتضح من هذا: أنَّ عماد هذه الكلمة (النظر) هو المعاينة التي أداتها العين، وبذا يكون النظر أقرب التفكر منه إلى التدبر، وأرى أن الاثنين (التفكر والنظر) أداتان يمكن أن يوصلا إلى القدرة على التدبر.

* التدبر والتأمل:

يقول الخليل: «التأمُّلُ: التَّثَبُّتُ في النَّظَرِ، قال:

تأمَّلْ خليلي هل تَرَى من ظَعَائنٍ تحمّلْنَ بالعَلْياءِ من فَوْقِ جُرْثُمِ » [30]

وجاء في «القاموس المحيط:» « تأمَّلَ: تَلَبَّثَ في الأَمْرِ والنَّظَرِ »[31] ، وقال ابن فارس: «(أمل) الهمزة والميم واللام أصلان: الأول: التثبت والانتظار، والثاني: الحبْل من الرَّمل»[32]

(29)مقاييس اللغة، مادة (نظر).
(30) العين، مادة (أمل).
(31) القاموس المحيط، مادة (أمل) .
(32) مقاييس اللغة، مادة (أمل).

ويتضح من هذا: أنَّ التَّأمُّل يدور حول التثبت والتلبث والانتظار، ومن هذا الوجه يختلف عن التدبر الذي يراد منه التَّتبُّع حتى الوصول إلى غاية المقصد.

وقد عرَّفه **العسكريُّ** بقوله: «التأمُّل هو: النظر المؤمل به معرفة ما يطلب ولا يكون إلا في طول مدة، فكل تأمل نظر، وليس كل نظر تأمُّلاً»[33]، وقريب منه قول المناوي: «التأمُّل: تدبُّر الشيء وإعادة النظر فيه مرةً بعد أخرى ليتحقَّقَهُ»[34]

* التدبر والتفسير:

قال ابن فارس: « الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُ على بيانِ شيءٍ وإيضاحِه»[35]، وهذا يعني: أنَّ التفسير مبناه على الكشف والإيضاح، ويكون له مرتكز محدد كاللُّغة مثالاً، ولهذا نجد العناية بذكر ما يدل على الإبانة والإيضاح

(33) الفروق اللغوية 543/1.
(34) التعاريف 156/1.
(35)مقاييس اللغة مادة(فسر).

في قول الزَّمخشري في « الأساس »: «وكذلك كلُّ ما ترجم عن حال شيء؛ فهو تفسرته»(36).

الفرق بين التدبر والتفسير ظاهر من وجوه:

أولاً: أن التفسير هو كشف المعنى المراد في الآيات، والتدبر هو ما وراء ذلك من إدراك مغزى الآيات ومقاصدها، واستخراج دلالاتها وهداياتها، والتفاعل معها، واعتقاد ما دلت عليه وامتثاله.

ثانياً: أن المفسر غرضه العلم بالمعنى، والمتدبر غرضه الانتفاع والامتثال علماً وإيماناً، وعملاً وسلوكا؛ ولذا فإن التفسير يغذي القوة العلمية، والتدبر يغذي القوة العلمية والإيمانية والعملية.

ثالثاً: أن التدبر مأمور به عامة الناس للانتفاع بالقرآن والاهتداء به، ولذلك خوطب به ابتداءً الكفار في آيات التدبر، والناس فيه درجات بحسب رسوخ العلم والإيمان وقوة التفاعل والتأثر.

(36) أساس البلاغة 351/1.

وأما التفسير فمأمور به بحسب الحاجة إليه لفهم كتاب الله تعالى بحسب الطاقة البشرية، ولذا فإن الناس فيه درجات كما قال ابن عباس: "التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله".

رابعاً: أن التدبر لا يحتاج إلى شروط إلا فهم المعنى العام مع حسن القصد وصدق الطلب، ولذلك قال الله تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [القمر 17]، أما التفسير فله شروط ذكرها العلماء، لأنه من القول على الله، ولذا تورع عنه بعض السلف رحمهم الله. ولذا يقال لا يعذر المسلم في التدبر ويعذر في التفسير.

خامساً: أن التدبر واجب على كل حال، وأما التفسير فليس بواجب على كل حال بل هو واجب بحسب الحاجة إليه، ولذا جاء الأمر بالتدبر في كتاب الله دون التفسير.

سادساً: أن التدبر هو الغاية من نزول القرآن لأنه باعث على الامتثال والعمل، وأما التفسير فهو وسيلة للتدبر، ولذا فيقال بأن التدبر أصل والتفسير فرع منه.

فهذا يدل على وجود مؤشر للمعنى يوضح المراد من خلاله، ولهذا يكون التفسير - غالباً - قريباً ظاهراً مفهوماً، بخلاف التدبر، فقد يكون لطيفاً عميقاً، ولأجل هذا الملحظ نجد المناوي يقول: «التفسير لغة: الكشف والإظهار، وشرعا: توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه، بلفظٍ يدلُّ عليه دلالة ظاهره»[37]

* التدبر والتأويل:

قال ابن فارس: «الهمزة والواو واللام أصلان: ابتداء الأمر وانتهاؤه»[38]، وهو بهذا يشير إلى دلالة النهاية والغاية، ويظهر ذلك بوضوح من قوله: « ومن هذا الباب تأويل الكلام، وهو عاقبتُهُ وما يؤُول إليه، وذلك قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ

(37) التعاريف 192/1 .

(38) مقاييس اللغة، مادة(أول).

أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[الأعراف: 53] يقول: ما يؤُول إليه في وقت بعثهم ونشورهم.

وقال الأعشى:

على أَنَّهَا كانَت تأوَّل حُبَّهَا تَأَوُّلُ رِبِعِيِّ السِّقابِ فأصحبا

يُريد مرجعَه وعاقبتَه، وذلك مِن آل يَؤُول»[39].

ونصَّ ابن منظور (ت ٧١١هـ) على المآل والمرجع، وذكر معه التفسير فقال: « الأَوْلُ: الرجوع ، آل الشيءُ يؤُول أَوْلاً ومآلاً : رَجَعَ ، وأَوَّلَ إِليه الشَّيءَ : رَجَعَهُ ... وأوَّلَ الكلامَ وتأَوَّلَه: دَبَّرَهُ وقدّره، وأَوَّله وتَأَوَّله: فسَّرهُ»[40].

ولعلنا من خلال هذه المعطيات نستطيع القول بأن التأويل يبحث فيما يؤول إليه الشيء، وإذا تعلَّق ذلك بالكلام كان المراد هو ما يؤُولُ إليه ذلك الكلام، أو هو الرجوع به إلى مآل آخر.

---

(39) مقاييس اللغة، مادة(أول).

(40) لسان العرب، مادة(أول).

وبِهَذا يكون التأويل أقرب المعاني للتدبر ؛ لاشتراكهما في الوصول للغاية والمآل، والمقصد، لكن قد يكون في التأويل من الخفاء في الدلالة ما ليس في التدبُّر.

وقد اهتم **أبو هلال العسكري** -كغيره[41] - بإيراد الفروق بين التفسير والتأويل على وجه الخصوص [42]،وما ينبغي التنبه إليه في كلامه قوله في نهاية تلك النقول الكثيرة، والتفصيلات المتعدد: «أقول: لا يخْفَى أنَّ غاية ما يتحصَّل من هذه الأقاويل: ... أنَّ: التأويل له مزيَّة زائدةٌ على التفسير، ويرشد إليه قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧ ﴾ [آل عمران: 7] ،حيث حصر سبحانه علم التأويل في جنابه تعالى، ومن رَسَخَ فِي العلم قدمُه، واستضاء في طريق التحقيق علمُه، ووقع على عجائب ما أودع فيه من الأسرار، وأطلع على تفاصيل ما اشتمل عليه من الأحكام والآثار، وأود أن أشير إلى أن أكثر أهل العلم يرون

(41)كالمناوي في التعاريف 1/ 193.

(42) انظر: الفروق اللغوية 130/1.

وجوب الوقوف على قوله سبحانه:﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾ كما أن الواو في قوله: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾[آل عمران: 7] هي (واو) الاستئناف، وليست واو العطف على رأي الأكثرية، وأظن أن هذا قول شيخ الإسلام ابن تيمية إن لم تخني الذاكرة، وأهل اللغة يعرفون هذا جيداً، فكوننا نستدل على أن الراسخين في العلم يعلمون المتشابه منه بهذه الآية في هذا الموطن لا يتنافى أو يتعارض مع ما قررته سابقاً ، فقد يؤتي الله الراسخين في العلم فهماً، لذلك استدللت بهذه الآية في هذا الموطن ولا أرى أنه به شيء، فاللَّه عز وجل سبقها بقوله:﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧ ﴾[آل عمران: 7] أحببت أن أشير إلى هذا رجاء أن تعمّ الفائدة.

وقد دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم لابن عباس، وقال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ ، وَعَلِّمْهُ التَّأوِيل » ، فلو لم يكن للتأويل مزيدُ فضلٍ لم يكن لتخصيص ابن عباس بذلك - مع جلالةُ قدره، وعظيم شأنه- مزيدُ فائدة».

ولعلَّ هذا ما يجعلنا نقول: إنَّ هناك علاقة بين التأويل والتدبر، يحكمها التقاؤهما في الغايات والمقاصد، وافتراقهما فيما يتعلّق بالمكلفين، فالتدبر مطلوب محثوث عليه، متاح لكلِّ الخلق ممن ملك الأداة، والتأويل محصور في أهل الرسوخ أمثال حبر الأمة وترجمان القرآن، حتَّى لكأن التأويل يبحث فيما خفيت دلالته، وصعب على سائر الناس إدراك المراد منه.

وقد يرشد إلى ذلك تأمل الآيات التي ورد فيها لفظ التأويل، فهي جلها - أو كلها - مما خفيت دللته، مثل الرؤيا، وما خفي من العلم في قصة موسى - عليه السلام - والعبد الصالح، لهذا ينبغي عدم الوقوف عند القول بأن التأويل هو التفسير فحسب، بل إن الدلالة الأخرى المتعلقة بالمآل فيها من العمق والبعد ما يحتاج إلى طول نظر من خلال الأسلوب القرآني، أما التأويل الحادث؛ وهو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر، فهذا ل تدعمه اللغة.

وليس حديثنا هنا عن التأويل المذموم، وإنما عن دللته اللغوية وربطها بوروده في القرآن، ومدح النبي ﷺ لابن عباس به، ولهذا يمكننا من خلال النظر في مواطنه في القرآن من جهة، واستقصاء ما انفرد به ابن عباس من

أقوال من جهة، يمكننا من خلال ذلك أن ندرك بصورة أدق معنى التأويل، وسر اختصاص ابن عباس به.

ثالثاً: دلالة صيغة الكلمة (التدبُّر):

لصيغة الكلمة أثر في مدلولها، لهذا رأيت أن أسلط الضوء على صيغة هذه الكلمة من الناحية الصرفية ومن الناحية النحوية، وذلك من خلال مطلبين:

المطلب الأول: دلالة الصيغة الصرفية (تفعل) .

المطلب الثاني: دلالة الصيغة النحوية (صيغة المضارع) .

* المطلب الأول: دلالة الصيغة الصرفية (تفعل) :

معلوم أن (التدبر) هو مصدر الفعل (تدبر) ، وهو فعل مزيد، ومعاني الزيادة تظهر في الفعل، ثم تنقل للمصدر، فالحديث عن المصدر سيكون من خلال الحديث عن الفعل، يقول ابن سيدة: «وأمَّا مصدر تفعَّلْت؛ فإنه التَّفَعُّل،

جاؤوا فيه بجميع ما في تفعُّل، وضمُّوا العَينَ ؛ لأنه ليس في الكلام اسمٌ على تفعُّلٍ»[43]

وبناءً على ذلك؛ فإنه لا بد أن يكون لصيغة هذا الفعل على (تفعُّل) دون غيرها من الصيغ دلالة تميّز بها، ويمكن لهذه الدلالة أن توضح المراد وتحدد المفهوم، وحتى يتم ذلك، فيحسن أن نعرف المعاني التي ذكرها الصرفيون لهذه الصيغة (تفعُّل)، (بزيادة التاء في أوله، وتضعيف العين) .

يقول **العكبري** (**٦١٦هـ**) في «اللباب:» « وقد اطَّردت زيادةُ التَّاء في الفعلِ للمعاني، نحو تَفَّعَل وتَفَاعَل وافتعل، وفي مصادرها وفي مصدر فَعَّل نحو قطَّع تقْطِيعاً، فزيادةُ التَّاء والياء عوض من تَشْدِيدِ العينِ في الفعل؛ ليدل على التكثير والتوكيد»[44].

وبعد النظر فيما ذكره الصرفيون من دلَّت صيغة (تفعَّل)[45] ، نستطيع القول: إنَّ كثيراً من المعاني الواردة مع هذه الصيغة مبني على المطاوعة، حيث إنها

(43) المخصص 409/3.

(44) اللباب علل البناء والإعراب 312/1.

تلمح في أغلب المعاني المذكورة، وعادة ما ينص الصرفيون على ذلك، وسأشير إلى ذلك عند ذكر معاني الصيغة التي هي:

التكثير: (مطاوع) (فعَّل) نحو: كسَّرت الزجاج فتكسَّر.

النسبة: (مطاوع) (فعَّل) نحو: قيَّسته فتقيس، أي نسبته إلى قيس.

الاتخاذ: (مطاوع) (فعَّل)، ولا يأتي إلا متعدِّياً، والاتخاذ يعني: اتخاذ فاعل الفعل، وجعله مفعول أصل الفعل، نحو: تسنم عليّ المجد، اتخذه سناما.

التكلف: (مطاوع) (فعَّل)، وهو رغبة الفاعل، واجتهاده في حصول الفعل له حقيقة، نحو: تشجَّع، وتحلَّم، وتصَبَّر، وتجلَّد، وتكرَّم، وتنوَّه، تقول: تشَّجع المغامر؛ أي: كلف نفسه الشجاعة؛ ليتم حصولها.

التجنب: (مطاوع) (فعَّل)، وهو للدلالة على السلب، وترك الفعل والابتعاد عنه، نحو: تحرَّج محمدٌ؛ أي: ترك الحرج، وتأثَّم الرجل. بمعنى: ترك الإثم.

التدرُّج: (مطاوع) (فعَّل)، وهو العمل المتكرر في مهلة، وهو بذا يؤول إلى معنى

---

(45) ممن فصل في هذا الأمر الرضي في شرحه لشافية ابن الحاجب، انظر تفصيل ذلك في: شرح شافية ابن الحاجب104/1 .

التكثير، وحصول الفعل مرة بعد أخرى، ويأتي للأمور الحسية والمعنوية.

مثال الحِسّيّة: جرعت المريض الدواء فتجرعه؛ أي: شربه جرعة بعد جرعة.

ومثال المعنوية: علّمت التلميذ المسألة فتعلمها؛ أي: علمها مرة بعد مرة.

التأصيل: (مطاوع) (فعّل)؛ أي جعل الشيء ذا أصل حقيقة، أو تقديراً، فالحقيقة نحو: أصّلته فتأصّل؛ أي: صار ذا أصل، ومثال التقدير: أهّلته فتأهل؛ أي: صار ذا أهل، وقد يكون مطاوع «فعّل» الذي معناه جعل الشيء نفس أصله حقيقة، أو تقديراً، مثال الحقيقة: تزبّب العنب؛ أي صار زبيباً، والتقدير نحو: تكلّل الشيء؛ أي: صار إكليلاً بمعنى «استفْعَل:» وذلك فيما يتعلق بالطلب والاعتقاد؛ لأنهما مختصان بـ «استفْعَل،» فالطلب نحو: تنجزته؛ أي: استنجزته، بمعنى: طلبت نجازه، وهو الحضور والوفاء به، والاعتقاد: وهو تصورك الشيء أنه على صنعة أصله، نحو: تعظّمته؛ أي: استعظمته، بمعنى: اعتقد فيه أنه عظيم.

بمعنى «فعَّل» ، نحو: تظلَّمني؛ بمعنى: ظلمني، وتجهَّمت الرجل؛ بمعنى: جهمته؛ أي: كلحت في وجهه، ومنه حديث دعاء الرسول: «إِلَى مَنْ تَكِلُنِي ، إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي»؛ أي: يلقاني بالغلظة والوجه الكريه.

ولعلَّه اتَّضح من خلال هذا العرض لأهم معاني هذه الصيغة كيف أن المطاوعة كانت السمة الأظهر فيها ، والعامل المشترك بين أكثرها ، وحتى لو كانت المطاوعةُ واردةً في صيغٍ أخرى، فإن المعاني المذكورة مع هذه الصيغة، والبنية التي وردت عليها، تحدِّد نوع الدلالة فيها، وتمنحها السمةَ المميزةَ لها، عن (تفاعل، وانفعل) على سبيل المثال.

وشيوع المطاوعة في هذه الصيغة عموماً يجعلنا نستحضر معناها في حديثنا عن التدبُّر، وإن لم يكن ذلك ظاهراً في الفعل (تدبَّر)؛ لأنه ليس مطاوعاً لـ(دبَّر)،ذلك أنَّ المطاوعة لا تكون عادة إلا بعد جهد ومشقة، حتى لكأن هذا المطاوع كان مستعصياً ثم لان وطاوع، والتدبُّر يحتاج إلى تعقب ونظر في العواقب إلى أن يحصل له مراده، وهذه بعض دلالات المطاوعة.

كما أننا إذا نظرنا إلى المعاني الأخرى الواردة، واستحضرنا معنى (التدبر) ومجاله وهو القرآن، عرفنا بعض السمات والصفات التي ينبغي للمتدبر التحلي بها، ويمكننا لحظ ذلك من معنيين على وجه الخصوص هما: (التكلُّف) و(التَّدرُّج) المراد منه حصول الفعل مرَّة بعد مرَّةٍ، ومرحلةً بعد مرحلةٍ، فالأول يشعر بضرورة بذل الجهد، والثاني يبيِّن ضرورةَ التَّدرُّج والتتبع مرحلةً مرحلة، لسبر أغوار أسرار القرآن، ولعل هذا يلتقي بوضوح مع المعنى اللغوي لمادة (التدبر)، مما يمكِّننا من رسم معالم واضحة لمنهجية التدبر تمثل في: (الصبر، وبذل الجهد، والتدرج).

* المطلب الثاني: دلالة الصيغة النحوية (صيغة المضارع) :

الحديث هنا عن الصيغة التي وردت عليها المادة في القرآن، وبالنظر في تلك الصيغة نجد أن التدبر جاء في القرآن في أربعة مواضع هي:

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء: 82]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ

أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:24]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [المؤمنون: 68]، وقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: 29].

وعند تأمل هذه الآيات يمكن لمح الدلالات الآتية:

١- أنَّ هذه المادة (التدبر) لم تذكر في القرآن إل مع القرآن، بينما ذكر مع غيره التفكر والتذكر والنظر، ولكل منها معناه الخاص به، على ما سبق بيانه.

٢- أن الصيغة التي جاءت عليها هذه المادة هي (الفعل المضارع) بالفكِّ (يتدبَّرون) والإدغام (يدَّبَّروا) ، وقد تنوع معها ما يدل على القرآن معها، فقد ورد لفظ (القرآن) معرَّفاً مرتين، وورد لفظ (القول) معرفاً مرة واحدة، وورد لفظ (آياته) معرفاً بالإضافة مرة واحدة.

ومن خلال كل هذا يمكننا إدراك معان أخرى يمكن أن نتكامل مع ما سبق، فصيغة الفعل - وخصوصا المضارع - لها دلالات لا بد من استثمارها، وقد ألمح البلاغيون في دلالة المضارع في مقابل الاسم إلى بعض الفروق،

ولعل أهمها: أن المضارع يدلُّ على التجدد والحدوث، أو ما يمكن التعبير عنه بالاستمرار التجددي، والاسم يدل على الثبوت، كما أنه يدل على الحركة بخلاف دلالة الاسم على السكون غالبا، كما أنه أقدر من الاسم على استحضار الصورة، فإذا قلنا: فلان يركب، كان المضارع ناقلاً للصورة، ودالّاً على الحركة، وليس شرطاً أن يكون ذلك متجدداً.

وإذا أردنا أن نستثمر كل هذا في دلالة المضارع الوارد معنا هنا، لأمكننا القول بأن المراد هو الحث على التدبر بطريق الإنكار لضده (عدم التدبر)، بأسلوب يشعر بضرورة تجدد ذلك كلما دعا له داع، أو وجد له سبب.

وهذا الأمر يتناسب مع قضية التدبر، التي لا يتصور فيها أن الإنسان سيكون متدبرًّا كلَّ وقته، لكن ينبغي أن يتحرك عنده هذا الهاجس كلما طرق سمعه القرآن، أو تحرَّك به لسانه، أو قرأته عيناه، وهذا يعني أن (التدبر) حدثٌ متجددٌ مع أسبابه ودواعيه.

فدلالة المضارع في الشواهد كلها مؤشر مهم على ضرورة الاستمرار المتجدد في هذا الشأن، ذلك أنَّ من أهم دلالات هذه الصيغة التجدد والحدوث.

ويحسن التنبيه إلى أن التدبر لفظا أو معنى لا يختص بالقرآن إذ كل ما ورد لا يعدو أن يكون استعمالاً، والاستعمالات لا تتنافى بل تتآخى على اللفظ الواحد، ولا أرى محظوراً من استعمال اللفظ في غير القرآن، والكلام جار بنحو (تدبر أمره) ، أي: نظر فيه.[46]

وإنه لمن المتقرر في القواعد أنَّ من أصعب الأعمال: تفسير الواضحات، ومن هذه الواضحات (التدبر)، ويحسن بالقارئ أن لا يُغفلَ معجماً يعنى بألفاظ القرآن ومفرداته، مثل «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب الأصفهاني المتوفى سنة: 503هـ، شرح فعل (تَدَبَّر) ومضارعه (يَتَدَبَّر) ومصدره (تدبر).

فالتدبر التدبر في حقيقته مبادرة، واستجابة التدبر لأمر الله، وليس فيه المعنى الممنوح مثل (فهمته فتفهم) (علمته فتعلم) (وجهته فتوجه. وهو فعل يخاطب به الأمة كلها، ولا يختص بذلك أهل العلم، فكما أن العالم مطلوب منه التدبر، وكذلك العامي ومن لا يملك أدوات علمية تؤهله يمكن أن يقع منه التدبر،

(46)[ينظر الفروق اللغوية للعسكري]

وقد يصل إلى ما يصل إليه أهل العلم، وقد يفتح الله عليه بسبب نور بصيرته ما لا يفتحه على العلماء.

أذكر أن عامياً رأى شخصاً يجمع الناس حوله فيجتمعون، فقال: إن فلانا -يقصد هذا الذي يجمع الناس- يدعو إلى نفسه.. ولو أخلص دعوته لوُفِّق، أخذاً من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾ (يوسف: ١٠٨)، وهذا معنى عزيز قد يغيب عن كثير من الدعاة والمشتغلين بالعلم.

ومن المهم أن لا نحصر معاني القرآن على معنى معين، كما يفعل بعض أهل اللغة؛ لأن معاني القرآن أشمل وأكمل، ولذلك كلما نظرنا في تفسير القرآن خاصة «تفسير ابن جرير الطبري»؛ وأعظم مفسر للقرآن هو ابن جرير الطبري -رحمة الله عليه- يجد في تفسيره معاني يفوق فيها من سبقه، أو من ألف مثله، فأرجو عدم حصر معاني القرآن على معنى معين.

المراد بتدبر القرآن:

بالنظر في مدلول كلمة التدبر في اللغة فإننا سنحدد مفهوم تدبر القرآن في النظر فيما وراء الآيات من المعاني والدلالات والغايات.

ولكننا حيث نضع هذه الكلمة في إطار النصوص والآثار مع اعتبار المعنى اللغوي فإننا نجد أنا تمتد إلى ثلاثة أمور:

أولاً: اعتبار مقدمات التدبر، وهي تهيئ وتفاعل القلب واللسان والجوارح، ويؤكده قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾ (ق:37) وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾(محمد:24) فنص على القلوب حضوراً وإيماناً.

ثانياً: اعتبار عملية التدبر، ويؤكده قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾(النساء:82) وقوله: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦٨ ﴾(المؤمنو:68) ،فعقب ذلك التدبر بما يدعو للتأمل والنظر في صدق ما دلت عليه.

ثالثا: اعتبار الثمار والنتائج، وهي العلم والإيمان والعمل، ويؤكده قوله تعالى:﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾(ص:29)،وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾

[الأنعام:155]، فصرح على التذكر والتباع، وهذا المعنى - أعني: اعتبار الثمار والنتائج - متعلق بالمعنى اللغوي من حيث أنه داخل في معنى العواقب والنهايات، ولذا فلا بد من اعتباره في مفهوم تدبر القرآن، وهو الجانب الذي ظهر في أقوال السلف وأحوالهم.

وقد أكد شيخ الإسلام لزوم التدبر لهذا الجانب فقال: «والإنسان يقرأ السورة مرات حتى سورة الفاتحة ويظهر له في أثناء الحال من معانيها ما لم يكن خطر له قبل ذلك حتى كأنا تلك الساعة نزلت فيؤمن بتلك المعاني ويزداد علمه وعمله، وهذا موجود في كل من قرأ القرآن بتدبر بخلاف من قرأه مع الغفلة عنه»(47)

(47) مجموع الفتاوى16/2.

وعليه فيمكن لنا أن نحرر مفهوم تدبر القرآن بمعنى مختصر جامع شامل بإذن الله وهو: (الوقوف مع الآيات والتأمل فيها، والتفاعل معها؛ للانتفاع والامتثال).

وهذا التعريف هو ما توصلت إليه بعد نظر وتأمل دقيق في المعنى اللغوي، وفي الأدلة من القرآن والسنة وأقوال السلف والآثار الواردة عنهم وأحوالهم، والاطلاع على أقوال العلماء، والآثار الواردة عن السلف مستفيضة في الدلالة على الأمور الثلاثة كما سأفصّل ذلك بإذن الله تعالى..

ولنا مع هذا التعريف وقفتان:

الوقفة الأولى: بيان ما يشمله التعريف:

الوقوف عند الآيات يشمل ثلاثة أمور:

أولاً: الإقبال والتفاعل، وهو يمثل مقدمة التدبر، ويتحقق بثلاثة أمور:

1- بالقلب، وذلك بإحضار القلب إيمانا وتعظيماً وخضوعا للقرآن وللمتكلم به وهو اللَّه تعالى، واستحضاراً لمقاصد القرآن العامة، واستشعارا بأنه هو المخاطب بهذه الآيات.

2- باللسان، وذلك بتلاوة الآيات بترتيل وترسل، وتحزن وتباكي، وترديد للآية، وتفاعل معها بالسؤال والتعوذ والاستغفار عند المرور بما يناسب ذلك.

3- بالسمع، وذلك بإلقاء السمع وإرعائه عند سماع القرآن.

وقد أشار لهذا المعنى واعتبره من التدبر عدد من العلماء:

فقال ابن القيم : " إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ.[48]

- **وقال أيضا**: "تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله".

(48)الفوائد ص3.

- **وقال أيضاً**: فَلَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، وَأَقْرَبَ إِلَى نَجَاتِهِ مِنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَإِطَالَةِ التَّأَمُّلِ فِيهِ، وَجَمْعِ الْفِكْرِ عَلَى مَعَانِي آيَاتِهِ، فَإِنَّهَا تُطْلِعُ الْعَبْدَ عَلَى مَعَالِمِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِحَذَافِيرِهِمَا، وَعَلَى طُرُقَاتِهِمَا وَأَسْبَابِهِمَا وَغَايَاتِهِمَا وَثَمَرَاتِهِمَا، وَمَآلِ أَهْلِهِمَا، وَتَتُلُّ فِي يَدِهِ مَفَاتِيحَ كُنُوزِ السَّعَادَةِ وَالْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَتُثَبِّتُ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ، وَتُشَيِّدُ بُنْيَانَهُ وَتُوَطِّدُ أَرْكَانَهُ، وَتُرِيهِ صُورَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ فِي قَلْبِهِ، وَتُحْضِرُهُ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَتُرِيهِ أَيَّامَ اللَّهِ فِيهِمْ، وَتُبَصِّرُهُ مَوَاقِعَ الْعِبَرِ، وَتُشْهِدُهُ عَدْلَ اللَّهِ وَفَضْلَهُ، وَتُعَرِّفُهُ ذَاتَهُ، وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالَهُ، وَمَا يُحِبُّهُ وَمَا يُبْغِضُهُ، وَصِرَاطَهُ الْمُوصِلَ إِلَيْهِ، وَمَا لِسَالِكِيهِ بَعْدَ الْوُصُولِ وَالْقُدُومِ عَلَيْهِ، وَقَوَاطِعَ الطَّرِيقِ وَآفَاتِهَا، وَتُعَرِّفُهُ النَّفْسَ وَصِفَاتِهَا، وَمُفْسِدَاتِ الْأَعْمَالِ وَمُصَحِّحَاتِهَا وَتُعَرِّفُهُ طَرِيقَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ وَأَعْمَالَهُمْ، وَأَحْوَالَهُمْ وَسِيمَاهُمْ، وَمَرَاتِبَ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَهْلِ الشَّقَاوَةِ، وَأَقْسَامَ الْخَلْقِ وَاجْتِمَاعَهُمْ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ فِيهِ، وَافْتِرَاقَهُمْ فِيمَا يَفْتَرِقُونَ فِيهِ.

وقال السيوطي: " وتسن القراءة بالتدبر والتفهم ... وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية ويتأمل الأوامر والنواهي

ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوذّ أو تنزيه نزّه وعظم، أو دعاء تضرع وطلب".[49]

ثانياً: النظر والتأمل، وهو يمثل عملية التدبر، ولذلك نصصت عليه في التعريف، ويتحقق بإمعان النظر وإعمال العقل في عدة أمور:

1- إدراك مغزى الآيات ومقاصدها.

2- تفهم معانيها.

3- استخراج دللتها.

4- تبين ما فيها من الآيات والعبر، والأوامر والنواهي، والوعد والوعيد.

وقد أشار لهذا المعنى واعتبره من التدبر عدد من العلماء ولعلي أذكر بعض أقوال العلماء والمفسرين والباحثين في معنى التدبر بياناً وتأكيداً لما حررته، مع التوضيح والتعقيب:

(49) الإتقان في علوم القرآن127/1 .

- **قال الخازن**: "أصل التدبر: النظر في عواقب الأمور، و التفكر في أدبارها، ثم استعمل في كل تفكر و تأمل، و يقال: "تدبرتُ الشيءَ" أي: نظرت في عاقبته، و معنى تدبُّر القرآنِ تأَمُّلُ معانيه، و التفكر في حِكَمِهِ، و تبصُّرُ ما فيه من الآيات".[50]

- **قال ابن القيم**:" وتدبر الكلام أن ينظر في أوله وآخره ثم يعيد نظره مرة بعد مرة ولهذا جاء على بناء التفعل كالتجرُّع والتفهم والتبين".[51]

- **قال الشوكاني**: " إِنَّ التدبر هو التأّمُل؛ لفهم المعنى، يقال: " تدبرتُ الشيءَ": تفكرتُ في عاقبته، و تأملته، ثم استعمل في كل تأمُّل، و التدبير: أَنْ يدبر الإنسانُ أمْرَه، كأنه ينظر إلى ما تصير إليه عاقبته".[52]

- **قال ابن عاشور**: «فمعنى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ﴾ [النساء: 82] يتأملون

---

(50) لباب التأويل في معاني التنزيل 402/1.
(51) مفتاح دار السعادة 183/1.
(52) فتح القدير 491/1.

دلالته، وذلك يحتمل معنيين: **أحدهما** أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبُّر تفاصيله؛ وثانيهما أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنه من عند الله، وأن الذي جاء به صادق»[53]

ثالثا: التذكر والاتباع، وهو يمثل: ثمرة التدبر، ويتحقق بأمرين:

1- التذكر علماً وإيماناً [54] 2- الاتباع عملاً وسلوكا.

وتضمن التعريف له مع دخوله في الوقوف عند الآيات لأمور:

1- أنه الغاية المقصودة من التدبر.

2- ليتميز به التدبر عن التفسير والاستنباط والفهم وغيرها من المصطلحات القرآنية الأخرى.

3- أن يكون قصد القارئ والمتأمل في الآيات التذكر والاتباع ابتداءً وانتهاءً.

---

(53) التحرير والتنوير 994/1.

(54)القول بأن التذكر يورث العلم، لأنه إذا تذكر الشيء المغفول عنه كان بمثابة العلم به، قال =ابن القيم: «ويسمى تذكرا لأنه إحضار للعلم الذي يجب مراعاته بعد ذهوله وغيبته عنه.» مفتاح دار السعادة ،182/1وأما الإيمان؛ فالمقصود به يقظة القلب وتصديقه بعد غفلته

وقد أشار لهذا المعنى واعتبره من التدبر عدد من العلماء:

- فـ **قال السعدي**: " يأمر- تعالى- بتدبر كتابه، و هو التأمُّل في معانيه، و تحديق الفكر فيه، و في مبادئه و عواقبه، و لوازم ذلك" .[55]

- و**قال الشنقيطي**: " تدبر آيات هذا القرآن العظيم أي: تصفحها، و تفهمها، وإدراك معانيها، و العمل بها ".[56]

- **وقال السنيدي**: " وانتفاع القلب بذلك، بخشوعه عند مواعظه، وخضوعه لأوامره، وأخذ العبرة منه".

- وقالت **الدكتورة رقية العلواني**: " للتوصلِ إلى مقاصدِ الآياتِ وأهدافها وما ترمي إليه ".

- فنجد أنهم صرحوا بلزوم اقتران التدبر للعمل والانتفاع بمعنى أنه لا بد أن يكون من قصد القارئ أصلاً، و هذا هو الذي يميز التدبر عن غيره من المصطلحات القرآنية.

---

(55) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن 189/1.

(56) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن 429/7.

- ولو تأملنا حال النبي وأحوال السلف في تلاوتهم للقرآن وتدبرهم له، لظهر لنا أن تمثلهم بهذا الركن ظاهر جلي مما يؤكد لنا اعتباره كركن لازم للتدبر، وربما عده البعض مما يعين على التدبر لا من أصل التدبر، والصحيح أنه تدبر باعتبار أنه يمثل الجانب العملي بتحريك القلب والجوارح مع القراءة وهذا هو التدبر الباعث على الانتفاع.

ولكن هنا ملحظ مهم حول هذا التقييد وهو أن الأولى في التعريف أن يقال (للانتفاع والامتثال) أي بقصد الانتفاع والامتثال، والمقصود هو أن يكون قصد القارئ الانتفاع والامتثال ابتداءً مع مصاحبة هذا القصد حال القراءة إلى تحقق ذلك حال القراءة وبعدها، والأمور بمقاصدها.

الوقفة الثانية: وجه اعتبار لفظ الوقوف عند الآيات، ولفظ الانتفاع.

اعتبار لفظ الوقوف، ولفظ التذكر والتباع في المفهوم ظاهر من وجهين:

أولاً: أن لفظ الوقوف عند الآيات قد ورد وتكرر في استعمال السلف، وقد أحصيت في ذلك ثمانية مواضع، فهو بذلك لفظ معتبر ول شك أن اعتبار مفهوم السلف هو الأولى.

ومما ورد عنهم في ذلك:

في معنى الوقوف عند الآيات بالتفاعل معها:

1- روي عن عباد بن حمزة قال: دخلت على أسماء وهي تقرأ: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الطور: 27] ، قال: فوقَفَتْ عليها، فجعلتْ تستعيذ وتدعو»[57].

2- قال بعضهم: إني لأفتتح السورة، فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها، حتى يطلع الفجر»[58]

1- روي عن ابن مسعود قال: «لا تهذوا القرآن كهذِّ الشعر ولا تنثروه نثر الدقل، وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب»[59]

---

(57) مصنف ابن أبي شيبة 25/2.

(58) فضائل القرآن لابن كثير ص229 .

2- عن مجاهد قال: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية منه وأسأله عنها فيم نزلت وكيف كانت»[60].

قال القرطبي: «قرأ مجاهد على ابن عباس قراءة تفهم ووقوف عند كل آية»[61].

3- عن عبد الله بن مسلم بن يسار عن أبيه قال: «إذا حدثت عن الله حديثا فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده»[62]

في معنى الوقوف عند الآيات للانتفاع بها إيمانا وعلماً وعملا، وهو الغالب في أقوال السلف وأحوالهم:

1- ما أخرجه البخاري عن ابن عباس أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به، فقال له أحد أصحابه: «يا أمير المؤمنين، إن

(59) أخرجه البيهقي في الشعب 260/2 ح 2041.
(60) أخرجه الدارمي 233/2 رقم 1176.
(61) تفسير القرطبي 36/1.
(62)أخرجه البيهقي في الشعب 260/2 ح 2041.

الله عز وجل قال لنبيه﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: 199]، وإن هذا من الجاهلين،» قال: «فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله عز وجل»(63)

2- عن ابن عمر قال: «لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد ﷺ ، فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن، ولقد رأيت اليوم رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما آمره ولا زاجره ول ما ينبغي أن يوقف عنده منه وينثره نثر الدقل»(64)

فهذه الآثار كلها نصت على لفظ الوقوف بمعانيه الثلاث مما يؤكد صحة اعتباره في مفهوم التدبر.

ثانيا: بالنسبة للفظ النتفاع، فقد صرح به القرآن في قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ ﴾(عبس:4).

(63) أخرجه البخاري 238/15رقم 4642.
(64)أخرجه الطبراني في الأوسط، وقال في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح201/1رقم 755.

وقال أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾(المؤمنون:68) قرعهم أولاً بترك الانتفاع بالقرآن، ثم ثانياً بأن ما جاءهم جاء آباءهم الأولين»[65].

وقال ابن القيم: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ.

- أركان التدبر:

من خلال التأمل في التعريف السابق نستطيع أن نحرر منه أركان التدبر، وهي ثلاثة أركان باجتماعها يتحقق التدبر ويتميز عن غيره وهي:

1- حضور القلب واستشعاره[66].

(65) البحر المحيط 688/2.

(66)تخصيص حضور القلب واستشعاره ، دون تفاعل اللسان بالترتيل والترسل والتحزن، لأن التدبر لا يمكن حصوله بغير حضور القلب واستشعاره، بخلاف الترتيل والترسل فإنه ليس من لوازم التدبر وإن كان سبباً رئيسياً فيه كما يؤكده الأمر به صريحا في القرآن، وكما تؤكده الأحاديث والآثار، لكن التدبر قد يكون بغير تلاوة بل بتأمل أو استماع.

2- النظر والتأمل في الآيات.

3- قصد التذكر والاتباع.

مراتب التدبر:

يمكن تقسيم التدبر إلى مراتب قياسا على ما قسم به ابن عباس التفسير فقال:

«التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره.

فالتدبر على ثلاثة أوجه:

المرتبة الأولى: تدبر العامة، وهو الوقوف عند الآيات مع الفهم العام لها والتبصر بما اشتملت عليه من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد، والانتفاع بها تذكراً واتباعاً.

وصورة ذلك: أن يقرأ القرآن ويقف مع آياته متأملا في وعده ووعيده وأمره ونهيه، فيزداد بإيمانه وخشيته.

المرتبة الثانية: تدبر العلماء، وهو الوقوف عند الآيات مع الفهم لمعناها ودلالتها، والتبصر بمقاصدها وهداياتها، والانتفاع بها إيمانا وعلماً.

وصورة ذلك: أن يقف مع آيات القرآن بإمعان النظر وإعمال العقل في مقاصدها ومعانيها ودلالتها، وينتفع بها علماً وفهماً وخشية.

المرتبة الثالثة: تدبر العلماء الربانيين: وهو الوقوف عند الآيات مع الفهم لمعناها ودلالتها ومقاصدها وهداياتها، والتبصر بما اشتملت عليه من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد، والانتفاع بها علماً وإيماناً وعملا، وهذه المرتبة هي التي تمثلها السلف الصالح في تعاملهم مع القرآن، وهي التدبر الأمثل.

وصورة ذلك: حال السلف الصالح في تلقيهم مع القرآن الذين رزقوا العلم والعمل بالقرآن.

القسم الثاني (الدراسة التطبيقية): التحليل والاستدلال.

بعد أن تبين لنا مفهوم التدبر وما يتضمنه، والعلاقة بينه وبين المصطلحات الأخرى، ولتحقيق هذا المفهوم فإنني سأفصل القول في هذا القسم بذكر الأدلة من القرآن والسنة وأقوال السلف وأحوالهم مما يؤكد ذلك ويجليه، ليطمئن قلب القارئ، وليكون ذلك تطبيقاً عملياً بالأمثلة من أحوال السلف الصالح الذين هم أكمل الناس تمثلاً للتدبر الأمثل، فهم الأسوة والقدوة، ولا سبيل لتحقيق التدبر والانتفاع بالقرآن إلا باتباع منهجهم والاقتداء بهم، كما قال مالك رحمه الله: (لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها).

وسأورد الأدلة والشواهد حسب التعريف:

المحور الأول: أدلة الوقوف مع الآيات والتأمل فيها:

- قولنا بأن التدبر يتضمن الوقوف مع الآيات والتأمل فيها يدل عليه أمور:

أولاً: الأدلة من القرآن:

القرآن دال على أن من لوازم التدبر وأركانه الوقوف مع الآيات والتأمل فيها: من وجوه:

1 - أن الآيات الواردة في التدبر قد جاءت كلها معترضة في سياقات مختلفة غير سياق الحديث عن القرآن: فقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: 82] ، وردت معترضة الأمر بطاعة الرسول والاستجابة له والرجوع في الحكم إليه.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد:24]، وردت معترضة الأمر بالصدق في الاستجابة والإذعان وعدم التولي.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المؤمنون: 68]، وردت معترضة في سياق الأمر بالإيمان بالنبي والاعتراف به وعدم الاستكبار.

وقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٩ ﴾ [ص: 29]، وردت معترضة في سياق مخاصمة الكافرين في الحق الذي جاء به محمد، وذكر قصة داود وسليمان ورجوعهما للحق بعدما تبين وإنابتهما إلى الله.

فنلحظ من ورود هذه الآيات الآمرة بالتدبر معترضة في سياق الحديث عن غير القرآن أن الغرض منها الأمر بالوقوف مع الآيات الواردة والتأمل فيها والانتفاع والامتثال لها.

مما يؤكد لنا أن التدبر هو الوقوف مع الآيات والتأمل فيها للانتفاع والامتثال.

2 - أن القرآن مليء بالنصوص الآمرة بالنظر في الآيات والتفكر والتبصر والتذكر، ومنها:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ۝٦٧ ﴾ [يونس 67].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣ ﴾ [الرعد:3].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٤ ﴾ [الرعد 4].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر 75].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾ [طه 54].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ [الروم 22].

وفي أسلوب استفهامي يدعوا للوقوف مع الآيات والتأمل في مقاصدها:

قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة 44]، قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام 50]، قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام 80] ، قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس3]، قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [القصص 72]، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ [السجدة:26].

وقد تكررت هذه الآيات في مواضع كثيرة من القرآن، مما يؤكد أن الغرض هو الحث على الوقوف مع الآيات والتأمل والتفكر وإعمال العقل والبصر والسمع فيها، والنظر في دلالاتها وهداياتها، والانتفاع بها والامتثال لها، وهذا هو التدبر.

3 - تكرر الآيات في بعض السور مما يؤكد أنها للحث على الوقوف مع الآيات والتأمل فيها، ومن ذلك مثلاً: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن

مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر: 17] تكررت هذا الآية في السورة أربع مرات، وتكررها دال على أن المقصود الوقوف مع الآيات والقصص الواردة والتذكر بها ولهذا قال ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ ، وهي آية دالة دلالة صريحة على الحث على التدبر ولهذا قال: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ أي للتذكر والانتفاع.

- قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرحمن 13] تكررت هذه الآية ثلاثين مرة، وهي آية حاثة على الوقوف مع النعم والآلاء الواردة في السورة وتأملها مما يبعث على الامتثال والإيمان.

4 - ورود القسم في ابتداء السور بالآيات الكونية وتعدده وتضمنه للتغيرات والأحوال التي تتضمنها الآيات الكونية المقسم بها فهذا التعدد وتضمينه للأحوال والتغيرات دال على الأمر بالوقوف مع هذه الآيات والتأمل فيها للانتفاع والإيمان.

ثانياً: السنة وأقوال السلف وأحوالهم:

بالنظر في السنة النبوية وأقوال السلف وأحوالهم نجد أنها دالة على أن التدبر هو الوقوف مع الآيات والتأمل فيها والتفاعل معها. ومما يشهد لذلك:

1 - ما أخرجه النسائي وابن ماجة عن أبي ذر قال: (قام رسول الله بنا ليلة فقام بآية يرددها وهي قوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة:118].

فهذا الترديد وقوف مع الآية وتأمل فيها في مشهدها العظيم.

2 - ما أخرجه مسلم عن حذيفة: قال صليت مع النبي ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت يركع عند المائة ثم مضى، فقلت يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ.

3 - ما ورد عن عمر أنه مكث في تعلم سورة البقرة اثنتي عشرة سنة، وابنه عبد الله مكث في تعلمها ثماني سنين. !!

وهذا يدل على طول وقفوهم وتأملهم فيها بتعلم ما فيها والعمل به.

4 - روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (لا تهذُّوا القرآن كهذِّ الشعر ولا تنثروه نثر الدقل وقفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب).

5 - قال بعضهم: إني لأفتتح السورة، فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها، حتى يطلع الفجر.

6 - روي عن عباد بن حمزة قال: دخلت على أسماء وهي تقرأ: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ ﴾ [الطور: 27]، قال: فوقَفَتْ عليها فجعلت تستعيذ وتدعو، فذهبتُ إلى السوق فقضيت حاجتي ثم رجعت وهي فيها بعد تستعيذ وتدعو ". وشواهد ذلك كثيرة سيأتي بيانها فيما بعد بإذن الله.

ثالثاً: اللغة: - اللغة تدل على تضمن التدبر للوقوف مع الآيات والتأمل فيها من وجهين:

الأول: أن الوصول إلى أواخر الكلم ونهاياتها الذي هو أصل التدبر أمر يحتاج إلى وقوف مع الآيات وطول نظر وتأمل. الثاني: مجيء التدبر على وزن التفعّل، وهو ما يحتاج إلى بذل جهد وإعمال عقل وإمعان نظر، وإلقاء سمع؛ للوصول إلى ما وراء الألفاظ من المقاصد والمعاني والدلالات والهدايات.

يقول ابن القيم رحمه الله:" وتدبر الكلام أن ينظر في أوله وآخره ثم يعيد نظره مرة بعد مرة، ولهذا جاء على بناء التفعل كالتجرع والتفهم والتبين".

والأدلة على أن الوقوف مع الآيات يكون (بإحضار القلب وإلقاء السمع وإمعان النظر وإعمال العقل) ظاهرة منها:

1- قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ٣٧﴾ [ق:37]. فقوله: ﴿لَهُۥ قَلْبٌ﴾ وقوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ دال على لزوم حضور القلب.

قال السعدي: " ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ أي: قلب عظيم حي، ذكي، زكي، فهذا إذا ورد عليه شيء من آيات الله، تذكر بها، وانتفع، فارتفع، وكذلك من ألقى سمعه إلى آيات الله، واستمعها استماعًا يسترشد به، وقلبه ﴿شَهِيدٌ﴾ أي: حاضر، فهذا له أيضا ذكرى وموعظة، وشفاء وهدى " .

وقوله: ﴿ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ ﴾ دال على حضور السمع وإنصاته وإصغاؤه.

قال ابن كثير: " وقال الضحاك: العرب تقول: ألقى فلان سمعه: إذا استمع بأذنيه وهو شاهد يقول غير غائب. وهكذا قال الثوري وغير واحد".

وقال ابن القيم: " إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله).

2 - قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [يس:69 - 70].

قال السعدي: " ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾ أي: حي القلب واعيه، فهو الذي يزكو على هذا القرآن، وهو الذي يزداد من العلم منه والعمل، ويكون القرآن لقلبه بمنزلة المطر للأرض الطيبة الزاكية".

والدليل على أن التدبر شامل للتأمل فيما وراء النص من إدراك المغزى، وفهم المعنى، واستخراج الدلالات والهدايات عدة أمور هي:

أولاً: إدراك مغزى الآيات:

لأن القرآن الكريم له مقاصد وغايات جاء لتحقيقها في حياة الأفراد والمجتمعات وهي غايات عامة، فلابد أن يكون من غرض المتدبر الوقوف على مقاصد الآيات وغاياتها ليدركها ويحققها في نفسه.

قال **د. أحمد آل سبالك**: " أما المعنى الاصطلاحي لتدبر القرآن كما ورد في كتب التفسير فهو التفكر في غايات القرآن ومقاصده التي يرمي إليها ".

وقالت **الدكتورة رقية العلواني**: " والتدبر إعمالُ الذهن والفكر للتوصلِ إلى مقاصدِ الآياتِ وأهدافها، وما ترمي إليه ". .

ثانياً: فهم المعنى:

لأن التدبر يستلزم فَهْم معاني الآيات؛ كما يقول ابن جرير رحمه الله-: "محال أنْ يُقَال لمن لا يَفهم ما يُقَال له، و لا يَعْقِل تأويلَه: "اعتبرْ بِما لا فَهْم لك به، و لا مَعْرفة مِن القيل والبيان" إلا على معنى الأمْرِ بأنْ يَفْهَمه، و يفقهه، ثم يتدبره، و يعتبر به، فأَمَّا قَبْل ذلك فمستحيلٌ أَمْرُه بتدبُّره، و هو بمعناه جاهِلٌ ".

قال **الشوكاني**: " إِنَّ التدبر هو التأَمُّل؛ لفهم المعنى .. ".

ثالثاً: استخراج دلالاتها و هداياتها: لأنها هي أواخر الكلم ونهاياته و هي المقصودة أصلاً، فلابد أن يتضمنها التدبر. وهي ما يسمى بالاستنباط الذي هو استخراج ما خفي من النص القرآني الظاهر المعنى.

قال **ابن عاشور**: " معنى ﴿ **يتدبَّرون القرآن** ﴾ يتأمّلون دلالته، وذلك يحتمل معنيين: أحدهما أن يتأمّلوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبّر تفاصيله؛ وثانيهما: أن يتأمّلوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنه من عند الله، وأنّ الذي جاء به صادق".

قال عبد الرحمن حبنكة: " التدبر هو التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة ".

وقال د. أحمد آل سبالك: " والتدبر يعني ألا يقف القارئ على ظاهر المعنى بل يتطلب منه التفكر بعمق، والتأمل بإمعان إلى الجوهر وإدراك المعنى المقصود من حيث خصوصية المعنى مع شموله لجميع الظروف والأحوال ".

ومما يشهد لدخولها في التدبر ما استدل به ابن القيم في قوله: " فصل في ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فإن قلت: إنك قد أشرت إلى مقام عظيم فافتح لي بابه واكشف لي حجابه وكيف تدبر القرآن وتفهمه والإشراف على عجائبه وكنوزه وهذه تفاسير الأئمة بأيدينا فهل في البيان غير ما ذكروه قلت: سأضرب لك أمثالا تحتذي عليها وتجعلها إماما لك في هذا المقصد.

قال الله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾

فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الذاريات 24 - 30].

فعهدي بك إذا قرأت هذه الآية وتطلعت إلى معناها وتدبرتها فإنما تطلع منها على أن الملائكة أتوا إبراهيم في صورة الأضياف يأكلون ويشربون وبشروه بغلام عليم وإنما امرأته عجبت من ذلك فأخبرتها الملائكة أن الله قال ذلك ولم يتجاوز تدبرك غير ذلك فاسمع الآن بعض ما في هذه الآيات من أنواع الأسرار:

- فكم قد تضمنت من الثناء على إبراهيم؟.

- وكيف جمعت الضيافة وحقوقها؟.

- وما تضمنت من الرد على أهل الباطل من الفلاسفة والمعطلة؟.

- وكيف تضمنت علما عظيما من أعلام النبوة؟.

- وكيف تضمنت جميع صفات الكمال التي ردها إلى العلم والحكمة؟.

- وكيف أشارت إلى دليل إمكان المعاد بألطف إشارة وأوضحها ثم أفصحت وقوعه؟.

- وكيف تضمنت الإخبار عن عدل الرب وانتقامه من الأمم المكذبة؟.

وتضمنت ذكر الإسلام والإيمان والفرق بينهما ، وتضمنت بقاء آيات الرب الدالة على توحيده وصدق رسله وعلى اليوم الأخر، وتضمنت أنه لا ينتفع بهذا كله إلا من في قلبه خوف من عذاب الآخرة وهم المؤمنون بها.

وأما من لا يخاف الآخرة ولا يؤمن بها فلا ينتفع بتلك الآيات.

فاسمع الآن بعض تفاصيل هذه الجملة ...... ". ثم فصل في بيانها بما لا حاجة لذكره.

فظهر بذلك أن استخراج الدلالات وأسرار التعبير من التدبر، ولذلك قال في سياق كلامه: " فعهدي بك إذا قرأت هذه الآية وتطلعت إلى معناها وتدبرتها فإنما تطلع منها على ... "

المحور الثاني: أدلة وشواهد التفاعل مع الآيات:

التفاعل مع الآيات شامل لتفاعل القلب واللسان والجوارح، والقصد منه أن يكون خارجاً من كونه حاكياً للكلام إلى كونه ممتثلاً له يعلم أنه هو المقصود والمخاطب به.

فأما تفاعل القلب فهو بالإيمان به والتعظيم الباعث على الخضوع والانقياد.

أما الإيمان به: فهو يشمل الإيمان والتصديق ابتداءً بأنه كلام الله تعالى أنزله هدى للناس، واستحضار مقاصده العامة، وأنه لا سبيل للنجاة إلا به.

وصدق الله تعالى حيث قال:﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة: 121].

قال مالك بن دينار: (أقسم لكم لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا صدع قلبه).

وقال الإمام البخاري: (لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن ولا يحمله بحقه إلا الموقن).والإيمان به يتضمن أيضاً شعور القارئ بأنه مقصود في الخطاب والأمر والنهي.

قال الحسن: " إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار ".

وقال أبو حامد الغزالي عند حديثه عما سماه التخصيص: " أن يقدر قارئ القرآن الكريم أنه المقصود بكل خطاب ورد فيه، فإن سمع أمراً أو نهياً قدّر أنه المنهي والمأمور، وإن سمع وعداً أو وعيداً فكمثل ذلك .. ".

وقال ابن قدامة: " ينبغي لتالي القرآن أن يعلم أنه المقصود بخطاب القرآن ووعيده، وأن القصص لم يرد بها السمر بل العبر).

وأما التعظيم: فهو تعظيم الكلام وتعظيم المتكلم به وهو الله تعالى؛ تعظيماً يبعث على الخضوع والانقياد والامتثال، تأمل كيف كان حال النبي عند نزول القرآن عليه؟

فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله:

(أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول)..

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله إذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربَّد له جِلده). (أي تغير بمثل القشعريرة).

فانظر كيف كان عظم أمر الوحي في نفس رسول الله.

وتأمل قول الله تعالى في وصف أهل القرآن:

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ [الزمر:23].

فانظر كيف وصفهم بالقشعريرة من خشيتهم لربهم وتعظيمهم له وتعظيماً لكلامه تعالى عند سماعه وقراءته، وذلك الذي بعثهم على الخضوع له والانقياد، ولذلك قال بعدها: ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾.

- وبهذا نعلم بأن التدبر لا يكون إلا بالتعظيم.

قال أبو حامد الغزالي في أعمال الباطن في التلاوة: " فالأول: فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة إفهام خلقه .... فإن المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه. والثاني: التعظيم للمتكلم فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر وإن في تلاوة كلام الله عز و جل غاية الخطر".

وأما تفاعل اللسان: فيكون في عدة أمور:

منها: تحسين القراءة وترتيلها والتغني بها من غير تمطيط مفرط يغير النظم، وذلك سنة، ويشهد لذلك:

ما أخرجه أصحاب السنن وغيرهم عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال- ﷺ - :((حسنوا القرآن بأصواتكم)) ..

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال- ﷺ - : ((ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن)) زاد مسلم ((لنبي حسن الصوت)) ..

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال- ﷺ - : ((ليس منا من لم يتغن بالقرآن)).. قيل أراد به الاستغناء، وقيل أراد به الترنم وترديد الألحان به وهو أقرب عند أهل اللغة.

وعن عمر رضي الله عنه أن النبي - ﷺ - استمع إلى ابن مسعود وهو يقرأ فوقف طويلا ثم قال: ((من أحب أن يقرأ القرآن غضا طريا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد)) ..

ومنها: قراءة القرآن بترسل وترتيل وعلى مكث: وقد جاء القرآن بالأمر بذلك ومنه:

1 - قوله تعالى: ﴿ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ ﴾ [المزمل: 4] قال ابن كثير: " وقوله: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾ أي: اقرأه على تمهل، فإنه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره.

وكذلك كان يقرأ، قالت عائشة: كان يقرأ السورة فيرتلها، حتى تكون أطول من أطول منها.

وفي صحيح البخاري، عن أنس: أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: كانت مدًا، ثم قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يمد بسم الله، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم. وقال ابن جُرَيج، عن ابن أبي مُلَيكة عن أم سلمة: أنها سُئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: كان يقطع قراءته آية آية، ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ﴾ رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي. " ..

وقال ابن عاشور: " والترتيل: جعل الشيء مرتَّلاً، أي مفرقاً ... وأريد بترتيل القرآن ترتيل قراءته، أي التمهل ...

وفائدة هذا أن يرسخ حفظه ويتلقاه السامعون فيعلَقُ بحوافظهم، ويتدبر قارئه وسامعه معانيَه كي لا يسبق لفظُ اللسان عملَ الفهم" ..

2 - قوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الإسراء:106]، قال مجاهد :﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ على تؤدة.

3 - كانت قراءة النبي كما نعتتها أم سلمة رضي الله عنها قالت: كانت قراءة رسول الله مفسرة حرفاً حرفا.

4 - عن حفصة زوج النبي، أنها قالت: (كان يقرأ في السورة، فيرتلها، حتى تكون أطول من أطول منها).

5 - قال ابن مسعود لعلقمة وقد عجل في القراءة: (فداك أبي وأمي رتل فإنه زين القرآن).

6 - عن أبى حمزة قال قلت لابن عباس: (إني سريع القراءة وإني أقرأ القرآن في ثلاث فقال: لأن اقرأ البقرة في ليلة فأدبرها وأرتلها أحب إلى من أن أقرأ كما تقول).

7 - سئل مجاهد عن رجل قرأ البقرة وآل عمران ورجل قرأ البقرة، قراءتهما واحدة وركوعهما واحد، وسجودهما واحد، أيهما أفضل؟ قال: الذي يقرأ البقرة، ثم قرأ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الإسراء:106].

8 - يقول إسحاق بن إبراهيم عن الفضيل بن عياض كانت قراءته حزينة شهية بطيئة مترسلة كأنه يخاطب إنساناً، وكان إذا مرّ بآية فيها ذكر الجنة يردد فيها ويسأل).

قال الآجري: " القليل من الدرس للقرآن مع الفكر فيه وتدبره أحب إلى من قراءة الكثير من القرآن بغير تدبر ولا تفكر فيه، فظاهر القرآن يدل على ذلك والسنة وأقوال أئمة المسلمين".

وقال ابن مفلح: " أقل الترتيل ترك العجلة في القرآن عن الإبانة، وأكمله أن يرتل القراءة ويتوقف فيها ".

ومنها: القراءة بتحزن وتباكي: القراءة بتحزن وتباكي هي من التفاعل مع القرآن ولها أثر بالغ في التدبر.

ويشهد لذلك: 1- ما روي عن سعد بن أبي وقاص قال: قال - ﷺ - : (إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا).

2 - ما روي عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال- ﷺ - : (إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا).

3- قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه).

قال الإمام الغزالي: " البكاء مستحب مع القراءة .. وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء، ووجه إحضار الحزن أن

يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكي فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فإن ذلك أعظم المصائب".

ومنها: ترديد الآية: وترديد الآية وتكرارها له أثر عظيم في حضور القلب واستحضار الآيات والتأثر بها، وهو من التدبر من حيث إعادة النظرة مرة بعد مرة.

ويؤكد ذلك الزمخشري في تفسيره فيقول:" إن في التكرار تقريراً للمعاني في الأنفس، وتثبيتاً لها في الصدور ".

ويقول صاحب كتاب التعبير القرآني والدلالة النفسية: " إن الذين تحدثوا عن علم النفس أشاروا إلى أنه متى كثر تكرار أمر تولّد تيار فكري وعاطفي، يتلوه ذلك المؤثر العظيم في الأفراد والجماعات، وهو العدوى ".

وقد ورد ذلك عن النبي- ﷺ - ، والسلف من بعده:

1 - أخرج النسائي وابن ماجة عن أبي ذر قال: (قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنا ليلة فقام بآية يرددها وهي قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١١٨﴾ [المائدة:118].

2 - ورد ذلك أيضاً عن عدد من الصحابة والتابعين كعائشة وسعيد بن جبير والربيع بن خيثم وغيرهم.

3 - قال بعضهم: إني لأفتتح السورة، فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها، حتى يطلع الفجر.

4 - روي عن الحسن أنه ردد ليلة {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [النحل: 18] حتى أصبح، فقيل له في ذلك: فقال: إن فيها معتبرا ما نرفع طرفا ولا نرده إلا وقع على نعمة، وما لا نعلمه من نعم الله أكثر).

5 - روي عن تميم الداري أنه قام ليلة بهذه الآية ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ٢١﴾ [الجاثية: 21].

6 - قال محمد بن عوف الحمصي: (رأيت أحمد بن أبي الحواري عندنا بأن طرسوس، فلما صلى العتمة قام يصلي: فاستفتح: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ فلما بلغ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ فطفت الحائط كله، ثم رجعت، فإذا هو لا يجاوزها، ثم نمت، ومررت في السحر وهو يقرأ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ فلم يزل يرددها إلى الصبح) .

7 - روى أن عامر بن عبد قيس قرأ ليلة سورة (المؤمن) وهي المعروفة بسورة (غافر)، فلما انتهى إلى هذه الآية ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝١٨ ﴾ [غافر:18] لم يزل يرددها حتى أصبح.

8 - حكي عن أبي سليمان الداراني أنه قال: (إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها).

وقال ابن القيم: " هذه عادة السلف يردد أحدهم الآية حتى يصبح ".

قال الإمام الغزالي: " وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بترديد فليردد إلا أن يكون خلف إمام فإنه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الإمام بآية أخرى كان مسيئاً ".

ومنها: التفاعل مع الآيات بالسؤال والتعوذ والاستغفار ونحوه عند مناسبة ذلك، فهو دال على التفاعل الحي وأن القارئ حاضر القلب مع التلاوة، وهو من أعظم صفات التفاعل الدالة على التدبر، ولذا كان هو هدي النبي - ﷺ - والسلف الصالح رحمهم الله:

1 - أخرج مسلم عن حذيفة: قال صليت مع النبي- ﷺ - ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت يركع عند المائة ثم مضى، فقلت يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ ".

2 - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها {أليس الله بأحكم الحاكمين} [التين: 8] فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهى إلى ﴿أَلَيْسَ

﴿ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ٤٠﴾ [القيامة: 40] فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ٥٠﴾ [المرسلات: 50] فليقل آمنا بالله).

3 - عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه -: قال: لمَّا نَزَلَتْ: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤ ۞فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ٨٣ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ٨٤ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ٨٥ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ٨٦ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٨٧ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ٩٢ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ٩٣ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٩٥ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٩٦﴾ [الواقعة: 74، 96] قال رسولُ الله ﷺ: ((اجْعلُوهَا في رُكوعِكم))، ولمَّا نَزَلَت: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ [الأعلى: 1] قال: ((اجعلوها في سُجُودِكم)) ..

4 - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعا وموقوفا (إذا قرأ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى:1] قال: سبحان ربي الأعلى).

5 - عن جابر بن عبد الله، قال: لما قرأ رسول الله ﷺ سورة الرحمن على أصحابه حتى فرغ، قال: ((مالي أراكم سكوتا؟ للجن كانوا أحسن منكم ردا. ما قرأت عليهم من مرة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٩﴾، إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد)).

6 - عن عائشة أنه ذكر لها أن ناسا يقرؤون القرآن في الليل مرة أو مرتين، فقالت: أولئك قرؤوا ولم يقرؤوا، كنت أقوم مع النبي ليلة التمام، فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء، فلا يمر بآية فيها تخوف إلا دعا الله واستعاذ، ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه.

7 - روي عن عباد بن حمزة قال: دخلت على أسماء وهي تقرأ: {فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ} [الطور: 27]، قال: فوقفت عليها فجعلت تستعيذ

وتدعو، فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي ثم رجعت وهي فيها بعد تستعيذ وتدعو ".

8 - روي عن الحسين الكرابيسي قال: بت مع الشافعي ليلة، فكان يصلي نحو ثلث الليل، فما رأيته يزيد على خمسين آية، فإذا أكثر فمئة آية، وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل، ولا بآية عذاب إلا تعوذ، وكأنما جمع له الرجاء والرهبة جميعاً..

9 - منه مشروعية التأمين بعد قراءة الإمام للفاتحة، فهو اقتداء وامتثال وهو من التدبر بلا شك؛ لأنه ناتج عن حضور القلب وفهم المعنى المقصود وهو سؤال الهداية.

أما تفاعل الجوارح: فيكون بعدة أمور: منها: القشعريرة يشهد لذلك قوله تعالى عن الجلود: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣ ﴾ [الزمر:23] فتأمل كيف ذكر الجلود وتفاعلها بالقشعريرة.

ومنها الأزيز ودمع العين والنشيج: وقد أثنى الله تعالى على الذين تدمع عيونهم عند سماع القرآن فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣ ﴾ [المائدة:83].

وروى أن رسول الله ﷺ كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل ..

وروي أن رسول الله ﷺ قال لابن مسعود " اقرأ علي قال: فافتتحت سورة النساء فلما بلغت " فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً " رأيت عينيه تذرفان بالدمع فقال لي: حسبك الآن " ..

وفي صحيح البخاري عن عائشة: " وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن " ..

وعن الحسن قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمر بالآية من ورده بالليل فتخنقه العبرة فيبكي حتى يسقط، ثم يلزم بيته حتى يعاد يحسبونه مريضاً ..

وعن ابن أبي مليكة: قال: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة، فكان يصلي ركعتين، فإذا نزل قام شطر الليل ويرتل القرآن حرفاً حرفا، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب.

وروي عن بعضهم أنه يغشى عليهم، وبعضهم يصعق، ولكن ذلك لم يكن في الصحابة، قالت أسماء بنت أبي بكر: " ما كان أحد من السلف يغشى عليه، ولا يصعق عند قراءة القرآن، وإنما يبكون ويقشعرون، ثم تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله ".. .

ومنها السجود: وقد أثنى الله على الذين يخرون سجداً إذا ذُكِّروا بآيات ربهم أو تليت عليهم:

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ [مريم: 58]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ [السجدة: 15].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء: 109].

وتأمل كيف شرع السجود عند هذه الآيات كأنه تفاعل من المستمع بحضور المشهد ودخوله مع الموصوفين، وهو من التفاعل الدال على التدبر لأنه امتثال واقتداء.

قال الإمام الغزالي رحمه الله في كلام نفيس حول التفاعل مع الآيات قلباً ولساناً وجوارحاً:" تأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة: فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت.

وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح.

وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله واستشعاراً لعظمته.

وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل كذكرهم لله عز وجل ولداً وصاحبة يغض صوته ويكسر في باطنه حياء قبح مقالتهم.

وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقاً إليها، وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفاً منها.

فمثل هذه الأحوال يخرجه عن أن يكون حاكياً في كلامه:

فإذا قال ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٥ ﴾ [يونس:15] ولم يكن خائفاً كان حاكياً.

وإذا قال ﴿ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤ ﴾ [الممتحنة:4] ولم يكن حاله التوكل والإنابة كان حاكياً.

وإذا قال ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ١٢ ﴾ [إبراهيم:12] فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة.

فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان ... " .

المحور الثالث: أدلة وشواهد قصد الانتفاع والامتثال: وهذا هو بيت القصيد ومحط الراحل وغاية المتدبر.

وإنما قلنا بتضمن التدبر لقصد الانتفاع والامتثال لأن الغاية من قراءة القرآن هي الانتفاع والامتثال، والتدبر وسيلة لذلك

فلا بد أن يتضمنه التدبر الذي هو مقصد نزول القرآن. أما قصد مجرد التلاوة، أو مجرد العلم بالمعنى دون قصد الانتفاع والامتثال فذلك أمر قاصر عن التدبر.

قال عبد الرحمن حبنكة: " ليس الغرض من التدبر مجرد الترف العلمي، والافتخار بتحصيل المعرفة، والتوصل إلى كشف المعاني للتعالي بمعرفتها واكتشافها، وإنما وراء الفهم غرض التذكر والعظة، والعمل بموجب العلم، وهذا التذكر المقصود لا يحظى به إلا أولو الألباب ".

والانتفاع المقصود هنا هو الإيمان والعلم: قال شيخ الإسلام: " والإنسان يقرأ السورة مرات حتى سورة الفاتحة ويظهر له في أثناء الحال من معانيها ما لم

يكن خطر له قبل ذلك حتى كأنها تلك الساعة نزلت فيؤمن بتلك المعاني ويزداد علمه وعمله، وهذا موجود في كل من قرأ القرآن بتدبر بخلاف من قرأه مع الغفلة عنه".

أما الإيمان فالمقصود به ما تورثه القراءة من زيادة الإيمان والخشية، وهو أعظم غايات الانتفاع بالقرآن وثمراته ويشهد لذلك:

1 - قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ [الأنفال: 2].

2 - قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤ ﴾ [التوبة:124].

فتأمل التعبير في الآيتين بقوله ﴿زَادَتْهُمْ﴾ مما يدل على أن أعظم آثار القرآن هو الإيمان، وذلك لا يكون إلا بالتدبر، فالإيمان إذاً مقصد من مقاصد المتدبر للقرآن.

3 - قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١ ﴾.

فتأمل قوله ﴿ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ ثم عقبها بقوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ﴾ مما يدل على أن التلاوة المصاحبة للتدبر مؤدية للإيمان.

- وأما العلم فالمقصود به أمران:

الأول: العلم بما تضمنته الآيات من المعاني والدلالات.

الثاني: العلم بما تضمنته الآيات مما يلزم الامتثال له من الأوامر والنواهي، وما يلزم الاتعاظ به من الوعد والوعيد، والعبر والسنن الإلهية.

ويشهد لذلك:

1 - قوله تعالى: ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣ ﴾ [العنكبوت: 43].

قال السعدي في تفسيره للآية: " ﴿ وَمَا يَعۡقِلُهَآ ﴾ بفهمها وتدبرها، وتطبيقها على ما ضربت له، وعقلها في القلب ﴿ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣ ﴾ أي: أهل العلم

الحقيقي، الذين وصل العلم إلى قلوبهم. وهذا مدح للأمثال التي يضربها، وحثٌّ على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعُلِم أن من لم يعقلها ليس من العالمين.

والسبب في ذلك، أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن، إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها، لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيبذلون جهدهم في معرفتها".

2 - ما ورد عن عمر أنه مكث في تعلم سورة البقرة اثنتي عشرة سنة، وابنه عبد الله مكث في تعلمها ثماني سنين.

3 - أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الله بن مسعود قال: إذا سمعت الله يقول: (يا أيها الذين آمنوا) فأرعها سمعك؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه. .

قال الغزالي: " إن سمع قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقصص الأولين علم أنها لم ترو للتسلية والسمر، وإنما للعظة والاعتبار، فما من قصة في القرآن إلا وسياقها لفائدة في حق النبي وأمته، لذلك قال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود 120] ". .. وأما الامتثال فهو يشمل العمل والسلوك، وهو ثمرة الإيمان وعاقبة التدبر.

والقرآن بكونه مثاني مليء بالأساليب المحفزة للامتثال والعمل، ومنها أسلوب الأمر والنهي، وأسلوب الجزاء والعقاب، وأسلوب الوعد والوعيد، وأسلوب الترغيب والترهيب، وهذه الأساليب وغيرها دالة على أن القرآن أنزل للامتثال والعمل، وهذا يؤكد لنا أن التدبر لا يكون إلا بالإقبال على القرآن بنية الامتثال والعمل.

وهذا هو منهج النبي والسلف الصالح، وغاية مرادهم من القرآن، ويشهد له:

1 - ما أخرجه مسلم عن سعد بن هشام بن عامر قال: سألت عائشة رضي الله عنها فقلت يا أم المؤمنين: أنبئيني عن خلق رسول الله - ﷺ -. قالت ألست

تقرأ القرآن قلت بلى. قالت فإن خلق نبي الله - ﷺ - كان خلقه القرآن. فقلت: أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ فقالت ألست تقرأ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ [المزمل:1] قلت: بلى. قالت: فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولا وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة.

- ففي هذا الحديث دلالة على منهج النبي في التعامل مع القرآن وهو التخلق بأخلاقه، والعمل بأوامره، ولذا حين نزلت

عليه سورة المزمل عرف حقيقة الأمر وقدّره، فقال لخديجة رضي الله عنها وهي تدعوه أن يطمئن وينام: «مضى عهد النوم يا خديجة».

2 - ويشهد لذلك أيضاً ما أخبرت به عائشة رضي الله عنها حينما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت: "كان خلقه القرآن، يغضب لغضبه، ويرضى لرضاه".

يصدق ذلك القرآن بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: 4].

3 - وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال له رجل هيّه يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب حتى هم به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:199]

وإن هذا من الجاهلين. يقول ابن عباس: والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله).

4 - وما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كان الرجل منّا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن).

5 - وقال ابن عمر: (كان الفاضل من أصحاب النبي في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها، ورزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يرزقون القرآن منهم الصبي والأعمى، ولا يرزقون العمل به).

6 - وقال أبو عبد الرحمن السلمي، وهو أحد تلاميذ الصحابة: إنما أخذنا القرآن من قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما فيهن من العمل، قال: فتعلمنا العلم والعمل جميعاً.

7 - وقال الحسن البصري: (والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل).

وقد أكد السلف والعلماء على أن يكون هذا هو حال حامل القرآن وتاليه بحيث يظهر أثر القرآن عليه خلقاً وعملاً ومن ذلك:

1 - قال ابن مسعود: (ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون، وبنهاره إذا الناس يفرِّطون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبِصمْته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكينا لينا، ولا ينبغي له أن يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحاً ولا صخاباً ولا حديداً ".

2 - عن الفضيل بن عياض قال: (حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن).

3 - **قال الآجري** في أخلاق حملة القرآن: " يتصفح القرآن ليؤدب به نفسه ، - همته متى أكون من المتقين؟- متى أكون من الخاشعين؟ - متى أكون من الصابرين؟ - متى أزهد في الدنيا؟- متى أنهى نفسي عن الهوى؟ ".

فهذا يؤكد لنا أن القارئ للقرآن لا بد أن يكون مستصحباً في تلاوته نية الامتثال والعمل وهذا هو التدبر.

* الخلاصة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد: ففي نهاية هذه الدراسة التي يسر الله تعالى إعدادها حول مفهوم التدبر في ضوء القرآن والسنة وأقوال السلف وأحوالهم، يمكن أن نخلص إلى أمور وتوصيات مهمة:

لعله اتضح مما سبق ما يأتي:

تآزر دلالة المادة (دبر) مع دلالة الصيغة في إظهار سمات محددة يمكن جمعها فيما يأتي:

أ- النظر في المقاصد والغايات.

ب- التدرُّج، والحدوث، والتجدد.

ج- بذل الجهد.

د- الصبر، والتحمل.

أنَّ أقرب المرادفات للتدبر هو التأويل لاجتماع الكلمتين في دلالة المآل والعاقبة، مع فروق في الوضوح والخفاء.

اختصاص (التدبر) بالقرآن، فلم يرد إلّا معه، وهذا يوجب - في نظري - عناية خاصة بالآيات التي ورد فيها التدبر، واقترح أن يكون هناك بحثاً آخر خاصاً بها (تحليلاً، وتفسيراً، وموازنةً) ، ويمكن أن تدرس فيه الفروق بين (النظر، والتفكر، والتأويل، والتدبر) من خلال القرآن، وهذا ما يمكن أن يوجد منهجاً معيناً في محاولة تحدِّد مفهوم هذه المصطلحات.

تنوُّع ما يدل على القرآن مع التدبر، فمرة يذكر القرآن، وهو الأكثر، ومرة يرد القول، ومرة ترد الآيات، ولعل هذا يشير إلى مجالات التدبر، وأنَّ أدناها الآية، وأوسعها القرآن كله، وقد يكون فيه إشارة المقروء والمسموع منه.

يمكن تحديد أسباب أهمية البحث في الأمور التالية:

1- إن التدبر موضوع أساسي له علاقة وثيقة بالقرآن الكريم.

2- إن التدبر هو المقصود الأعظم من تنزل القرآن العظيم.

3- إن التدبر نوع مهم من تعلم القرآن، والذي به تنال الخيرية والأفضلية التي بينها رسول الله ﷺ.

4- الاقتداء بالرسول ﷺ في تدبر كتاب الله.

5- إن هذا البحث مبني على مراحل منهجية يستفيد منها المتعلمون والمعلمون، والمهتمون بالعملية التربوية عموما.

ومما نخلص إليه أيضا:

1- إن مفهوم تدبر القرآن لا يحد بمعناه اللغوي وهو النظر فيما وراء الألفاظ من المعاني والدلالات، وإنما يمتد إلى مقدمات التدبر وهو حضور القلب واستشعاره، ونهاياته وهو قصد الانتفاع إيمانا وعلماً وعملاً.

2- أن التدبر مبني على ركنين أساسيين لابد للمتدبر منها:

الأول: الركن النظري بالوقوف مع الآيات والتأمل فيها.

الثاني: الركن العملي بالتفاعل مع الآيات وقصد الانتفاع والامتثال.

3- أن الفرق بين التدبر و بين التفسير والاستنباط يتحدد بحسب غرض القارئ لكتاب الله تعالى؛ فالمفسر والمستنبط يكون غرضه الوصول إلى المعاني والدلالات، والمتدبر لا بد أن يكون مع ذلك مستصحباً قصد الانتفاع والامتثال والعمل. فهذا الذي يميز التدبر عن التفسير، وهو الفرق الجوهري بينهما، ولذا فيمكن أن يسمى المفسر متدبراً إذا قصد الانتفاع والامتثال والعمل.

4- أن التدبر واجب الأمة كلها لأنه المقصود من إنزال القرآن كما صرحت الآيات بذلك أمراً به وحثاً عليه، وأن التفسير هو واجب بحسب الحاجة إليه لفهم القرآن والعمل به، والناس فيهما مراتب بحسب رسوخ إيمانهم وعلمهم.

5- أن منهج السلف الصالح في التدبر وإن كان مبنياً على الركنين جميعاً، لكنه يبرز في الجانب العملي، لأنهم كما قال ابن عمر: (ورزقوا العمل بالقرآن)، وهذا الذي تفقده الأمة اليوم كما قال في تمام كلامه: (وإن آخر هذه الأمة يرزقون القرآن منهم الصبي والأعمى، ولا يرزقون العمل به).

وأرى أن التدبر كالصورة الواحدة المكونة من عدة أجزاء لا تكتمل إلا بسائر أجزائها، وهو مكون من ثلاثة أجزاء:

1-التدبر قبل التلاوة.

2-التدبر أثناء التلاوة.

3-التدبر بعد التلاوة.

ومن لم يحقق هذه الأمور فليس بمتدبر.

التوصيات:

لقد كتب الكثيرون من المهتمين بموضوع تدبر القرآن الكريم، وبين المصنفون من العلماء مفهوم التدبر، وآثاره، ووسائله، والطرق المعينة على تحقيقه، وغير ذلك من المباحث الضرورية المتعلقة بالتدبر.

وسيكون ختامي طرحاً ناحياً نحو اتجاه آخر في مفهوم التدبر، ألا وهو كيف نجعل التدبر علماً يُعَلم، مثل غيره من علوم القرآن، كما نعلم التجويد، أو التفسير، أو كما نعلم القواعد، أو الرياضيات، ونستفيد في ذلك من أبجديات علم المناهج وطرق التدريس وعلم النفس.

فمن الملاحظ في مؤسسات وحلق تعليم القرآن أنه قليلاً ما يعتنى بذا الجانب، فقد تجد الطالب يحفظ كتاب الله كاملا، ولا يعرف معاني آيات من القرآن الكريم، ولا يحسن تدبرها، وربما يمكث المتعلم سنوات في حلقة التحفيظ، مركزا على حفظ حروف الكتاب ولا يقيم آدابه، ولا يتمثله في واقعه سلوكا، وما ذلك إلا لأنه لم يعر هذا الجانب اهتماما، أو لأنه لم يجد معلما يبصره بطرق التدبر وأساليبه العملية، أو لم يتيسر له التتلمذ على يد مرب يحسن التعامل

مع قدراته المعرفية، واستعداداته الذهنية، ويعينه على الرقي الفكري والسلوكي من خلال الوسائل التحفيزية، المادية منها والمعنوية.

وإني أؤكد لك هذه المشكلة التربوية باعتباري أحد المسئولين بإحدى جمعيات تحفيظ القرآن قائلاً بأنه:

«لو نظرنا في واقع الحلقات لوجدنا تقصيراً واضحا في هذا المجال، وأن أكثر الدارسين اقتصروا على التحفيظ دون التدبر والتفهم بسبب ما يأتي:

1- ضيق وقت الحلقة.

2- كثرة عدد الطلاب.

3- صغر سن الطلاب.

وظهر لي أن عدم تدبر أكثر الطلاب لقراءة القرآن الكريم من خلال عدم مراعاتهم للوقف والابتداء أثناء تسميعي لهم في الحلقات، أو في الاختبارات والمسابقات، فيقف الطالب وقفًا عجيباً ، ويبتدئ ابتداءً غريباً ، يدل على عدم التدبر والتأمل»

وقد يكون من المعلمين من يحث طلابه على التدبر نظريا، ويردد عليهم هذا التوجيه مرارًا وتكرارا، ويجتهد في ذلك، ولكنه لا يعرفهم بكيفية التدبر وأصوله وخطواته، ولا يراعي التدرج التربوي، ولا النمو المرحلي لهم، وبالتالي تكون توجيهاته قليلة الفائدة، أو بلا أثر يذكر وال نتيجة تظهر.

ولتجاوز هذا القصور التربوي لابد من بناء خطوات ومراحل منهجية في تعلم وتعليم التدبر، معتمدة على ما يفيد من نظريات تربوية معاصرة، حيث «تؤكد الاتجاهات التربوية الحديثة على أهمية استخدام أساليب التعليم والتعلم التي تؤكد على إيجابية المتعلم ونشاطه في أثناء العملية التعليمية، وعلى ضرورة تهيئة الظروف الملائمة لجعل المتعلم يكتشف المعلومات بنفسه بدلا من الحصول عليها جاهزة، وعلى أن يتحول دور المعلم من تلقين المعلومات إلى توجيه المتعلم وإرشاده»

ومن تلك النظريات التي ينبغي أن يستفيد منها المهتمون: النظرية السلوكية في علم النفس، والتي تفسر التعلم على أنه استقبال مثير وإصدار استجابة،

وتستفيد من نظرية الاقتران الشرطي، وما يتعلق بها من مفاهيم وتطبيقات التعزيز، وكذلك نظرية اكتساب العادات وتدعيم السلوك.

إن التدبر يستحق أن يكون علماً منفصلاً من علوم القرآن، بل من العلوم المعاصرة التي تُفرد لها المؤلفات والكتابات الخاصة، ويستحق أن تنشأ له المؤسسات التربوية، وتكون مستقلة عن غيرها من الجهات التعليمية، شأنه في ذلك شأن حلقات التحفيظ القرآنية، وهو علم يستحق أن يُطبق عليه منهج المواد الدراسية المنفصلة، والذي «يعني بوضع كل مجال دراسي خاص في مقرر منفصل عن بقية المقررات الدراسية الأخرى، أي أنه يرتب المواد الدراسية على أساس الفصل فيما بينها، بحيث تمثل كل مادة قسماً خاصا من التراث المعرفي الإنساني، ثم توزع هذه الأقسام - بترتيب منطقي- على سنوات الدراسة التي يقضيها الطلاب في السلم التعليمي» فإذا ما أردنا تطبيق هذا المنهج، فإن الأمر يستلزم فصل علم التدبر عن غيره من علوم القرآن.

وأخيرا، أود أن أشير في هذا الطرح إلى أنني بحثت في هذا الموضوع المهم، ولكن هذا البحث لم يستوعب كل ما يتصل بذا التنظير الجديد لموضوع التدبر،

وما ذكر فيه من تفصيلات تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث، كما أنها قد لا تكون أهمها وأحقها بالدراسة، ولكن الله يسر لي إبرازها لفتح باب المناقشة والدراسة العلمية، وهي قابلة للتعديل والتقويم.

وأحسب أني قد طرقت باباً جديدًا لموضوع قديم، علينا جميعا أن نجتهد فيه، ونحاول الوصول إلى الصواب، فلكل مجتهد نصيب، ولكل مخطئ توبة، ولا يضيع الله أجر من أحسن عملاً.

لخروج بمنهج عملي لهذا الموضوع المهم يمكن أن نخلص إلى توصيات مهمة:

1 - أن أعظم ما يجب على أهل العلم بالقرآن والمهتمين به والمؤسسات القرآنية في هذا الوقت هو العودة بالأمة إلى منهج التدبر الأمثل الذي تمثله الجيل الأول من الصحابة والتابعين، وذلك بتوجيههم لأبناء الأمة وأجيالها لتلقي القرآن بقصد الانتفاع والامتثال والعمل مع قصد التلاوة والحفظ.

2 - إقامة لقاءات دورية تجمع النخبة من أهل العلم والتخصص والاهتمام بغرض دراسة الخطط والمناهج العملية للتدبر وسبل تفعيلها، ومن ثم نشرها بين المؤسسات والمدارس القرآنية والتعليمية.

3 - أن يتركز عمل كل منا على تفعيل منهج التدبر العملي الذي تمثل في منهج السلف الصالح، وأن يسعى كل منا لطرح البرامج والمناهج العملية التي تدعم مناهج المؤسسات والمدارس القرآنية القائمة على تحفيظ القرآن الكريم، ليكتمل البناء ويظهر الأثر العظيم للقرآن في الجيل المعاصر.

4 - أن يكون من عمل جوال تدبر نشر الوعي بهذا المنهج بالتركيز على نشر الآثار الواردة عن السلف في ذلك مع التوجيهات المناسبة لذلك، وأن يتبنى منهجاً يجمع بين الجانب النظري بالتفسير والاستنباط والجانب العملي بالتوجيه للانتفاع والعمل. بحيث تضمن الرسالة الاستنباطية ما يمكن الاستفادة منه عملاً وسلوكاً.

هذا ما يسر الله تعالى كتابته في هذا المبحث ، ولا يزال التدبر بحاجة إلى تدبر، نسأل الله تعالى أن يعقب هذه الخطوة خطوات فاعلة وآثار نافعة للإسلام

والمسلمين كما نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل القرآن المتدبرين له والعاملين به، وأن يرزق الأمة عودة صادقة إلى كتاب ربها، وتقويم سبيلها به على وفق منهج سلفها الصالح.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباب الثالث

آفات مرديه

آفَاتٌ مُرْدِيَه

لقد أنعم اللهُ - عز وجلَّ- علينا في هذا الزمان بهذه الصحوة المباركة في تدبُّر القرآن الكريم، وهذه النهضة في ميادينه على مستوى التأليف والتدريس والتطبيق، بل قد نشأت بعض المؤسسات العلمية والتربوية أصالةً للعناية بهذا الغرض الشريف، وصار موضوع تدبُّر القرآن حاضرًا في الحلقات القرآنية بعد أن غاب عنها طويلًا.

تدبُّر القرآن.. تلك الكلمة الجميلة التي حجبتها سُحُب الغفلة، وانصرف الناسُ عنها حتى كادت آثارُها تمحي في نفوسهم، بينما كانت علاقةُ بعضهم بالقرآن مقتصرةً على حفظ ألفاظه، وإتقان أحكام تجويده، وعلاقة آخرين مقتصرةً على قراءة حروفه هذًّا كهذِّ الشعر، لا يَتجاوزُ الحروفَ إلى ما وراءها من الهُدى والنور الذي وصف اللهُ - عز وجلَّ- به كتابَه الكريم.

ثم كانت هذه العودة لتنفضَ الترابَ عن هذا الكنز المغفول عنه، ولتنقشعَ تلك السحب، ولترفعَ الغشاوةَ عن أعينٍ طالما حُرمتْ مِن الاهتداء بآيات

القرآن والانفعال والتأثّر بها، وكثُرت المحاضرات والدورات والمؤلفات في مجال تدبُّر القرآن، ثمَّ خرجت مِن ضيق صالات الدرس ومدرجات الجامعات إلى رحابة الأمة الواسعة، متخصِّصيها وغير متخصِّصيها، كبيرها وصغيرها، عالمها وجاهلها.

وإنَّ عودة الأمة وانبعاثها إلى مجدها من جديد لن يكون إلا من خلال ذلك الحَبْل الذي جعل اللهُ - عز وجلَّ- طرفَه بيده وطرفَه بأيدينا، وهو هذا القرآن العظيم؛ لذا فما زلنا في حاجة إلى مزيدِ توعيةٍ ونشرٍ لثقافة تدبُّر القرآن؛ فإن الصحوة وإن كانت ملحوظةً للمتابع بصورة واضحة، إلا أنها ما زالت في أولى خطواتها، وإنما أينعت ثمارُ خطواتِها الأولى ببركة هذا الكتاب المجيد الذي جعله اللهُ مباركًا، ولعلَّ في هذه الثمار العاجلة مزيدَ ترغيبٍ وحثٍّ للانطلاق إلى مزيدٍ مِن بثِّ الوعي بشأن تدبر القرآن الكريم.

والانبعاثُ مِن تحت الركام قد يعتريه بعضُ الزلل، ويعتَوِرُه بعضُ النقص، وقد تَعرِض له أعراضٌ تحتاج إلى تقويمٍ وتوجيهٍ وتصحيحٍ، فينبغي إعادةُ النظر

والتقويم لما يُطرَح في هذا الباب دوريًّا لتصحيح مساره، وتوجيهه التوجيه الأمثل.

وإن مما عَرَض لمسيرة التدبُّر: الانحصار في اللطائف القرآنية كثمرة من ثمرات التدبر، ولا يلزم أن يكون ذلك تصريحًا، بل إنّ الممارسات التنفيذية والأمثلة المضروبة والتطبيقات العلمية تكشف وجهَ هذا الانحصار، والذي تجلَّى مظاهرُه في عدة أمور، منها:

- أن إطلاق كلمة التدبُّر صارت تنصرف عند كثيرٍ من الناس إلى ذكر هذه اللطائف القرآنية دون غيرها.

- وكذلك فإنَّ كثيرًا من الكتب المؤلفة في تدبُّر القرآن ركَّزت على أن يكون ناتجها لدى القارئ استنباطَ المعاني الخفية، واستخراجَ اللطائف الدقيقة.

- ثم إنّ كثيرًا مِن الدورات التدريبية التي تُعقد في المؤسسات العلمية والتربوية في العالم الإسلامي تكاد تنحصر مجالات تطبيقها في الورش العملية على هذا الأمر.

- وصار المريدُ لتدبُّر القرآن لا يَعُدُّ نفسَه متدبرًا إلا إذا أخرج مثل هذه اللطائف والفوائد، فإذا عجز عن ذلك ولم يُحسِنه - ولا يُحْسِنُ هذا كلُّ أحد- عدَّ نفسه غيرَ متدّبرٍ، واتَّهم نفسه بكلِّ ما يُذكر من آفاتٍ في عوائق التدبُّر.

- ولا شكَّ أنّ استنباط اللطائف والفوائد داخلٌ إجمالًا في التدبُّر، وإنما الإشكال في حصر التصوُّر عن التدبُّر في هذا الأمر؛ لذلك نريد أن نقف وقفةً مع هذه القضية لنُجيب عن هذه الأسئلة: هل هذا هو تدبُّر القرآن الكريم؟ وهل هذا هو المأمورُ به، اللازمُ لكلِّ أحد؟ وهل لا يُعَدُّ المرء متدبرًا إلا إذا تمكَّن من الوقوف على هذه المعاني الدقيقة؟ ولكن قبل أن نُدْلف إلى الإجابة عن هذه الأسئلة، فإننا في حاجة إلى وقفة مع توصيفٍ لهذه اللطائف القرآنية، وإنزالٍ لها في منزلِها العلميِّ من علوم القرآن الكريم.

توصيف اللطائف القرآنية الشائعة في ممارسات التدبر:

الناظرُ في نماذج اللطائف القرآنية التي تُنشر في الكتب تحت هذا العنوان، وفي تطبيقات دورات تدبُّر القرآن، وكذلك على مواقع التواصل الاجتماعي يجد أن الغالبَ عليها ذكرُ المعاني الخفية في الآيات، وتتنوَّع هذه المعاني في علاقاتها بمعنى الآية، إلا أنّ الجامعَ لها هو الخفاء، لا المعنى الظاهر للآية، ولنضرب مثالًا لذلك: في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [يوسف: 54].

- إن قال قائل: (يقول تعالى إخبارًا عن الملك حين تحقَّق براءةَ يوسف -عليه السلام- ونزاهةَ عِرضه مما نُسب إليه، قال: ﴿ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ﴾ أي: أجعله من أخصَّائي وأهل مشورتي، ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ أي: خاطبه الملكُ وعرفه، ورأى فضله وبراعته، وعلِم ما هو عليه من خُلُق وخَلْق وكمال، قال له الملك: ﴿ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾، أي: إنك عندنا قد بَقِيتَ ذا مكانة وأمانة).فهذا لا يُعدُّ تدبُّرًا على المعنى الشائع للتدبر؛ بل هو بيانٌ للمعنى الظاهر

للآيات، فهو خارج عن المراد من ممارسات تدبُّر القرآن الكريم، وإن كان هو الأساس الذي يُبنى عليه.

- أما إن قال قائل: (لما أراد اللهُ - عز وجلَّ- إظهارَ فضل يوسف - عليه السلام- وشرفه على أهل زمانه كلِّهم؛ أظهر للمَلِك وأهلِ مصر مِن علمِه بتأويل رؤياه ما عجز عنه علماءُ التعبير، فحينئذٍ قدَّمه ومكَّنه وَسلَّم إليه خزائنَ الأرض، وكان قبل ذلك قد حبسه على ما رآه من حُسن وجهه وجمال صورته، ولمَّا ظهر لَهُ حُسنُ صورة علمه وجمالُ معرفته أطلقه من الحبس ومكَّنه فِي الأرض؛ فَدلَّ على أن صورةَ العلمِ عند بني آدم أبهى وأحسن مِن الصورة الحسيّة، ولو كانت أجملَ صورة).

فمعنى تفضيل صورة العلمِ عند بني آدم على الصورة الحسيَّة داخلٌ في التدبُّر على المعنى الشائع، حيث أنّ فيه تجاوزًا للمعنى الظاهر للآية إلى معنى خفيٍّ مِن ورائه. ثمَّ إنَّ كثيرًا ممَّن كتب في تدبر القرآن يجعله قسيمًا للتفسير، وربما صَنَّف في ضوء ذلك ما يُذكر من الفوائد القرآنية إلى تفسير وتدبُّر، وهذا أبين في

التوضيح عن المراد، وإن اختلفت بعض التطبيقات العملية عن ذلك، وأدرجت ما هو بيان لمعنى الآية تحت عنوان التدبر.

وهذا المعنى الخفيُّ ينزل عليه اصطلاحُ (الاستنباط) عند جملةٍ من أهل العلم، كما نسبه النووي - رحمه الله- (ت 676 هـ) إلى العلماء في قوله: «قال العلماء: الاستنباط استخراج ما خَفِي المراد به من اللفظ»، وبقريب مِن هذا عرَّفه الجرجاني (ت 816 هـ) في التعريفات بقوله: «استخراج المعاني من النصوص، بفَرْطِ الذِّهن وقُوَّة القريحة».

وكان معنَيَا الخفاء وإعمال الذهن حاضرَينِ في كثيرٍ من تعريفات أهل العلم ممَّن قصد إلى تعريف الاستنباط مِن المفسرين وغيرهم، ويُمكن مراجعة مبحث: تعريف الاستنباط من القرآن وعلاقته بالتفسير، من كتاب: (منهج الاستنباط من القرآن الكريم)؛ فقد استعرض عددًا من التعريفات للاستنباط، وقام بتحليلها وذِكر الملاحظات عليها.

إذن، فالتوصيف الأقرب لأكثر هذه اللطائف القرآنية التي تتوجَّه إليها أنظار المعتنين بالتدبر هو الاستنباط، ويُمكن القول من خلال ذلك أن طريق الوصول إلى المعنى المستنبط هو التدبُّر، أي أن المعاني المستنبطة هي ثمرة من ثمراته.

ولا شكَّ أنّ هذا العمل من أشرف الأعمال وأجلِّ القربات، وقد قال ابن القيم -رحمه الله- (ت 751هـ): «قد مدح اللهُ تعالى أهلَ الاستنباط في كتابه، وأخبر أنهم أهل العلم»، إلا أنَّ له ضوابطَ وشروطًا ينبغي التنبُّه لها، وإلا فقد كان الاستنباط الخاطئ بذرةَ ضلال كثير من أهل البدع والأهواء؛ إما جهلًا بتفسير الآية ابتداءً، أو قلّة العلم بلغة العرب وأساليبها في الخطاب، أو غفلة عن طرق الاستنباط الصحيح، أو غير ذلك من الأسباب، فلا بدَّ من التنبُّه للضوابط العاصمة من الزلل في الاستنباط، والتأكيد عليها عند تناول هذا الباب.

التدبُّر في القرآن الكريم:

ونعود على بدءٍ، فنسأل: هل تقتصر ثمرات التدبر على استنباط المعاني الخفية واللطائف القرآنية؟! سنحتاجُ هنا إلى أن نرجع إلى التوجيه الإلهي إلى التدبُّر، والنظر في سياقاته التي ورد فيها في القرآن الكريم، والتي ينبغي أن تُمثِّل المنطلقَ

الأولَ في فهم مراد الله تعالى من ذلك، ومن خلالها تُدرَك الثمرات المرجوَّة مِن المتدبِّرِ الممتثِل لهذا التوجيه الإلهي.

- ورد التدبُّر في القرآن الكريم بصيغتي: (يتدبرون) و(يَدَّبَّرُوا)، وكلاهما ورد في موضعين، وقُرئت الثانية في أحد موضعيها: (تَدَبَّرُوا)، فلنقف مع سياق المواضع الأربعة، مع تسليط الضوء على بعض المراد منها مما له تعلُّق بموضوعنا:

1. الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: 82].

الناظرُ في سياق الآيات قبلها يجد أنه في المنافقين، والآية قبلها: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء:81]، وهي في المنافقين باتفاق المفسرين، كما ذكر ذلك ابن عطية -رحمه الله-(ت 542هـ).

وفي هذه الآية الكريمة توقيفٌ وتوبيخٌ للمنافقين على عدم تدبر القرآن، وأنهم لو تدبروه لتبيَّن لهم أنه من عند الله -عزَّ وجل-.

2. الموضع الثاني: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾ [محمد:24]

والناظر في سياق الآيات قبلها يجد أنها في المنافقين أيضًا؛ قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۝٢٠ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۝٢١ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ۝٢٣ ﴾ [محمد: 20-23].

قال ابن عطية -رحمه الله- (ت 542 هـ) في أول تفسير هذه الآيات: «هذا ابتداءُ وصفِ حالِ المؤمنين في جِدّهم في دين الله وحرصهم على ظهوره، وحالِ المنافقين من الكسل والفشل والحرص على فساد دين الله وأهله».

وفي هذه الآية الكريمة توقيفٌ وتوبيخٌ للمنافقين على عدم تدبرهم القرآن كسابقتها، وبيانُ أنَّ الحالَ المقابلة لحال مَن تدبَّر القرآن حالُ مَن أُوصد قلبهُ بالأقفال.

3. الموضع الثالث: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦٨ ﴾ [المؤمنون: 68].

وسياق الآيات قبلها وبعدها في ذكر الكفار، فقبلها: ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ۝٦٦ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ۝٦٧ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦٨ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٦٩ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ۝٧٠ ﴾ [المؤمنون: 66-70]. ففي هذه الآية توقيف وتوبيخ للكفار على عدم تدبرهم القول الذي هو القرآن الكريم الذي يتلوه عليهم رسول الله - ﷺ -.

4. الموضع الرابع: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩ ﴾ [ص: 29]، هكذا قرأ الجمهور، وقرأ أبو جعفر (ت 130هـ): (لِتَدَبَّرُوا) بالخطاب مع تخفيف الدال. وهذه الآية عامة لجميع الخلق، والآية قبلها: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ۝٢٨ ﴾ [ص: 28]. قال ابن عطية (ت 542هـ): «وظاهرُ هذه الآية يُعطي أنّ التدبّر من أسباب إنزال القرآن، فالترتيل إذن أفضل من الهذِّ؛ إذ

التدبّر لا يكون إلا مع الترتيل»، وفي الآية أيضًا بيانُ مَن ينتفع ويتذكَّر بالقرآن، وهم أولو الألباب.

ما هو التدبُّر الذي أمر اللهُ - عز وجل- به عبادَه؟

- ونحتاج هنا أن نقف وقفة مع مادة التدبر في سياقها القرآني، ونتساءل: ما هو التدبر الذي أمر الله - عز وجل- الناس به؟ وما هو التدبر الذي عاب على الكفار والمنافقين عدمَ فعلِه والإعراضَ عنه؟ لا يُعقَل أن يكون الجواب هو ما يتبادر إلى الذهن إذا ما أطلق التدبُّر من استنباط الفوائد، والوقوف على اللطائف القرآنية، فمثل هذا لا يُخاطَب به الكفار والمنافقون! ومثل هذا لا يُذَمُّ فاعلُه هذا الذَّم، ولا يُتوعَّد عليه هذا الوعيد!

- لقد جعل اللهُ -عز وجل- التدبُّرَ داعيًا لهم إلى معرفة أنَّ القرآن من عند الله واليقين بذلك: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: 82].

لقد جعل اللهُ -عز وجلَّ- التدبُّرَ سبباً من أسباب إنزال القرآن: ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: 29]، لقد جعل اللهُ -عز وجلَّ- قسيمَ المتدبرين مَن أغلقت قلوبهم بالأقفال: :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:24].

إنَّ الأمر بالتدبر أوسع من فكرة استنباط الفوائد واللطائف، وإن كانت من ثمراته، إلا أنها ليست ثمرته الوحيدة، بل ليست الأصل في المراد من الحلق بتدبر القرآن، كما هو ظاهر هذه الآيات الكريمة.

وربما أخذَنا هذا إلى الكلام في تحرير معنى التدبر ومدلولاته، وهذه المسألة وإن كانت ذات أهمية في بحث المسائل المتعلقة بالتدبر، والاجتهاد في وضع منهجيات عملية له، إلا أنها يجب أن يكون لها أثرٌ ظاهرٌ في المضامين المختارة تحت عنوان التدبر، وأثرٌ ظاهرٌ في المنهجيات المقترحة والجوانب التطبيقية، وهذا ما غاب عن العديد مما وقفتُ عليه في كتب التدبر.

كثيرٌ من كتب التدبر تبدأ أولًا ببيان أهمية تدبر القرآن بذكر الآيات التي تعرضنا لها قبلُ، وذِكر الأحاديث النبوية الدالة على فضل التدبر ومكانته، وأقوال السلف في ذلك، ثم إذا انتقلت إلى الجواب عن سؤال: (كيف؟)، وصاغت الخطوات العملية للتدبر فإنَّ المنتج النهائي لهذه الخطوات غالبًا ما يقتصر على كيفية استنباط الفوائد بأدوات الاستنباط وعن طريق معرفة الدلالات المختلفة، وهذا المنتَج غير المقصود ابتداءً من النصوص التي ذكرها المؤلفون في بادئ الأمر.

وكثيرٌ من كتب التدبر تستعرض التعريفات للتدبُّر لغةً بالنظر إلى أصل مادته ودلالة تصريفه، وشرعًا بحسب وروده في القرآن الكريم وذِكر أقوال المفسرين في معنى التدبر في الآيات الأربعة المذكورة، ثم لا يكون هذا التعريفُ منطَلَقًا بعد ذلك في الإجراءات العملية والمقترحات التنفيذية لتحقيق التدبُّر، مما يدلُّ على أن الإشكالية لا تقتصر فقط على تحرير المراد بالتدبُّر، بل تنسحب إلى تأثير هذا المراد فيما يُعرض بعد ذلك من ذكر أدواته وخطواته العملية في الكتب المؤلفة في هذا الباب، والتي تحتاج إلى دراسة جامعة

تستقصي ما أُلّف في هذا الباب -خاصة في جانب التنظير-، وتقوم بتحليل هذه الكتب وعقد الموازنات بينها؛ تصحيحًا لمسار التنظير في هذا الباب، وضبطًا له.

والذي نخلُص إليه في هذا المقام: أنَّ التدبر الذي تعبَّد الله -عز وجل- به عباده، وأمر به جميعَ الخلق مؤمنهم وكافرهم ليس هو استنباط الفوائد والمعاني الخفية من الآيات! بل الشأن أعظم من ذلك وأوسع، وما قصرُ دلالةِ التدبر على هذا المعنى إلا تضييقٌ لهذا الأفق الواسع من ثمرات التدبر الغنَّاء وعطاءاته التي لا تنقطع.

ثمرات أُخرى للتدبُّر سوى اللطائف القرآنية:

- خلصنا فيما سبق إلى أنَّ استنباط الفوائد واللطائف القرآنية هو ثمرة من ثمرات التدبر، وليس هو التدبر، وليس الثمرة الوحيدة له، وأن المتدبِّر قد يتدبر القرآن، ثم لا يُخرج مثل هذه الفوائد، بل ربما لا يُحسن إخراجها، ولكنه قد أصاب غيرها من ثمرات التدبر، وكم من رجلٍ لا يُحسن أن يقول مثلما يقول

الناس من اللطائف والفوائد، ولكنَّه أكثر تدبرًا من غيره مِّمَّن قد يتكلَّف في ذكر الفوائد، ويقع في أخطاء علمية في استنباطه من القرآن الكريم.

- إن الإنسان قد يتدبَّر القرآن فيثمر عنده مزيدَ علم ولو بالمعنى الظاهر دون استنباط معانٍ خفية، وهل كانت دعوة المنافقين لتدبر القرآن إلا لذلك؟! ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: 82]، فإذا تدبروه ولم يقفوا عند ألفاظه فقط علموا أنه لا اختلاف فيه، وأنه من عند الله - عز وجل-.

- وقد يتدبَّر القرآن فيُثمر عنده اليقينَ بما علم قبل ذلك، وترسيخَ ما سبق له علمه، ولعلَّ هذا من أغراض تكرار الحديث عن صفات الله -عز وجل- وأفعاله في القرآن، وعن اليوم الآخر والجنة والنار، فالقارئ وإن علم كلّ ذلك؛ إلا أنه متى تدبَّر ازداد يقينه، واليقين من الإيمان يزيد وينقص.

- وقد يتدبَّر القرآن فيُثمر عنده تأثرًا وانفعالًا بآياته، كما أخبر الله -عز وجل- عن حال المؤمنين: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ

يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر: 23]، فهؤلاء قرأوا القرآن أو قُرِئ عليهم، ففهموا معانيه وتدبَّروها، فأثمر عندهم هذا التأثر والانفعال بالآيات، فهؤلاء متدبرون ولو لم يزيدوا على معنى الآيات الظاهر بشيء، ولو لم يستنبطوا معانيَ خفيةً من الآيات.

- وقد يتدبر القرآن فيثمر عنده عملًا، فمن قرأ قول الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: 155-157]، ففهم معناه وتدبَّره، واتصف بنعت الصابرين في الآية، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون إذا نزلت به مصيبة، مدركًا لمعناها، مؤمنًا بها فقد تدبَّر القرآن وإن لم يُدلِ بدلوه في ذكر اللطائف القرآنية الخفية.

إنَّ حصر مفهوم التدبر في استخراج الفوائد القرآنية واللطائف الخفية هو في الحقيقة أسرٌ يحرم المتدبِّر من آفاقٍ واسعة من ثمرات جنةِ التدبُّر الغنَّاء، فينبغي للمتدبر أن يُحرِّر تصوُّره من هذا الأسر، وأن يحيا تدبُّر القرآن في معناه الصافي

النقي الذي يراه في صفات مَن أثنى الله عليهم في كتابه، ويقرؤه في أخبار النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام والصالحين من هذه الأمة.

وليس هذا تقليلاً من شأن الاستنباط من القرآن الكريم، أو العناية باللطائف القرآنية كما هو بيِّن في الكلام من أوله إلى آخره، إنما هو تصحيح لمفهوم وسَّعه الله -عز وجل- على خلقه، ثم ضيَّقته بعض الممارسات الخاطئة، فَحَرَمَتْ وحُرِمَت!

- الناس في فهم كلام الله تعالى أصناف مختلفة: فصِنْف رزقه الله الفهم في كلامه، وحُسن الإدراك لمعاني آياته؛ فهذا على خير عظيم، فإنْ أضاف إلى ذلك أن يُعلِّمه مَن لا يَعلَمه؛ فهذا بأسنى المنازل وأرفعها؛ قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إنّ أفضلكم مَن تعلَّم القرآن وعلَّمه». وصِنف لا علم له بمعاني كلام الله؛ وهذا أحد ثلاثة رجال: رجل يطلب العلم من مظانّه، ويجالس أهله، ويقتبس من نورهم، فذلك متعلِّمٌ على سبيل النجاة، لاحقٌ -إن شاء الله- بأهل الخير ما لزم طريقهم، واتّبع سبيلهم.

ورجل لا شغل له بمعاني القرآن، ولا همّة له في طلبها، قد رضي من الغنيمة بأجر التلاوة وتحصيل الثواب، فذلك حظُّه من كتاب الله.

وشرُّ الثلاثة رجل يخبط في معاني القرآن على غير هدى، ويتكلم في كتاب الله بغير بيِّنة، فذلك الكذب على الله، وليس لمقترفه من عاقبة إلّا الضلال في نفسه، والإضلال لعباد الله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٨﴾ [هود: 18].

وليس يَسلَم من هذه الأصناف كلِّها إلّا رجلٌ تكلم بعلمٍ أو سكت بورعٍ وحلم، وهذا واضح لا إشكال فيه.

ولكن معاني كلام الله تعالى ليست على درجة واحدة من الوضوح والخفاء، بل الأمر كما قال ابن عباس -رضي الله عنه- على أربعة أوجه: «وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلّا الله تعالى».

والإشكال هنا في أن الحدود بين هذه الأنواع ليست واضحة جليّة لكل أحد، وأكثر الناس إنما يطلب العلم فيما خفي عليه وأشكل، دون ما ظهر له واتضح، وههنا يكمن الخطر، خاصة بالنسبة لعامة الناس في سعيهم إلى تدبر القرآن الكريم؛ فإن كثيرًا ممَّا تراه العامَّة ظاهرَ المراد واضحَ المعنى ليس كذلك؛ بل قد يكون المراد منه غير ما يبدو لأول النظر، وغير ما يظهر لبادئ الرأي؛ وبهذا تكون المعاني المتصورة في الأذهان مجرد أوهام لا حقيقة لها.

والوهم دائمًا شرٌّ من الجهل، فإن الجاهل قد يطلب العلم ليُزيلَ عن نفسه معرَّة الجهل، والواهم لا يرى بنفسه حاجة إلى التعلُّم؛ فهو راضٍ بما عنده من العلم، لا يبغي عنه حِوَلًا، ولا يطلب به بَدَلًا.

ومنشأ هذا الوهم إجمالًا: اعتقادُ الناظر في القرآن وضوحَ المعنى وعدمَ حاجته إلى التفسير والبيان، ولذلك أسباب تفصيلية كثيرة تفوت العدّ والحصر، ذلك أنها أمور راجعة إلى الناظر في معاني القرآن، وأخطاء الناظرين غير محصورة، وقد ترى في كل غلط سببًا أو أسبابًا، ولو ذهبنا نستقصي كلَّ سبب يؤدي إلى الغلط لطال الأمر وعظم الخطب، ولكنَّا نُشير إلى أهمِّها وأشهرها؛

تذكِرةً للسامع والمتكلم، وتحذيرًا للخائض والمتكلِّف، مع التمثيل على كل منها بما يبينه ويزيده جلاءً.

*** من أسباب الغلط في فهم معاني القرآن:**

١. الغفلة عن أصول الدين والاعتقاد: مِن أسباب الغلط في فهم كلام الله -تعالى- غفلةُ المرء عن أصول الإسلام الثابتة، وهو ما قد يوقعه في تفسير يخالف تلك الأصول المستقرة من حيث لا يشعر.

ومن ذلك مثلًا: قوله تعالى مخاطبًا الملائكة: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[البقرة: 33]، فقد يظن ظانٌّ أن الملائكة قد تكتم عن الله تعالى شيئًا أَمَرهم ببيانه أو سألهم عنه، وهو غلطٌ شديدٌ مخالفٌ لأصل واضح من أصول الاعتقاد، وهو عصمة الملائكة الثابتة بنحو قوله تعالى: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[التحريم: 6]،وقوله: ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[الأنبياء: 27، 28]، وغير ذلك من الأدلة؛ ولأن الملائكة - وهم بمنزلة

القرب من الله والمعرفة به- ليس يخفَى عليهم أن الله تعالى مطّلع على خفايا الصدور وخلجات النفوس، بحيث لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، فكيف يحاولون الكتمان وهم يعلمون ذلك حقَّ العلم؟!

قال أبو حيان في تفسير الآية: «ليس المعنى أنهم كتموا عن الله؛ لأن الملائكة أعرف بالله وأعلم، فلا يكتمون الله شيئًا، وإنما المعنى أنه هجس في أنفسهم شيءٌ لم يُظهره بعضهم لبعض، ولا أطلعه عليه.

وقيل: الكاتم إبليس، كتَم عداوته لآدم منذ رآه مخلوقًا، فيكون من خطاب الجمع، ويراد به الواحد نحو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [الحجرات: 4]»

ومن ذلك: قوله تعالى في قصة ولَدَيْ آدم: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩﴾ [المائدة: 29]، فقد يُفهم منه خطأً أن القاتل يحمل إثم قاتله مع إثم نفسه، وهو معنى فاسد مخالف لما هو ثابت في الدين من أنّ أحدًا لا يحمل وِزر أحد، كما دلّ عليه صريح قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ

وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ [الأنعام: 164]؛ ولذا قال أبو جعفر الطبري -رحمه الله-: «غير جائز أن يكون آثامُ المقتول مأخوذًا بها القاتل، وإنما يؤخذ القاتل بإثمه بالقتل المحرَّم وسائر آثامِ معاصِيه التي ارتكبها بنفسه، دون ما ركبَه قتيلُه».

وقال الزجاج: «معنى: (بِإِثْمِي) بإثم قتلي، (وَإِثْمِكَ) الذي من أجله لم يُتقبَّل قربانُك».

2. ضعف المعرفة بلُغة العرب وأساليبها في التعبير: مِن أهم أسباب الغلط في فهم كتاب الله تعالى الجهل بلُغة القرآن الكريم أو القصور في معرفتها؛ فإن القرآن كتاب العربية الأكبر، وليس يفهمه حقَّ الفهم إلّا رجلٌ تمرّس بأساليب العرب وطرائقهم في التعبير، وأتقن لغتهم في مفرداتها وتراكيبها إتقانًا.

فأمّا رجل قليل البضاعة من علوم اللغة وآدابها فلا يمكن أن يفهمه حقَّ الفهم، أو يدرك مقاصده حق الإدراك؛ بل سيخرج غالبًا بمعانٍ مغلوطة، ودلالاتٍ فاسدة، بعيدة كل البُعد عن مراد الله تعالى من كلامه وآياته.

ومنذ قديم الزمن تفطّن السلف - رضي الله عنهم- إلى خطر العُجمة والجهل بلسان العرب على المسلمين، وتأثير ذلك في فهم القرآن والسُّنة.

فعن الحسن - رضي الله عنه- قال: «أهلكَتْهم العُجمة، يتأوَّلون القرآن على غير تأويله»، ويُروَى: «أهلكتهم العجمة، يقرأ أحدهم الآية فيَعْيَى بوجوهها حتى يفتري على الله فيها».

وقال الإمام الشافعي -رحمه الله-: «فإنما خاطب اللهُ بكتابه العربَ بلسانها، على ما تَعرِف من معانيها... فمَن جَهِل هذا من لسانها -وبلسانها نزل الكتاب وجاءت السُّنة- فتكلّفَ القولَ في علمهما تكلُّفَ ما يَجْهَل بعضَه، فكانت موافقته الصواب -إن وافقه- غير محمودة، وكان بخطئه غير معذور».

وتواترت عبارات العلماء داعية إلى تعلُّم العربية والتضلُّع فيها، وعدم الاكتفاء بالقليل منها، قال أبو إسحاق الشاطبي في (الاعتصام): «فعَلى الناظر في الشريعة والمتكلِّم فيها أصولًا وفروعًا ألّا يتكلم في شيء من ذلك حتى يكون عربيًّا أو كالعربي في كونه عارفًا بلسان العرب، بالغًا فيه مبالغ العرب أو مبالغ الأئمة المتقدمين كالخليل وسيبويه والكسائي والفراء ومَن أشبههم وداناهم، فإن

لم يبلغ ذلك فبحسبه في فهم معاني القرآن التقليد، ولا يحسن ظنه بفهمه دون أن يسأل أهل العلم».

ولنضرب لذلك مثالًا، هذا دعاء من أدعية القرآن، اعتاد كثير من الناس أن يلهجوا به في صلواتهم وفي غيرها، ظانِّين أنه من دعاء الخير والبِر، وهو خلاف ذلك تمامًا، أعني قوله تعالى على لسان شعيب -عليه السلام-: ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[الأعراف: 89]، فهذا دعاء رجلٍ كذّبه قومه وسخروا منه، وتوعدوه بالطرد والإخراج فاستغاث ربَّه عليهم، وسأله أن ينتقم له منهم، فاستجاب الله دعاءه: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[الأعراف: 91]، فكيف يكون مثل هذا دعاء خير وبِر؟! أم كيف يدعو مسلم بمثل هذا على قومه وهم مسلمون؟!

قال ابن عباس -رضي الله عنه-: «كان شعيب كثير الصلاة، فلما تمادَى قومه في كفرهم وغيّهم، ويئس من صلاحهم، دعا عليهم فقال: ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأعراف: 89]، فاستجاب الله دعاءه فأهلكهم بالرجفة».

قال أبو جعفر الطبري: «وأصل (الفتح) في كلام العرب: النصر، والقضاء، والحكم. يقال منه: (اللهم افتح بيني وبين فلان)، أي: احكُم بيني وبينه».

قال يحي بن سلام -رحمه الله-: «وكان النبي إذا سأل اللهَ أن يحكم بينه وبين قومه بالحق؛ هلكوا».

وأيضًا قد يترتب على هذا الضعف بمعرفة اللغة وأساليبها تفسير القرآن على المعاني الدارجة بين الناس، ومن ذلك: غلط كثير من الناس في فهم قول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ۝٤١﴾ [آل عمران: 41]، حين يظنون أن المراد بالعشي وقت الليل، وليس هو بمعناه، جاء في تهذيب اللغة: «العشيّ: آخر النهار.

وقيل: إذا زالت الشمس إلى أن تغيب. فإذا غابت الشمس فهو العِشاء. وصلاتا العشِيّ هما الظهر والعصر، عن أبي هريرة قال: صلَّى بنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إحدَى صلاتي العشيّ، وأكبر ظني أنها الظهر... ثم ذكر الحديث».

وقال ابن جرير: العشيّ: من حين تزول الشمس إلى أن تغيب، كما قال الشاعر:

فلا الظل مِن برد الضحى تستطيعه .. ولا الفيء مِن برد العشيّ تذوق

قال ابن عطية: «ومنه قول القاسم بن محمد: ما أدركتُ الناس إلّا وهم يصلُّون الظهر بِعَشِيّ».

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٥٢﴾ [آل عمران: 152]، قد يتوهَّم القارئُ لأول وهلة أن قوله: (تحسونهم) بمعنى الإحساس، وليس كذلك؛ بل هو من الحَسّ بغير ألف، وهو بمعنى الإفناء والقتل، كما قال المفسرون.

3. حمل كلام الله تعالى على اصطلاحات العلماء الحادثة: من أسباب الغلط كذلك حمل كلام الله تعالى على اصطلاحات العلماء الحادثة بعد نزول القرآن بقرون متطاولة، وقد ضرب ابن القيم - رحمه الله- لذلك مثلًا بلفظتي: (مكروه)

و(لا ينبغي)، وكيف أنهما قد اختصَّا في الاصطلاح الحادث بما ليس بمحرَّم وتركُه أرجح من فعله، مع أنه «قد اطَّرد في كلام الله ورسوله استعمالُ (لا ينبغي) في المحظور شرعًا وقدَرًا، وفي المستحيل الممتنع، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ ﴾ [مريم: 92]، وقوله: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ۝٦٩ ﴾ [يس: 69]، وقوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝٢١١ ﴾ [الشعراء: 210، 211]، وقوله على لسان نبيّه: «كذبني ابن آدم وما ينبغي له، وشتمني ابن آدم وما ينبغي له»، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام»، وأمثال ذلك، وقال تعالى عقيب ذِكر ما حرَّمه من المحرمات من عند قوله: ﴿ ۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ۝٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ۝٢٤ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ۝٢٥ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ۝٢٧ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ۝٢٨ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا

مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾[الإسراء: 23 - 38] ، إلى آخر الآيات ، ثم قال: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: 38]، وفي الصحيح: «إنّ الله - عز وجل- كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»".

ومن ذلك أيضًا: لفظ التأويل الوارد في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾[آل عمران: 7] ونحوه، فقد يظن ظانٌّ أن المراد به هذا الاصطلاح

المتأخر للعلماء الذي يعنون به: (صَرْف الكلام عن ظاهره إلى معنى يحتمله)، وليس كذلك، قال أبو جعفر الطبري: «وأما معنى (التأويل) في كلام العرب، فإنه التفسير والمرجع والمصير».

وقال الواحدي: «قوله تعالى: ﴿ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾. التأويل: التفسير. وأصله في اللغة: المرجع والمصير، ثم تسمى (العاقبة): (تأويلًا)؛ لأن الأمر يصير إليها. و(التفسير) يسمى: (تأويلًا)، وهو قوله: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝٧٨ ﴾[الكهف: 78]؛ أي: بعلمه وتفسيره؛ لأن التأويل: إخبار عما يرجع إليه اللفظ من المعنى.

4. ترك النظر في أسباب النزول: من أسباب الغلط في فهم مراد الله تعالى ترك النظر في أسباب النزول، فإن لها دورًا مهمًّا في بيان معنى الآية والمراد بها، وإهمالها مُوقِعٌ في الغلط، ومُفضٍ في أحوال كثيرة إلى معانٍ فاسدة، يقول الشاطبي: «إن معرفة مقاصد العرب إنما مدارها على معرفة مقتضيات الأحوال حال الخطاب، من جهة نفس الخطاب، أو المخاطِب أو المخاطَب أو الجميع؛

إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالَين، وبحسب مخاطبَين، وبحسب غير ذلك.

وإذا فات نَقْلُ بعض القرائن الدالة؛ فات فهم الكلام جملة، أو فهم شيء منه.

ومعرفة الأسباب رافعة لكل مُشكِل في هذا النمط؛ فهي من المهمّات في فهم الكتاب بلا بد، والجهل بأسباب التنزيل مُوقع في الشُّبَه والإشكالات، ومُورِد للنصوص الظاهرة مَورِد الإجمال حتى يقع الاختلاف».

وشاهد ذلك ما رُوي «أن عمر -رضي الله عنه- استعمل قدامة بن مظعون على البحرين، فقدم الجارود على عمر فقال: إن قدامة شرب فسَكِر، فقال عمر: مَن يشهد على ما تقول؟ فقال الجارود: أبو هريرة يشهد على ما أقول، وذكر الحديث.

فقال عمر: يا قدامة إني جالدُك، قال: والله لو شربتُ كما يقولون ما كان لك أن تجلدني، قال عمر: ولِمَ؟ قال: لأن الله يقول: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ

ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ [المائدة: 93]. فقال عمر: إنك أخطأتَ التأويل يا قدامة، إذا اتقيتَ اللهَ اجتنبتَ ما حرَّم اللهُ.

وفي رواية: فقال عمر: ألَا تردُّون عليه قوله؟ فقال ابن عباس: إن هؤلاء الآيات أُنزِلْنَ عذرًا للماضين وحُجةً على الباقين، فعذر الماضين بأنهم لقوا الله قبل أن تحرَّم عليهم الخمر، وحجة على الباقين؛ لأن الله يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ [المائدة: 90]، ثم قرأ إلى آخر الآية الأخرى، فإنْ كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا، فإن الله قد نَهَى أن يشرب الخمر. قال عمر: صدَقْتَ».

5. الغفلة عن أحوال العرب وعاداتها وقت نزول القرآن: من أسباب الغلط في فهم كلام الله تعالى الغفلة عن أحوال العرب وعاداتها وقت نزول القرآن، فإنّ لها حُكمَ أسباب النزول، ولكنها أسباب عامة غير مختصة بشخص معيَّن أو واقعة بعينها، ولمعرفتها أهمية كبرى في فهم النص القرآني، وعدم إدراكها مُوقع في إشكالات كثيرة. وممن التفتَ إلى هذا الأمر الشاطبي في (الموافقات)؛

وذلك إذ يتحدث عما ينبغي لطالب علم القرآن أن يحيط به فيقول: «ومن ذلك معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أحوالها حالة التنزيل، وإن لم يكن ثَمَّ سبب خاص لابد لمن أراد الخوض في علم القرآن منه، وإلّا وقع في الشُّبَه والإشكالات التي يتعذر الخروج منها».

ذلك أن تلك العادات دائمة التغير عبر الأزمان، والنص إنما يُفهم حقَّ الفهم في سياقها، وبالغفلة عنها يَنْبَهِمُ معنى النص، ويلتبس المراد منه؛ ولذا كانت معرفة أحوال العرب وعاداتها زمن نزول القرآن مُعِينة على الفهم الصائب والتفسير الصحيح دون إشكال.

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [البقرة: 46].

قال الإمام الطبري -رحمه الله-: «إن قال لنا قائل: وكيف أخبر الله -جل ثناؤه- عمن قد وصفه بالخشوع له بالطاعة أنه (يظن) أنه ملاقيه، والظن: شك، والشاكُّ في لقاء الله عندك بالله كافر؟ قيل له: إن العرب قد تسمِّي اليقين (ظنًّا)، والشك (ظنًّا)؛ نظير تسميتهم الظلمة (سدفة)، والضياء (سدفة)،

والمغيث (صارخًا)، والمستغيث (صارخًا)، وما أشبه ذلك من الأسماء التي تسمي بها الشيء وضده. ومما يدل على أنه يسمَّى به اليقين، قولُ دريد بن الصمة:

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج .. سراتهم في الفارسي المسرد

يعني بذلك: تيقنوا ألفي مدجج تأتيكم.

وقول عميرة بن طارق:

بأن تغتزوا قومي وأقعد فيكم .. وأجعل مني الظن غيبًا مُرَجَّما

يعني: وأجعل مني اليقين غيبًا مرجمًا.

والشواهد من أشعار العرب وكلامها على أن (الظن) في معنى اليقين أكثر من أن تحصى، وفيما ذكرنا لمن وفق لفهمه كفاية».

فانظر إلى أهمية معرفة أحوال العرب وعاداتها زمن نزول القرآن، وكيف أنها مُعِينة على الفهم الصائب والتفسير الصحيح دون إشكال.

6. قصر النظر على بعض القرآن دون بعض: من القواعد الثابتة عند المفسرين قاعدة أن القرآن يُفَسِّر بعضُه بعضًا، وأن أَولى ما فُسِّر به القرآن هو القرآن، فما أُجمِل في موضع بُيِّن في موضع آخر.

وهي قاعدة لا غنى عنها لكل دارس وناظر في القرآن الكريم؛ فإن النظرة الجزئية للقرآن تعطي القارئ معانيَ ناقصة حينًا، ومشوَّهة حينًا، وباطلة تمامًا أحيانًا أخرى!

وقد نبّه العلماء كثيرًا إلى خطورة انتزاع الآيات من سياقها، والاستشهاد بها منفردة عما يفسرها ويبيِّنها من آيات أُخَر في سورتها، أو في سور غيرها من القرآن الكريم.

يقول ابن حزم -رحمه الله-: «وما ضلّت الخوارج إلّا بتعلُّقهم بآياتٍ ما، وتركوا غيرها، وتركوا بيان الذي أمَره الله - عز وجل- أن يبين للناس ما نُزِّل إليهم وهو رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولو أنهم جمعوا آي القرآن كلَّها وكلامَ النبي -صلى الله عليه وسلم- وجعلوه كُلًّا لازمًا، وحكمًا واحدًا، ومتبعًا كله؛ لاهتدوا» ويتحدث أيضًا الشاطبي عن منشأ البدع والخرافات فيردُّه إلى

مِثل ذلك، يقول -رحمه الله-: «ومدار الغلط في هذا الفصل إنما هو على حرف واحد، وهو الجهل بمقاصد الشرع، وعدم ضم أطرافه بعضها إلى بعض، فإنّ مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو على أن تأخذ الشريعة كالصورة الواحدة، تحتسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها، وعامّها المرتب على خاصّها، ومُطْلَقها المحمول على مقيّدها، ومُجملها المفسَّر بمبيِّنها، إلى ما سوى ذلك من مناحيها، لا يطلب منها الحكم على حقيقة الاستنباط إلّا بجملتها؛ لا من دليل منها أيّ دليل كان، وإن ظهر لبادي الرأي نطق ذلك الدليل فإنما هو توهُّميّ لا حقيقي!».

ولنضرب لذلك مثالًا يبين عظيم خطر هذا الأمر وشدة أهميته.

الشفاعة في القرآن الكريم: كَثُر الكلام قديمًا وحديثًا حول قضية الشفاعة، وأنكر بعضُهم وقوعها يوم القيامة، واستشهد لإنكاره بآيات من القرآن الكريم ذاته، يقول ابن حزم -رحمه الله-: «احتج المانعون بقول الله عز وجل: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[المدثر: 48]، وبقوله عز وجل: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾[الانفطار: 19]، وبقوله تعالى: ﴿مِنْ

﴿قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾[البقرة: 254]...، قال أبو محمد: قول من يؤمن بالشفاعة أنه لا يجوز الاقتصار على بعض القرآن دون بعض، ولا على بعض السنن دون بعض، ولا على القرآن دون بيان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي قال له ربه عز وجل: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل: 44]، وقد نص الله تعالى على صحة الشفاعة في القرآن فقال تعالى: ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾[مريم: 87]، فأوجب -عز وجل- الشفاعة لمن اتخذ عنده عهداً بالشفاعة، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[طه: 109]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾[سبأ: 23]؛ فنَصَّ تعالى على أن الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده -عز وجل- ممن أذن له فيها ورضي قوله، ولا أحد مِن الناس أولى بذلك من محمد -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنه أفضل ولد آدم -عليه السلام-.

فقد صحَّت الشفاعة بنص القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وصحَّت بذلك الأخبار المتواترة المتناصرة بنقل الكوافّ لها؛ فصحَّ يقيناً

أن الشفاعة التي أبطلها الله -عز وجل- هي غير الشفاعة التي أثبتها - عز وجل-، وإذ لا شك في ذلك فالشفاعة التي أبطل -عز وجل- هي الشفاعة للكفار الذين هم مخلَّدون في النار،

قال تعالى: ﴿ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَالِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ۝٣٦ ﴾ و﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ ﴾ [فاطر: 36]، نعوذ بالله منها» .

فمن هذا المثال نرى المنكرين للشفاعة قد أتوا إلى الآيات التي تنفي الشفاعة فضربوا بها تلك التي تُثبتها، وقضوا بنفي الشفاعة مطلقًا، ولو أنصفوا لجمعوا الآيات بعضها إلى بعض، وتدبَّروا في سياق هذه وسياق تلك، وعلموا أنّ النفي إنما ورد في شأن الكافرين، وأنّ إثباتها إنما هو للمؤمنين. لكن النظرة الجزئية غالبًا ما تخدع صاحبها، فإذا به يرى من الحقيقة جانبًا وتخفى عليه جوانب، ويظهر له شيء وتغيب عنه أشياء.

فالغلط إنما يأتي من تضييق مجال النظر، وقصر الاطلاع على بعضٍ دون بعض، فأمّا إذا ضُمَّت أطرافه وجُمِعَت متفرقاته، ونُظِر فيه ككلٍّ واحد متكامل، فحينها يَرى المرء أنه يُتِّمِ بعضُه بعضًا ولا ينقض بعضُه بعضًا.

يقول د. محمد عبد الله دراز: «فعندما نريد أن نقدِّر جمالَ لوحةٍ مرسومةٍ، لا ينبغي أن نحصر نظرتنا في جزء ضيق منها، حيث لا نجد إلّا ألوانًا متنوعة تتجاور أو تتنافر أحيانًا؛ بل يجب أن نرجع قليلًا إلى الوراء؛ ليتسع مجال الرؤية ونحيط بالكل في نظرة شاملة تستطيع وحدها أن تلاحظ التناسق بين الأجزاء والتوافق في التراكيب».

وختامًا: فلا يخفَى ضرورة السعي إلى تصحيح الفهم لمراد الله -عز وجل- من كلامه، وتجنُّب أسباب الخطأ في فهمه، وقد تبيَّن مما سبق بعض هذه الأسباب التي يقع بها الغلط في فهم معاني القرآن الكريم، والتي جاءت على سبيل التمثيل لا الحصر، مع التمثيل لكلٍّ منها؛ نصيحةً لكتاب الله ولعامّة المسلمين، ونسأل الله أن يرزقنا حُسن الفهم لكتابه، وحُسن العمل به.

الباب الرابع

كيف السبيل إلى التفاعل مع كلام رب العالمين والتأثر به؟

كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى التَّفَاعُلِ مَعَ كَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالتَّأَثُّرِ بِهِ ؟

في خِضَمِّ الواقع الذي نعيش فيه، كثيرًا ما يحتاج المسلم إلى الشعور بالطمأنينة والسكون، وذلك لا يتجلَّى إلا مع الخلوة بكتاب الله - عزّ وجلّ-، هذه الواحة الغَنَّاء؛ ليرتشف من مَعِينها الصافي، ويتنفس من أريجها الزّاكي؛ لينعم بطمأنينة النفس وراحة القلب وسلامة الصدر، ولِمَ لا؟! وقد خَلا بكتاب ربه - عزّ وجلّ- الذي فيه شفاء ورحمة وموعظة للمتقين.

ولكن لا يشعر بأثر القرآن وهَدْيه إلا مَن تفاعل مع كلّ آية يقرؤُها أو يسمعها، وأدرك أن كلّ آية تحمل رسالة من الله -عزّ وجلّ- ينبغي عليه أن يرعي لها قلبه وعقله قبل سمعه وبصره.

تخيّل أننا الآن نسير سويًّا مع بني إسرائيل في ممشى بقلبِ بحرٍ عظيم ضربه موسى -عليه السلام- بعصاه فانفلق، فكان كلّ فِرْقٍ كالطود العظيم!

أو أننا نقف في ساحة شاسعةٍ لنرى رجلًا يُقذف في نارٍ عظيمة، ثم لا يلبث أن يخرج منها بسكينةٍ بالغة، ليُقبِل على قومه تارة أخرى يدعوهم و يأمرهم وينهاهم!

أو أننا نرى أوصال طير ممزقة مُفرّقة تهفو بعضها إلى بعض؛ لتلتئم وترفرف مقبلةً على إبراهيم -عليه السلام- لمَّا ناداها!

تخيّل أننا نطوف بين جبال ثمود فنرى ناقةً تخرج من صخر أحدها، أو نتجول في ضواحي بيت لحم فنرى عيسى - عليه السلام- يُبرئ الأكمه والأبرص، ويَستحيل الطينُ في يده طيرًا يسبح بحمد الله في جوِّ السماء!

تأمّل قدر العظمة التي يستشعرها مَن عاين هذه المعجزات! قدر الدهشة التي تسكن صدره، والإعظام الذي يملأ فؤاده، والعَجَب الذي يُذهب عقله!

أتدري شيئًا؟!

- القرآن أعظم من كلّ هذا، وأعجب، وأكثر إدهاشًا!- القرآن أعظم المعجزات التي أُرسل بها خاتم الأنبياء وأفضلهم - صلى الله عليه وسلم-.

وهذا يدركه من صحّ عقله، وطَهُرَ قلبُه؛ لذلك لما أعرض المشركون عن القرآن ظُلمًا وعُلُوًّا، وسألوا النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يأتيهم بآيةٍ مادية كبعض آيات الأنبياء السابقين التي ذكرناها، قال لهم ربهم - جلّ وعلا-: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [العنكبوت: 51].

هل هناك ما هو أعظم أو أجلّ أو أحكم أو أرحم أو أبْيَنَ من القرآن ليكون معجزة وآية؟!

تخيّل أن في غرفتك عصا موسى، أو في ساحة منزلك ناقة صالح -عليهما السلام-؛ مصحفك الذي أمام ناظريك هذا، والذي قد يكون علاه التراب، أعظم وأجَلّ وأشدّ إعجازًا.

ولو قلّبتَ الطرف في أمر القرآن لوجدتَ أن العظمة تكتنفه من كلّ جانب.

فانظر إلى عظمة مصدره ونقله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾

[الشعراء: 192- 195]، تأمل هذه السلسلة النورانية التي جاء منها القرآن إليك، ثم قل لنفسك: بَخٍ بَخٍ، أن شرّفها الله بسماعِ كتّاب هذه حاله، والإيمانِ به.

تأمل في جلالة لغته وجمال بيانه، نَظْمه أحسن من الدُرِّ في النِظام، ألفاظه الزُّلال أو أرقّ، يسبي السمع ويملك القلب، تحدّى بفصاحته ملوك البيان وأمراء البلاغة أن يأتوا بمثله حُسناً وبهاءً، أو بعَشْر سور منه، بل سورة واحدة، بل أن يجتمعوا كلّهم على ذلك وأن يَدْعُوا إنسهم وجِنّهم: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: 88]، لكن لمّا أدركوا حقيقة إعجازه عجزت أَلْسُنُهم عن المجاراة، فهل تحس منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركزًا؟!

أرادت قريشٌ من شيخها وفصيحها الوليد بن المغيرة أن يذُمّ القرآن وينكره، فقال: «وماذا أقول؟! فوالله ما فيكم رجلٌ أعلم بالشعر مني، ولا برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا، والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمرٌ أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلَى عليه، وإنه ليَحْطِم ما تحته».

وتأمل عِظَم تأثيره في النفوس، ولطف نفوذه إلى القلوب؛ جاء عتبة بن ربيعة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم- ليجادله في دينه، ويَدْعُوه إلى ترك ما هو عليه، فلما أنهى عَرْض صفقته، قال له النبي - صلى الله عليه وسلم-: (أَفَرغتَ يا أبا الوليد؟ اسمَعْ مِنِّي: ...)، فلم يزد النبي - صلى الله عليه وسلم- على أن تلا عليه صدر سورة فصلت؛ وإني لأرجو أن تقرأ صدر السورة وتتساءل ما الذي وقع في قلب الرجل؟!

أَنْصَتَ الرجل إلى تلاوة النبي - صلى الله عليه وسلم-، ثم لم يزد على أن قام من مجلسه متغيّر الوجه، متبدّل الحال، فلمّا كلّم قومه فيما وقع في قلبه، قالوا له: «سحرك واللهِ يا أبا الوليد بلسانه».

فالقوم قد رأوا تأثيرًا لا يعرفون له مرادفًا في معجم المعرفة البشرية سوى السحر أو نحو ذلك، تأثيرًا يبدّل الحال، ويغيّر الطبع، ويطهّر القلب، وقد كانوا يخافون من تطهير القرآن على سواد قلوبهم، وعمى أهوائهم، يسيرون على طريق إخوانهم الأقدمين ومَن شابههم في كلّ عصرٍ وحين: ﴿ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأعراف: 82]، فكان رؤوس الكفر يتواصَون فيما

بينهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ [فصلت: 26]، فإنكم لو سمعتموه حق السمع وفتحتم له أبواب أفئدتكم، غزاها وأنار ظلماتها وألان قسوتها.

مَرَّ جُبَيَر بن مطعم -رضي الله عنه- بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يصلي، وكان جُبَيَر يومئذ على الكفر، فسمع النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- يقرأ سورة الطور، يقول: «فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ٣٧﴾ [الطور: 35- 37]، قال: كاد قلبي أن يطير».

دعك من تأثيره على قلوب البشر، حتى الجن، حارت عقولهم وخُلبت أسماعهم: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١﴾.

وكذلك الملائكة، ما تطيق انقطاعًا عن القرآن أو نأيًا عنه؛ قرأ أُسيد بن الحُضير -رضي الله عنه- القرآن ذات ليلة بصوته النديّ الشجيّ، فكان كلما قرأ رأى في السماء مثل الظُّلة فيها أمثال السُّرُج، فلما قصّ على النبي - صلى الله عليه

وسلم- قال له: (تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأتَ لأصبحَتْ يراها الناس ما تستتر منهم).

حتى الجمادات: الصخر، الجبال: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر: 21]، فإذا علمتَ ذلك أيقنتَ أن هناك أقوامًا يصدق فيهم -حقًّا- قول ربنا: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [البقرة: 74].

وإن شئتَ تأمّل في عِظَم أثره في حياة الناس، في دنياهم وآخرتهم، وهو سراج الكون الذي أضاء به من بعد ظلمة: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام: 122]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما- وغيره: «يعني بالنور: القرآنَ».

انظر كيف بدّل وجه الأرض، وغزا ربوع الدنيا، كيف عمد إلى خَلْقٍ كانوا أذلّ قوم، يسجدون للحجارة ويَدْعُونها ويسألونها، يسفكون الدماء، فصيَّرهم خير الناس هديًا، وأحسنهم سمتًا، وأعقلهم قولًا، وأعدلهم حكمًا، وأعزّهم ذِكرًا، مَلّكهم رقاب الملوك، ومَكّنهم من قلوب العباد.

إِي واللهِ، صدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إنّ الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين).

انظر كيف يشفي الصدور ويداوي الهَمَّ ويبدد وحشة الحزن؛ ولأجْل ذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ما أصاب عبدًا هَمٌّ ولا حزنٌ، فقال اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أَمَتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكلّ اسم هو لك سمّيتَ به نفسك، أو أنزلتَه في كتابك، أو علّمتَه أحدًا من خلقك، أو استأثَرْتَ به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همّي وغمّي. إلا أذهبَ اللهُ همّه وغمّه، وأبدله مكانه فرحًا).

وإنْ شئتَ أَدِرْ بصرك في إحكام تشريعه، وجلال أحكامه، التي ما زالت الأمم يجتمع فلاسفتها وعقلاؤها قرنًا بعد قرنٍ على أن يأتوا بمثل ذلك، وما بلغوا معشاره، وانظر إلى شمول قوانينه واتّساعها، تارة في أحكام الجهاد والدماء، وأخرى في الصلاة والزكاة والصدقة، ثم تجده يتكلم عن المواريث والحقوق المالية، ثم تسمعه يتكلم عن حقوق الزوجين، وأخلاقيات التعامل بينهما في الاجتماع والافتراق، وكلّ ذلك بلفظ بهيّ، وموعظة بالغة.

وإن شئت تأمل عظمة حفظ الله وتدبيره له، وقد قال - سبحانه-: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر: 9]، قامت أمم وسقطت أمم، مرت القرون تلو القرون، والقرآن باقٍ محفوظ، متلوٌّ مسموع، معمورة به المساجد، مضيئة به ظلمات الليالي، جاريةٌ به دموع المآقي، قد جمع الله على خدمته أشرف خلقه في كلّ زمان، وتأمل مئات الأسماء المرقومة على كتب التفسير وعلوم القرآن المطبوعة فقط، تجدهم أحدَّ الناس من كلّ زمنٍ ذهنًا، وأرفعهم قدرًا، وأعلمهم بالمعقول والمنقول.

وبعد كلّ ذلك، تأمل يُسْره على الألسنة والأسماع والقلوب، كما قال ربنا: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر: 17]، هذا القرآن الذي أعجز الفصحاء وأدهش الأدباء، واجتمع على بيانه وتفسيره واستخراج كنوزه العلماء من كلّ فنّ، هو هو الذي تراه في يد بائعة الفجل البسيطة التي تمر عليها صباحًا في طريقك إلى العمل، وتجدها تستمتع بتلاوته وتلتذ بحلاوته، يتهدّج صوتها حينًا، وتنهمل عينها أخرى، وما تشبع أبدًا! كيف تشبع وعثمان -رضي الله عنه- يقول: «لو طهرتْ قلوبُكم ما شبعَتْ من كلام ربكم»؟!

يا خالة، أتعرفين ما (غسّاق)؟ أم تدركين ما (مجذوذ)؟ هل انتبهتِ أن ههنا كناية؟ وأن (إنّ) ههنا لما اجتمعت مع اللام أفادت توكيدًا شديدًا؟ الخالة قد لا تعرف شيئًا من ذلك، لا تفقه كثيرًا من لسان العرب، لكنها تحسن لغة القلوب الصافية والفِطَر الطاهرة، فوقع بها في فؤادها ما قد لا يفهمه كثيرٌ من العالمين بفنون اللسان.

بل قد تجد مِنَ الأعاجم مَن لا يفهم أكثر لفظ القرآن، ثم إذا قرأه قراءة المؤمن بعظمته وجلال المتكلم به وجدتَ هيبة الخشوع تعلوه، ولمستَ فيه تأثرًا بالغًا يصل إلى شغاف قلبك، ورأيتَ سكينة نورانية لا تخطئها البصيرة.

وهذا كلّه غيض من فيض، ويسير من كثير، هذا شيء مما في القرآن المسطور بين دفتي مصحفك، أعلمتَ الآن شيئًا من أسباب كونه أجلَّ من طير إبراهيم، وأعظمَ من عصا موسى، وأعجبَ من ناقة صالح، على نبينا وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم؟!

أصناف الناس في التعامل مع القرآن:

والناس في تعاملهم مع القرآن أصناف وأنواع: فمنهم مَن يهتم بكثرة التلاوة، ومنهم مَن يهتم بإقامة الحروف وضبط المخارج، ومنهم مَن كلُّ همِّه تجميل صوته والتغني بالقرآن، ولكن ربما نسي أكثر هؤلاء أهمّ شيء وأعظم شيء، ألا وهو التفاعل مع آيات القرآن الكريم، فربما يمرّ الواحد على الآية تِلو الآية بقلبٍ غافلٍ ساهٍ، ثم يشتكي بعد ذلك: لماذا لم أشعر بحلاوة القرآن برغم أني أداوم على القراءة، ولم ألبث أن أنتهي من ختمة حتى أبدأ في أخرى؟!

لم يفطن هؤلاء إلى حقيقة مهمّة، ألا وهي: أن أكثر الناس استمتاعًا بالقرآن مَنْ علِم أن هذا القرآن يتكون من (مبانٍ) و(معانٍ)، فهو ليس مجرد حروفٍ ومبانٍ تتحرك بها الألسنة، بل إن روح القرآن هي المعاني، وأنه لا ينبغي أن ينشغل المسلم بضبط المباني وينسى التفاعل والتفكّر في المعاني.

فالقرآن ليس مجرد نصّ جامد أنزله الله -عزّ وجلّ- لمجرد القراءة والحفظ، بل القرآن روح للأرواح، ونور للقلوب، وحياة للأبدان؛ فقد قال -تعالى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى:52].

وهذا القرآن لو أُنزِل على الجبال لخشعت وتحطّمت من خشية الله -عزّ وجلّ-، فقد قال -سبحانه-: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١﴾ [الحشر: 21].

ولن يتجلّى أثر القرآن على النفس إلَّا بتدبر آياته ومعرفة المقاصد والمعاني، وهذا أعظم ما ينبغي أن يراعيه المسلم عند التعامل مع القرآن، فمع عظيم أجر قراءة القرآن، كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم-: (من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: (الم) حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف) ، إلَّا أن تدبّر القرآن والتفاعل مع معانيه أعظم أجرًا وفضلًا؛ لأنه المقصد والمطلب الأول الذي من أجله أُنْزِل القرآن، فقد قال -تعالى-: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص:29]،

وقال -تعالى-: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء:82]،

وقال -تعالى-: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:24].

وقد ذمَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- من يقرؤون القرآن لمجرد القراءة ولا يتفاعلون معه، فقال عن هؤلاء: (سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَلَاقِيمَهُمْ، يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ).

تفاعل النبي - صلى الله عليه وسلم- مع القرآن:

لقد علَّمنا النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- كيف يكون التفاعل مع القرآن؛ فقد كان إذا مرَّ بآية من آيات العذاب تعوَّذ بالله، وإذا مرَّ بآية رحمة سأل الله من رحمته، وإذا مرَّ بذكر الجنة سأل الله الجنة، وإذا مرَّ بآية ثناء على الله أثنى عليه، وإذا مرَّ بآية سجدة سجد. فعن حذيفة -رضي الله عنه- قال: «صلَّيت مع النبِي -صلى الله عليه وسلم- ذات ليلة فافتتح الْبَقَرَةَ... إِذَا مَرَّ بِآية فيها تسبيح سَبَّح، وإِذا مرَّ بسؤال سأل، وإِذا مرَّ بتعوُّذ تعوَّذ»، وزاد النسائي بلفظ: «إذا مرّ بآية عذاب وقف وتعوَّذ».

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: «قمتُ مع رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- ليلة فقام فقرأ سورة البقرة، لا يمرُّ بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوَّذ...» .

وكثيرًا ما كانت تذرف عيناه -صلى الله عليه وسلم- ويخشع قلبه عند سماع القرآن، فعن ابن مسعودٍ - رضي الله عنه- قال: قال لي النبي - صلى الله عليه وسلم-: (اقْرَأْ عَلَيَّ القُرآنَ)، قلتُ: يا رسول الله، أقرأُ عليك، وعليك أُنزِل؟! قال: (إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي)، فقرأتُ عليه سورة النِّساء، حتى جئتُ إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١﴾ [النساء:40]، قال: (حَسْبُكَ الآنَ)، فالتفتُّ إليه، فإذا عيناه تذرفان.

تفاعل الصحابة مع القرآن: ولقد كان أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعرفون أن هذا القرآن رسالة من الله -عزّ وجلّ- إليهم، فكانوا كثيرًا ما يتفاعلون معه، ولا تمرّ عليهم الآية إلا بعد تدبُّرها، والوقوف على مقصودها، وكيفية تطبيقها؛ فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة أنه لما نزل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قوله -تعالى-: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٨٤﴾ [البقرة:284]، اشتد ذلك على أصحابه رضوان الله عليهم، فأتوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم بَرَكُوا على

الرُّكَب، يسألون النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- التخفيف في المؤاخذة بما تحدث به نفوسهم، فنسخ الله هذه الآية وأنزل -سبحانه-: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: 286].

ويقول ابن مسعود: «كان الرجل منّا إذا تعلّم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن».

تربية القرآن لأمهات المؤمنين :ما أحوجنا في هذه الأيام إلى التربية القرآنية، ما أحوجنا أن نرجع إلى القرآن في وقت أصبحت تتقاذفنا كثير من الدعوات المضللة لا سيما فيما يتعلق بالمرأة المسلمة، ذلك أننا في زمان أصبحت المرأة فيه سلعةً رخيصة توضع على أغلفة المجلات بأوضاع فاتنة، وألبسة غير محتشمة.

لقد صارت المرأة يروج بها السلع المختلفة، وصارت توضع طعمًا لربما في مواضع الاستقبال هنا وهناك؛ من أجل أن تجذب النفوس الضعيفة، فيحصل الاتجار بالفضيلة والشرف والعفاف.

إننا في زمان تعالت فيه الأصوات التي تنادي وتطالب بخروج المرأة التي هي نصف المجتمع كما يزعمون، وأن المجتمع كالطير لا يحلق إلا بجناحين، وأننا لا يمكن أن نتقدم أو نتطور أو نزاحم الأمم المتحضرة بحال من الأحوال، إلا إذا أخرجنا المرأة من قرارها وبيتها، ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝﴾ [الكهف من الآية:5].

لقد وُجد من يقول بأن ما يقرره علماؤنا في دروسهم ومحاضراتهم وفي فتاواهم لا يبنى إلا على أوهام لا على أدلة واضحة صحيحة صريحة يوقَف عندها، بل إن بعض المنتسبين للدين أو العلم أو الدعوة صار يردد كلامًا ما كنا نسمعه قبل ذلك؛ ذلك أنه صار يطرح طرحًا نشازًا، طرحًا غير مألوف في وقت الهزيمة.

يقولون: إن قاعدة سد الذرائع وإن صورة الحجاب التي عليها كثير من المسلمات في بلادنا كل ذلك ليس ثمة دليل صريح عليه، وأن عمل المرأة مع الرجل جنبًا إلى جنب ليس ثمة ما يمنع منه شرعًا، وأن علينا أن نطرح ما دلت عليه الأدلة الصريحة الواضحة من الكتاب والسنة فحسب! وهؤلاء لا شك أنهم مغالطون؛ ذلك أنهم يتكلمون بغير علم، أو أنهم يعلمون ويضللون الناس.

إننا في زمن أصيبت فيه كثير من النفوس بما أصيبت من الضعف والتراجع، وصرنا نرى من يطالب بمراجعة المواقف، فماذا نراجع؟ نراجع ديننا؟ نراجع كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أم نراجع ماذا؟ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ما أحوجنا في مثل هذه الأيام إلى أن نرفع رؤوسنا، ونقول بملء أفواهنا: إن المنهج الذي رسمه القرآن هو المنهج، وإن الفهم الذي ينبغي أن يفهم به هذا القرآن إنما هو فهم السلف الصالح رضي الله عنهم. ما أحوجنا إلى تكثيف الخطب والمقالات والكتابات والمحاضرات وألوان المدارسات في مثل هذه الأيام؛ فنحن -والحمد لله- كثير، وقد خرَّجت الجامعات الشرعية التي تحمل

المنهج الأصيل منذ عشرات السنين أجيالًا متتابعة ممن يحملون العلوم الشرعية، فهذا أوانهم، فينبغي أن يظهر صوتهم دون تلك الأصوات النشاز التي ليست من العلم في قليل ولا كثير غالبًا، حتى صار يتكلم أهل الصحافة وغيرهم، يتكلمون ويفتون بالمسائل الكبار من غير تورع، ومن غير تقىً لله عز وجل.

لقد أنزل الله عز وجل هذه الآيات التي يربى بها بيوت الأشراف، حيث قال الله عز وجل: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب من الآية:32].

﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾: إن نفي المماثلة هنا يدل على رفيع المنزلة وعلو الشرف.

﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾: أي أنكن أشرف من غيركن من النساء، وأعلى مقامًا، وأرفع درجة، فهذا الذي دل عليه نفي المماثلة.

﴿ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ﴾: دل ذلك على أن بيوت الأشراف، والبيوت الرفيعة، والبيوت الكريمة يصلح لها من التربية ما لا يصلح لغيرها، وأنهم ينبغي أن يكونوا في مقامات وأفعال وأقوال وأحوال تليق بمنازلهم الشريفة.

ثم انظر هذا التعليق، حيث قال الله عز وجل: ﴿ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ﴾: وهذا هو الأرجح من أقوال المفسرين -والله تعالى أعلم- في موضع الوقف في هذه الآية؛ لأن الوقف فيها يحتمل موضعين﴿ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ﴾: أي: أنتن أشرف من غيركن من النساء، ثم يكون الكلام: ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب من الآية:32]، والأحسن أن يكون هكذا - والله تعالى أعلم- ﴿ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ﴾: لأن نفي المماثلة لأحد من النساء إذا كان ذلك مع تقوى الله عز وجل. ثم قال بعده:﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾: إن كنتن أشرف من غيركن مع تحصيل التقوى، أو في حال تحصيل التقوى، فينبغي ألا تخضعن بالقول فيؤدي ذلك إلى أمور لا تليق.

﴿ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلۡبِهِۦ مَرَضٌ ﴾: لستن كغيركن إن كنتن متقيات، وهذه التقوى تتطلب أخلاقًا من الأفعال والأقوال والأحوال، ينبغي أن تكون الواحدة منكن متحلية بها.

﴿ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ ﴾، ولاحظ هذا التعبير ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾: المتبادر أن يقال: (فلا تُخْضِعْنَ القول) لأن الإخضاع إنما يكون للقول -للكلام- يكون الكلام خاضعًا، تَخضَع في قولها، تُخضِع قولها، هذا هو المراد، والله تعالى أعلم.

لكن لماذا نسب الله عز وجل الخضوع إليهن، وأضافه إلى ذواتهن فقال: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ [الأحزاب من الآية:32] لماذا لم يقل: (فلا تخضعن القول) كما هو المتبادر؟ يقال: لما للظاهر من الملازمة مع الباطن، فالظاهر ملازم للباطن؛ وذلك أن المرأة إذا تغنجت وتكسرت في كلامها ورققته، وأظهرت التأنث للرجال في قولها ومنطقها، فإن ذلك يورثها خنوعًا في ذاتها وتكسرًا، وانكسارًا أمام الرجال، وخضوعًا ببدنها؛ وذلك للملازمة بين الأمرين.

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾، لأن إخضاع القول يورث خضوع البدن، يورث التكسر في البدن، يورث إخضاعه للرجال، فلا تخضعن بالقول.

وخضوع المرأة بقولها يكون بصور شتى: يكون حينما تختار المرأة الألفاظ والعبارات التي لا تصلح إلا لزوجها، فتتكلم بها، سواء في الهاتف، أو عبر الإنترنت، أو تتكلم بها مباشرة مع البائعين مع الطبيب، ومع غيرهم، فتتكلم وتتخير من الألفاظ ما لا يصلح إلا مع الزوج، فهذا من الخضوع بالقول.

ويكون الخضوع بالقول أيضًا حينما تتكلم بألفاظ لا عيب فيها، ولكنها تنطق وتؤدي هذه الألفاظ وتعبر بها بشيء من الغنج، وبشيء من الرخاوة، وبشيء من تمييع القول وتليينه للرجال الأجانب، ثم تحصل بعد ذلك النتيجة المتوقعة التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآية.

قال: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾: الفاء هنا تدل على التعليل، وهي مشعرة به، وهي تدل أيضًا على التعقيب.

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾: الطمع هو انجذاب النفس، وميلها إلى الشيء الذي تشعر أنه قريب المأخذ والمنال؛ فالمرأة إذا تغنجت وزينت الكلام مع الرجال ولينته ورققته امتدت إليها النفوس الضعيفة، وطمع بها الذئاب، وصاروا يرون أنها قريبة المأخذ، وأنها في متناولهم، وأنها ممكنة لمن طلبها.

﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ من هو الذي في قلبه مرض؟ غالبًا يعبر في كتاب الله عز وجل بهذا التعبير، ويراد به النفاق، وقد يراد به ضعف الإيمان، إلا في هذا الموضع، فالمراد بهذا الوصف هنا هو من كان فيه ميل محرم إلى النساء، قلبه ينجذب انجذابًا محرمًا إلى النساء، يلتفت قلبه إلى النساء؛ ليقارف معهن ما لا يليق مما حرمه الله - عز وجل- كالزنا ونحوه، هذا الذي في قلبه مرض.

وبهذا نعلم أن أولئك الرجال الذين يضعون الشباك ليصطادوا النساء تارة عند المدارس - مدارس البنات- وتارة في أسواق النساء، وتارة عبر شبكة الإنترنت،

أو غير ذلك، هؤلاء بنص كتاب الله عز وجل من الذين في قلوبهم مرض، ﴿فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾.

وإذا كان ذلك مقولًا لأمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن فغيرهن من باب أولى؛ ولكن قد يفهم من هذا النهي عن الخضوع بالقول أنها ترد على الرجال، وتكلم الرجال برد غليظ، وبكلام جاف مع غلظة وشدة، فبين الله عز وجل أن ذلك غير مراد، فقال: ﴿وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢﴾ [الأحزاب من الآية:32]، فالقول المعروف لا يكون فيه فضاضة وغلظة ترد على الرجل كأنها مغضبة، والقول المعروف لا تخضع فيه المرأة وتتغنج وتنعم كلامها وترققه مع الرجال الأجانب، والقول المعروف لا تخير فيه المرأة الألفاظ التي لا تصلح إلا مع زوجها، أو لربما محارمها، هذا هو القول المعروف، يشمل هذه الأوصاف الثلاثة.

ثم لما أدبهن الله جل وعلا بالقول والكلام كيف تتكلم الواحدة منهن مع الرجال الأجانب، علمهن أدبًا آخر فقال: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ

ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾ [الأحزاب:33].

﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾: فيه قراءتان متواترتان، الأولى: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ وهي قراءة عاصم ونافع، والقراءة الثانية: ﴿وَقِرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ بكسر القاف، وبعض أهل العلم يقولون: إن معنى القراءتين واحد، فهو من القرار، وبعض أهل العلم يفرق بينهما وهذا التفريق ليس بين القولين فيه منافاة؛ ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ من القرار، من قرَّ الماء في الحوض، أي استقر، فتكون مستقرة، باقية غير خراجة ولا ولاجة، لأن المرأة التي تكثر الخروج في أول نهارها وفي آخره، لا يقال إنها قارة في البيت.

والقراءة الأخرى، ﴿وَقِرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ فسرها جمع من الأئمة -أئمة التفسير- بمعنى الوقار، وقرن من الوقار، والمعنيان متلازمان؛ إذ أن وقار المرأة المسلمة يكمن في قرارها في بيتها، وذلك أن المرأة إذا كانت خراجة ولاَّجة فإن ذلك يكون على حساب وقارها ولا بد، وهذا أمر مشاهد، فإن المرأة الخراجة

الولاَّجة يكون فيها من الجرأة ما لا يكون في غيرها عند النساء القارَّات في البيوت.

والمرأة إنما تمدح - حتى في كلام العرب وأشعارهم، ولربما وصفت بالقاصرة: أي التي تعكف في بيتها فلا تخرج منه ولا تراها الشمس- يمدحونها في أشعارهم، ومن أراد أن يقف على شيء جيد من ذلك فليراجع كتاب (الرحلة إلى حج بيت الله الحرام) للشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله فله كلام جيد وأشعار جميلة في مثل هذا المعنى.

فالمقصود أن الوقار مقترن بالقرار، المرأة يكون وقارها على قدر قرارها، أما إذا كان خروجها لعمل تختلط فيه بالرجال الأجانب، فإن ذلك يمسح ماء وجهها، سواء كانت تعمل بائعة، أو كانت تعمل مسوِّقة، أو كانت تعمل في مكان تطبب فيه الرجال، أو تخالط الرجال بأي صورة من الصور، فإنها مهما كانت محافظة، أو تحاول أن تحافظ على حشمتها فإن وقارها يتناقص ولا بد.

وقَرْن، وقِرْن في بيوتكن، ثم قال بعده ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب من الآية:33] فالمرأة المتبرجة كيف تكون كذلك؟ يقال: بكثرة

الخروج أن تكون خراجة ولاجة، ويكون ذلك أيضًا بالتكشف والتهتك باللباس والتعري أمام الرجال، ويكون ذلك بمزاحمة الرجال بالأسواق ومخالطتهم في أماكن العمل، يكون إذا كانت بائعة في الأسواق، إذا كانت هذه المرأة تعمل في كل مجال يتاح لها من غير حياء ولا حشمة ولا مراعاة للآداب الإسلامية؛ كل ذلك يكون من تبرجها.

ومن تبرج المرأة أن تسير في وسط الطريق، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم النساء عن السير في وسط الطريق، فقال عليه الصلاة والسلام: «ليسَ لِلنِّساءِ وسطُ الطَّريقِ»، ولقد أدركنا النساء في بعض النواحي يتشقق جانب عباءتها؛ لأنها إذا رأت رجلًا في الطرق التصقت بالحائط، وكانت الحوائط يومئذ مبنية من الطين ويخالطه -أعزكم الله- التبن من أجل أن يتماسك الطين، فلكثرة ما تلتصق المرأة بالجدار يتمزق جوانب عباءتها، وقد

رأيت ذلك بعيني.

يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب من الآية:33]: الجاهلية هي حالة نفسية وواقعية وشعورية بعيدة عن الله عز وجل لا

تهتدي بالوحي، هي حياة منسوبة إلى الجهل، هي فكر منحرف شاذ بعيد عن هدى الله عز وجل الذي بعث به أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام هذه هي الجاهلية، وانظر وتأمل كيف أضاف الله عز وجل التبرج إلى الجاهلية.

حدثني عدد من القريبات بقولهن: المرأة التي تضع عباءتها فوق رأسها، وتلبس القفاز، وتضع الخمار الكامل على وجهها من غير تلاعب بنقاب ونحوه يصفونها بأنها قديمة، وأنها متخلفة، وأنها رجعية، وأنها مقبورة، وأنها لا تعيش عصرها وزمانها، وأنها قد دفنت شبابها وجمالها، وأنها صارت في عالم غير العصر الذي تعيش فيه! أقول: الله عز وجل أضاف التبرج إلى الجاهلية، فهو من أعمال الجاهلية، فمن هي المرأة الجاهلية، أو التي فيها خصلة من خصال الجاهلية؟ من هي المرأة المتخلفة؟ من هي المرأة الرجعية؟ هي المرأة التي تكون متبذلة، متبرجة متهتكة أمام الرجال الأجانب، وأما اللباس والحشمة والنقاء والطهر والعفاف فليس ذلك من أمر الجاهلية في شيء، فالتهتك والعري ليس شيئًا إلا من عمل الشيطان، هو الذي يدعو إليه، ويحض عليه، ويأمر به، فكل امرأة متهتكة - في عصرنا هذا وفي غيره من الأعصار- هي مستجيبة لأمر

الشيطان، قد جعلت أمر الله عز وجل وراءها ظهريًا. ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾: وكفى بذلك قبحًا أن ينسب إلى الجهل وإلى الجاهلية.

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾: كيف كانت المرأة تتبرج في ذلك الزمان؟ غاية ما ذكره المفسرون أنها لربما وضعت خمارها على رأسها، ثم جعلته من خلفها فيبدو موضع القلادة، ولربما بدا موضع المقدم من شعرها، هذا هو تبرج الجاهلية الأولى، فأين التبرج الذي يفعله اليوم عارضات الأزياء؟! أين التبرج الذي يفعل في مشارق الأرض ومغاربها على شواطئ البحار، وفي البرك وفي غيرها من أماكن القذر والتبذل والاستخفاف بكل ألوان الشرف والعفة والطهارة؟! أين هذا مما يفعله كثير من بنات المسلمين -هدى الله الجميع وردهن إلى دينه ردًا جميلًا- في صالات الأفراح، وفي المناسبات من إبداء الأجساد والتعري بصور مغرية تغري النساء الحاضرات؟! هذا كله من عمل الشيطان.

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾: وكعادة القرآن إذا نهى عن شيء أمر بما يعمر القلوب، وبما تشغل به الأوقات بما ينفع، ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب من الآية:33].

ليست القضية أن ننهى الناس، لا تفعلوا كذا، هذا لا يجوز، هذا يحرم، هذا بدعة، هذا منكر.. الخ، هذا أمر مقصود لغيره كما قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله ليس مقصودًا لذاته، وإنما المقصود لذاته هو أن تعمر القلوب بطاعة الملك المعبود جل جلاله أن نعمر قلوب الناس بالإيمان، وبمحبة الله عز وجل والقرب منه، ونعمر القلوب بألوان الأعمال القلبية التي يكون المؤمن بها على الحال اللائقة التي تصلح للعبودية، أو لتحقيق العبودية مع الله جل جلاله.

قال الله عز وجل: ﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [الأحزاب من الآية:33]: نحن نقول للنساء: وقرن في بيوتكن؛ لكن المشكلة في عصرنا هذا إذا بقيت المرأة في بيتها ماذا تصنع؟ تبقى أمام شاشة، أو أمام كاميرا تتعرى فيها تعريًا كاملًا أمام ذئاب قد اصطفوا واجتمعوا ينظرون إليها بخبث وغدر، وهي تتبذل أمامهم بكل مهانة عبر الإنترنت؟! تبقى في بيتها تقلب طرفها بين تلك القنوات التي تسلبها دينها وعقيدتها وإيمانها وعفافها! تبقى في بيتها تقلب المجلات الهابطة! تبقى في بيتها تعبث بسماعة الهاتف فيصطادها ذئاب البشر!

ولهذا يقال في هذا الزمان: ينبغي على المرأة التي لا يوجد في بيتها ما يشغلها، وليس لها رصيد من تقوى الله عز وجل يردعها ويمنعها، ينبغي لها أن تذهب فتخرج لتلتقي بأخوات عبر المراكز الصيفية النسائية، وعبر حلق التحفيظ، وجمعيات تحفيظ القرآن، والأنشطة الطيبة الموثوقة التي يقوم عليها الخيرات من الداعيات إلى الله عز وجل.

تخرج المرأة التي لا تجد الكفاية في هذا الجانب في بيتها، وتخرج المرأة التي لا يوجد لدى الداعيات من يعوض مكانها إذا غابت، فتجتهد ونتقِّ الله في خروجها وتقلل منه ما استطاعت، فتخرج لتنفع الأخوات، وتعلم ما تحتاج إليه المسلمات، أما من وجدت كفايتها وما احتاج أخواتها إليها فإنها تبقى في بيتها.

هذا هو أمر الله عز وجل فأين أولئك الذين يدعون إلى فتح المجال أمام المرأة لتعمل في المصنع والمتجر وأماكن التجميل النسائية والصيدليات وغيرها من ألوان الأعمال التي تكون فيها أجيرة عند الآخرين؟ يقولون: إن نصف المجتمع معطل! الله يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، وأنتم تقولون: نصف المجتمع معطل؟! ما هي حقيقة العمل في نظر هؤلاء المخادعين الذين يكذبون على الناس؟

حقيقة العمل عندهم أن تكون أجيرة عند غيرها، وأما التي تعمل في عملها الأصيل فترضع الصغير وتمرض المريض وتقوم على شؤون الدار، وتقوم على شؤون الزوج، وتقرأ كتاب الله – جل وعلا- وتشتغل بطاعته، فهذه عاطلة عندهم، وعندئذ يخدعونها ويستغفلونها ويستجرون قدمها حتى تخرج، فإذا خرجت حصلوا بغيتهم ومقصودهم بإفسادها، وإذا فسدت المرأة فسد المجتمع، نعم، ثقوا أنه إذا فسد النساء فسد الرجال، إلا من رحم الله وعصم، وهذا أمر مشاهد في العالم.

وأمر آخر مشاهد يرد به على هؤلاء الأفاكين الكذابين، وهو أن بلاد المسلمين قد مرت بمثل ما تمر به بلادنا هذه قبل أكثر من مائة سنة، مروا بنفس الخطوات، وقام دعاة إلى أبواب جهنم، يرددون نفس الكلام، الذي يردده بعض الكُتَّاب في أيامنا هذه، فخرجت المرأة من قرارها وعفتها وحشمتها، وصارت تعمل في كل مكان صارت تعمل في كل مكان بلا استثناء، فهل تحضرت تلك الشعوب الإسلامية؟ هل صارت تلك الدول العربية في مصاف الدول المتقدمة؟ لقد أظهرت الإحصائيات ما يندى له الجبين حيث إن

مستوى الاقتصاد لهذه الدول مجتمعة لا يعادل دولة أوربية واحدة ليست من الدول الكبرى وهي إسبانيا، الإنتاج المحلي لا يعادل دولة واحدة من دول أوربا، دول مجتمعة، يجمعها لغة واحدة ودين واحد، وعقيدة واحدة، لا تعادل دولة من دول أوربا، وليست الدول الكبرى.

النساء خرجن في الدول العربية منذ أكثر من مائة سنة، وأصبحن جدات - أعني أولئك المتبرجات- وصارت الواحدة تعمل في كل عمل مهين مشين، فهل صاروا في مصاف الدول المتقدمة؟ أبدًا، هل انتهت مشكلة البطالة عندهم؟ أبدًا، إنما يجمعهم وصف واحد في نظر عدوهم، بل هم يرددون هذه العبارة: العالم الثالث، العالم المتخلف.

الله عز وجل يقول: ﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [الأحزاب من الآية:33]: أمرهن بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، لماذا خص الصلاة والزكاة؟ يمكن أن يقال والله تعالى أعلم: إن الصلاة هي رأس العبادات البدنية، والزكاة هي رأس العبادات المالية، ويمكن أن يقال: إن سعادة العبد دائرة بين أمرين: الأول: حسن الصلة بالله عز وجل والثاني: الإحسان إلى

الخلق، ورأس الصلة بالله، وحسن الصلة بالله هو الصلاة، ورأس الصلة بالخلق والإحسان إلى الخلق هو الزكاة، أن يحسن الإنسان إليهم بماله.

﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾: انظر كيف عبر الله عز وجل -كما هي العادة في القرآن-: ﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾، ما قال: (وأدين الصلاة)، وهذا فيه جواب كبير لسؤال يطرح دائمًا، ولربما نسمع إجابات بعيدة، لربما نسمع من يقول: بأن الصلوات كالدواء إذا أخذت في أوقاتها أدت الثمرة ولو بعد حين.

نقول: لا حاجة لهذا الكلام، الله قال: ﴿وَأَقِمْنَ﴾، والحكم المعلق على وصف يزيد بزيادته وينقص بنقصانه، الحكم في قول لله عز وجل: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت:45]، أي: لأن الصلاة تنهى؛ لأن (إنَّ) تدل على التعليل، أقم الصلاة؛ لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، الحكم أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، والوصف إقام الصلاة، والحكم المعلق على وصف يزيد بزيادته وينقص بنقصانه، معنى هذا الكلام أنه على قدر

أداء الصلاة -على قدر إقامة الصلاة- يكون تأثيرها في نفس المصلي، هذا هو الجواب، والله تعالى أعلم.

هنا الله عز وجل قال: ﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [الأحزاب من الآية:33]: فإذا أقامت المرأة الصلاة ما الذي يحصل؟ صار بقاؤها في بيتها خيرًا لها؛ لأن إقامة الصلاة تنهاها عن الفحشاء والمنكر، فلا تدخل في حال أو تلابس أمرًا لا يليق، لا تمتد يدها إلى الهاتف فتحادث محادثة محرمة، لا تخضع بالقول في الرد على الهاتف، لا تستخدم هذه الشبكة استخدامًا غير لائق، لا تغتاب أحدًا في بيتها، لا تكذب، لا تخون زوجها، لا تفعل شيئًا يشينها مما حرمه الله عز وجل عليها، كل ذلك يحصل إن تحقق إقامة الصلاة.

﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [الأحزاب من الآية:33]: ﴿ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾: هذا فيه وعد، وفيه بشرى لهن في ذلك الوقت؛ لأنهن فقيرات آنذاك يطالبن بزيادة النفقة، فأي زكاة تؤدى؟! فهذا يدل على أن الله سيوسع عليهن حتى يخرجن الزكاة.

ثم بعدما خص إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وهي من طاعة الله ورسوله، عمم بالأمر بطاعة الله ورسوله فقال: ﴿ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [الأحزاب من الآية:33]: بالقرار في البيت، بالحشمة، بحفظ حدود الله عز وجل بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحفظ شرائع الإسلام، كل هذا داخل في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه

وسلم.

ثم علل تلك التوجيهات فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٣﴾ [الأحزاب من الآية:33]: كل ذلك، كل هذه التوجيهات، حصرها بهذه العلة، والحصر بـ(إنما) يعد من أقوى صيغ الحصر، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٣﴾:

والرجس: هو كل قذر ودنس وأذى من القذر المعنوي والقذر الحسي، كل دنس أراد الله عز وجل أن ينزه بيت نبيه صلى الله عليه وسلم عنه، كل ما يدنس الفضيلة، كل ما يدنس الشرف، كل ما يدنس الدين، كل ما يدنس

الأخلاق أراد الله أن يذهبه عن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أرفع البيوت.

فمن أراد أن يعرف الحصانة التي يمكن أن تحصن بها المجتمعات الإسلامية، من أراد أن يعرف السياج الحقيقي المتين الذي يمكن أن تحفظ به المرأة المسلمة والأسرة المسلمة، فهو فيما ذكر الله عز وجل وهو اللطيف الخبير يكون بذلك، بقرار النساء في البيوت، واشتغالهن بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإذا احتاجت إلى خروج أو إلى محادثة للرجال، فإن ذلك يكون على قدر الحاجة، بأقصر عبارة، وبأحسن أداء مما لا يعيبها ولا يقدح في حيائها وحشمتها وعرضها وشرفها.

هذه زوج إبراهيم صلى الله عليه وسلم ماذا قالت حينما بشرها الملائكة بالولد؟ عبرت بلفظتين اثنتين قالت: ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات من الآية:29]: ذكرت علتين الواحدة منهن تكفي لمنع الإنجاب، الأولى الكبر حيث ينقطع رجاء المرأة من الإنجاب، والثانية العقم، ﴿قَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾، فما تكلمت بكلام طويل كثير، وهكذا أدب المرأة المسلمة، تختصر في الكلام، لا تطيل

إذا استفتت في الهاتف، لا تطيل إذا تكلمت مع البائع، لا تطيل إذا احتاجت إلى أن ترد على الهاتف، وإنما تتكلم بالكلام الوجيز المختصر الذي

تختار فيه العبارة اللائقة من غير خضوع بالقول.

﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ٣٣ ﴾: فإذا حققت المرأة المسلمة هذا المعنى ذهب عنها الرجس والدنس مما يقذر الفضيلة وما يقذر الشرف والطهر، كل ذلك يذهب عنها إذا تخلقت بأخلاق القرآن، وتحلت بهذه الآداب التي أدبها الله تبارك وتعالى بها.

هذا أمر مقرر في كتاب الله عز وجل لا مرية فيه، فليس من بنات أفكار البشر، وليس من اجتهاداتهم، ولا قول لأحد مع الله عز وجل ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٥١ ﴾ [النور:51]، ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٖ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦ ﴾ [الأحزاب:36].

فلا تثبت قدم الإسلام إلا على قاعدة التسليم لأحكام الله عز وجل. من تأمل النصوص في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه يخرج بنتيجة لا شك فيها أن من مقاصد الشارع في تربية المرأة المسلمة أن تبتعد عن مواطن الرجال أعظم ابتعاد؛ لأنه كلما كانت المرأة أبعد عن مواطن الرجال فهو خير لها. صلاة المرأة في بيتها خير لها من المسجد: ما هي أشرف البقاع وما هي أحب البقاع إلى الله عز وجل وما هي أبغض البقاع إلى الله التي يغرز الشيطان فيها رايته؟ أحب البقاع إلى الله المساجد، وأبغض البقاع إلى الله الأسواق، وهي التي يغرز الشيطان فيها رايته، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك فإن الشارع قصد إبعاد المرأة المسلمة عن مواطن الرجال حتى ولو كانت تلك الأماكن مساجد الله، فضلًا عن أن تكون أسواقًا يجتمع فيها الناس لأمورهم الدنيوية، ومن النصوص الدالة على ذلك ما أخرج الإمام أحمد وابن خزيمة وابن حبان بإسناد حسن من حديث أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي -رضي الله عنها- أنها جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: "يا رسول الله، إني أحب الصلاة معك"، امرأة أبي حميد في زمن الصحابة كيف

تخيل -يا عبد الله- أن تخرج هذه المرأة وغيرها من نساء الصحابة للصلاة مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد النبوي؟ ما ذلك اللباس الذي تلبسه؟ ما مقدار الحشمة التي تحلى بها مثل تلك الصحابية رضي الله تعالى عنها؟ قالت: "إني أحب الصلاة معك"، تريد أن تخرج لأحب البقاع إلى الله عز وجل فماذا كان الجواب؟ قال: «قَدْ عِلمْتُ أنَّكِ تُحِبِّينَ الصلاةَ معي»، إنها ما خرجت لتتلذذ بصوت الإمام الجميل، وما خرجت لتتعرض للرجال، وما خرجت للفرجة لترى الزحام، وما خرجت لتخرج مما تسميه كثير من النساء اليوم كبتًا في البيت.

قال: «قَدْ عِلمْتُ أنَّكِ تُحِبِّينَ الصلاةَ معي»، لكن قال لها صلى الله عليه وسلم: «وصلاتُك في دارِك خيرٌ مِن صلاتِك في مسجدِ قومِك وصلاتُك في مسجدِ قومِك خيرٌ مِن صلاتِك في مسجدي».

صلاتها في البيت أفضل من الصلاة في مسجد الحي، وصلاتها في مسجد الحي أفضل من صلاتها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو في المسجد الحرام خلف النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الزمان، فأَمَرَت فبُني لها مسجدٌ في أقصى شيءٍ مِن بيتِها وأظلَمِه وكانت تُصلِّي فيه حتى لقيَتِ الله عز وجل.

وأخرج أحمد والطبراني في الكبير وابن خزيمة في صحيحه والحاكم من حديث أم سلمة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيرُ مساجدِ النِّساءِ قَعرُ بيوتِهِنَّ».

وأخرج عنها الطبراني في الأوسط بإسناد حسن أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صَلاةُ المرأةِ في بيتِها خيرٌ مِن صلاتِها في حُجرتِها، وصلاتُها في حُجرتِها خيرٌ من صلاتِها في دارِها، وصلاتُها في دارِها خيرٌ من صلاتِها خارجٌ».

وعند أبي داود بإسناد صحيح من حديث ابن عمر مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تَمنَعوا نساءَكُمُ المساجِدَ وبيوتُهُنَّ خيرٌ لَهُنَّ».

وعند الطبراني في الأوسط بإسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المرأةُ عَورةٌ»: المرأة عورة ولو خرجت متحجبة، فأين الذين يقولون: ما المانع أن تخرج الداعيات عبر القنوات الفضائية لتقدم بعض البرامج الدعوية؟ أين الذين يقولون: ما المانع أن نوجد قناة للمرأة تخرج فيها المرأة الداعية وتوصل صوتها ليسمعها العالم، بدلًا من أن يتكلم أولئك المضلات الفاتنات المفتونات؟!

نقول: المرأة عورة، وينبغي أن نفقه هنا معنى كلمة عورة، العورة كل شيء يحتاط له، ويحترز له، ويتخوف من ناحيته.

فالعورة تطلق بإطلاقات متعددة يجمعها هذا المعنى، فالمرأة يتخوف عليها ويحتاط لها، والشارع قصد الاحتراز للمرأة وحفظها وصيانتها، فكيف يقال: تخرج في القنوات الفضائية بحجة أن صوت المرأة ليس بعورة؟ نقول: ماذا تقصد بقولك أن صوت المرأة ليس بعورة؟ هل تقصد أنه يحرم أن يسمعها الرجل، لا يحرم أن يسمعها الرجل بدليل هذه الآيات: ﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب من الآية:32]، لكن إذا قيل: صوت المرأة عورة بمعنى أنه يحتاط له، فهذا صحيح، فكيف يطالب أن تلقي محاضرات يسمعها الرجال؟ والرجل إذا سمع صوت المرأة تحركت نفسه؛ لأنها - ولا بد- محلٌ ركبها الله عز وجل تركيباً يميل الرجل إليه ميلاً طبيعياً، والعكس صحيح.

فأقول: النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «المرأةُ عورةٌ، فإذا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَها الشيطانُ»: ما معنى استشرفها الشيطان؟: هل المعنى أنه هم بها، وأغرى بها؟ أم أنه حرك النفوس المريضة لأولئك الذين تمتد أنظارهم إلى

النساء الذين إذا رأوا امرأة أو سوادًا من بعيد التفتوا يغريهم الشيطان، فينظرون إليها ولو كانت محجبة، لذلك ليس للمرأة أفضل من دارها حيث لا ينظر إليها الرجال ولا تمتد إليها نفوسهم.

يقول عليه الصلاة والسلام: «وإنَّها إذا خرَجتْ استشرَفها الشَّيطانُ وإنها لا تكونُ أقربُ إلى اللهِ منها في قعرِ بيتِها».

وفي حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما صلَّتِ امرأةٌ صلاةً أحبَّ إلى اللهِ مِن أشدِّ مكانٍ في بَيتِها ظُلمةً»، فكيف بخروجها تبيع في الأسواق؟ الصلاة في أكثر مكان في بيتها ظلمة، كيف تكون بائعة؟ كيف تشتغل في الشركة؟ كيف تشتغل في المستشفى؟ كيف تكون مقدمة برامج؟ وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أيضًا: "النساء عورة، وإن المرأة لتخرج من بيتها وما بها بأس فيستشرفها الشيطان، فيقول: إنك لا تمرين بأحد إلا أعجبته، وإن المرأة لتلبس ثيابها، فيقال: أين تريدين؟ فتقول: أعود مريضًا، أو أشهد جنازة، أو أصلي في مسجد، وما عبدت امرأة ربها مثل أن تعبده في بيتها" وإسناده حسن عند الطبراني.

وثبت عنه مرفوعًا كما عند أبي داود وابن خزيمة: «صلاةُ المرأةِ في بيتِها أفضلُ مِن صلاتِها في حُجرتِها، وصلاتُها في مَخدَعِها أفضلُ مِن صلاتِها في بيتِها».

صلاتها في مَخدعها ويقال: مُخدَعها، ما المراد به؟ البيوت قديمًا كانت غرفة المرأة فيها غرفة صغيرة يوضع فيها نفيس المتاع، فهذا هو مخدعها، بمعنى أنها تصلي في غرفة بداخل غرفتها، فهذا أفضل من صلاتها في بيتها، والمراد بـ(بيتها) في هذا الحديث -والله أعلم- أي في غرفتها - ما نسميه اليوم غرفة المرأة- فصلاتها في ذلك المكان في داخل الغرفة أفضل من صلاتها في الغرفة التي في بيتها.

«صلاةُ المرأةِ في بيتِها أفضلُ مِن صلاتِها في حُجرتِها»: والمراد بالحجرة في الحديث -والله تعالى أعلم- ما نسميه اليوم بالصالة، وهو المكان الذي تطل عليه الأبواب أي أبواب الغرف.

فالمقصود أن المراتب بهذا الشكل، صلاتها في تلك الغرفة التي داخل غرفتها، أفضل من صلاتها في غرفتها -التي هي بيتها هنا- وصلاتها في غرفتها -أي في بيتها- أفضل من صلاتها في حجرتها –أي في الصالة- «وصلاتُها في حُجرتِها خيرٌ

من صلاتِها في دارِها»: والمقصود بدارها يعني في البيت والذي نسميه الآن المنزل فنائه وبنائه، كل ذلك يقال له: دار، فانظر هذا التقسيم داخل المنزل، كم هي مراتبه؟ مخدعها وبيتها وحجرتها ودراها، أربع مراتب في المنزل، ثم يلي ذلك مسجد الحي، ثم يلي ذلك جامع الحي، ثم يلي ذلك الصلاة في المسجد الحرام أو مع النبي عليه الصلاة والسلام هذا في عبادة، فكيف إذا كان الخروج للأسواق أو للمنتزهات التي فيها الاختلاط والسفور وألوان الردى تتبعها أنظار من لا يخافون الله عز وجل ولا يتقونه يتمتعون بالنظر إليها، وهذا الذي قصده الشارع في تربية المرأة المسلمة.

وقد رأى ابن مسعود رضي الله تعالى عنه النساء في المسجد الجامع، فكان يخرجهن من المسجد يوم الجمعة، ويقول: "اخرجن إلى بيوتكن خير لكن" وعلى كل حال فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن منع النساء من شهود الصلاة في المساجد.

وفي زماننا قد تحتاج المرأة المسلمة فيه إلى حضور مجالس الخير والذكر والعلم، وألوان من الأنشطة الموثوقة الطيبة، ولا بأس إذا كانت المرأة فقيرة أو

محتاجة أن تعمل، وإلا فالأصل أن تعطى من بيت مال المسلمين ما يكفيها، وخاصة إذا كانت أرملة فقيرة فينبغي أن تكفى فلا تحتاج إلى الخروج؛ لكن ما هي نسبة هؤلاء بالنسبة إلى عموم النساء؟ لا شك أنهن قلة، لذلك لا داعي لأن تخرج الغنية والفقيرة من النساء للبحث عن الأعمال بطريقة مسعورة، حتى صارت النظرة إلى المرأة التي لا تعمل نظرة انتقاص؛ وهذا انتكاس في المفاهيم والعياذ بالله.

إن المرأة التي تحتاج إلى العمل لا مانع أن تعمل بحشمة فيما يلائمها، فتكتسب إن لم يوجد من يعولها؛ لكن للأسف الشديد من الذي أصبح يتنافس على الوظائف من النساء؟ الأغنياء منهن ذلك أنك تجد المرأة غنية، وأهلها أغنياء، وتجد أنها تذهب إلى عملها ربما مئات الأميال أحيانًا عن بيتها مع سائق، ولربما في أماكن داخل الصحراء تتعرض للأخطار والحوادث وهي غنية، بل لربما كان أهلها من الأثرياء، ومع ذلك فهي تحتج أنها درست سبع عشرة سنة، ثم تبقى في بيتها، وهذا لا يليق ولا يصح من وجهة نظرها! لا بأس إن كان لديها فضل وقت فتذهب مع الأخوات الصالحات في أنشطة تبني ولا

تهدم، فهكذا علمنا القرآن، وهكذا أدبنا القرآن، ونحن يجب علينا أن نستجيب لأمر الله عز وجل؛ لأن هذا هو مقتضى الإيمان.

والنبي صلى الله عليه وسلم ماذا قال لأزواجه في حجته - حجة الوداع- قال: «هذِه ثُمَّ ظُهورَ الحُصرِ»: ما معنى هذه ثم ظهور الحصر؟ المعنى أي والزمن الحصير ملازمة، بمعنى أنها لا تخرج لا لحج ولا لعمرة، ولا لغيره.

وقد قيل لسودة رضي الله عنها لم لا تحجين ولا تعتمرين كما يفعل أخواتك؟ فقالت: "قد حججت واعتمرت، وأمرني الله أن أقر في بيتي، فوالله لا أخرج من بيتي حتى أموت"، يقول الراوي: "فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت جنازتها": هؤلاء أمهات المؤمنين المستجيبات لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ليس على النساء غضاضة في أن تكون مكفية، بل هذا هو منتهى الإكرام للمرأة، والعرب في أشعارهم يمدحون المرأة التي يسمونها نؤوم الضحى؛ لأنها امرأة مترفة في نظرهم، ويوصفون المرأة بأنها لم ترها الشمس، ويضربون المثل

للحياء الشديد بالعذراء في خدرها، ما رآها رجل، وما رأت رجلًا، وما كلمت رجلًا أجنبيًا، تكون درة مصونة محفوظة لا يمتع بالنظر إليها كل آسر وكاسر.

إن العاقل من وعظ بغيره، انظروا إلى العالم من حولكم، الذين يكتبون في الصحف ويطالبون ويقولون: إن قيادة المرأة للسيارة يغنيها عن مآسٍ كثيرة، فلا تحتاج إلى السائق، وهذا له تكاليف باهظة.. الخ، وهذا كذب، ففي البلاد التي من حولنا صار النساء يقدن السيارات أليس كذلك؟ هل استغنوا عن السائقين؟ أبدًا، وإنما كانت النتائج عكسية، حينما يقولون: إن خروج المرأة ينعش الاقتصاد، إذا خرجت للعمل، والحقيقة أن الإحصاءات العالمية التي أخرجتها الأمم المتحدة أثبتوا أن المجتمعات التي تعمل فيها النساء أجيرات يكلف اقتصاد تلك البلاد ما يقارب ثلاثين بالمائة يكون عبئًا على الاقتصاد.

الذين يقولون: إن التقدم لا يمكن إلا بخروج المرأة تعمل جنبًا إلى جنب مع الرجل، وخرجت تلك النساء، هل صاروا في مصاف الدول المتقدمة؟ هل صاروا من الأمم المتحضرة؟ أبدًا.

النساء التي خرجن وزاحمن الرجال في كل مكان، هل حصلن الرفعة والشرف والمكانة، أم أن الواحدة منهن تقول: ارجعوني إلى أنوثتي، ارجعوني إلى بيتي، أريد أن أكون ملكة كملكات الشرق -تعني المرأة المسلمة- أليس كذلك؟ ألم تصبح المرأة في مجتمعاتهم سلعة يعبث بها الرجال، وتشعر أنها مهددة في كل لحظة ولا تشعر بالأمان، وتبحث عن رجل يأخذ عفتها وشرفها ويستمتع بها، ثم يلفظها ثم يكون ملجؤها إذا ذهب جمالها وشبابها إلى دور العجزة، أليس هذا هو واقع النساء هناك؟ المرأة عندنا يقوم على شؤونها أبوها وأخوها ووليها ومحرمها، وينفق عليها وجوبًا ويحفظها، ويوفر لها ما تحتاج إليه بكل احترام وتقدير؛ فهي أمنا أو أختنا أو زوجتنا أو قريبتنا، هكذا تمثل المرأة، فنحن نحترمها غاية الاحترام؛ لأنها تمثل لنا هذه الوشيجة، وهذا أمر ينبغي أن نفهمه جيدًا؛ لئلا نخدع، لئلا

تستزل قدم بعد ثبوتها، ثم نندم، ولا ينفع الندم عندئذ.

ثم يقول الله عز وجل: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝٣٤ ﴾ [الأحزاب:34]: هذا ما تشتغل به المرأة

المسلمة في بيتها، إقام الصلاة إيتاء الزكاة، طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ ﴾: اذكرن بقلوبكن، واذكرن بألسنتكن بالتلاوة، واذكرن -أيضًا- بالحال والفعل والعمل بالقيام بوظائف العبودية، فكل هذا من الذكر.

﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾: ولم يقل: ما يتلوه جبريل صلى الله عليه وسلم أو ما تتلوه الواحدة منكن، أو ما يتلوه النبي صلى الله عليه وسلم؛ ليعم ذلك جميعًا.

﴿ مَا يُتۡلَىٰ ﴾: وما قال: ما ينزل؛ لأن بعض القرآن نزل في غير بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم. {﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ ﴾: من القرآن والسنة فتشتغل بذلك تعلمًا وتفهمًا وتدبرًا وتلاوة وحفظًا وعملًا.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾: اللطيف: هو الذي يعلم دقائق الأشياء، فيعلم خلجات النفوس، وما تنطوي عليه القلوب، ويعلم المرأة التي تخضع لأمر الله

وتستجيب، والمرأة التي تمرد وتقول: لماذا تكون المرأة محكومة بهذه الأحكام؟ ويعلم ما تفعله المرأة وهي داخل دارها -في بيتها- من حلال وحرام.

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾: والمعنى الآخر للطيف من اللطف، أي أن هذه الأحكام من لطف الله عز وجل ورأفته ورحمته بالمرأة المسلمة؛ لئلا يلحقها العنت، لئلا تشقى.

والخبير: هو الذي يعلم بواطن الأشياء، فالله عز وجل يعلم دقائق الأشياء، ويعلم بواطنها ولا يخفى عليه شيء، فلا يجوز لأحد أن يستدرك على الله عز وجل ويقول: إن هذه الأحكام لا تصلح لهذا القرن في هذا الزمان، أو الزمان قد تغير، أو المرأة ينبغي أن تقتحم جميع المجالات، وتثبت جدارتها ووجودها، والحقيقة والصواب أن تثبت المرأة جدارتها ووجودها بتربية الأجيال.

ثم قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ

وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب:35]: بدأ بالتدرج من الأدنى إلى الأعلى، الإسلام هو إسلام الظاهر، تلتزم المرأة بالحجاب، تلتزم بالحشمة، تلتزم بشرائع الدين الظاهرة.

﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾: فيكون ذلك مع خضوع الباطن، وانقياد القلب وتسليمه وإقراره واعتقاده، تكون مقتنعة منقادة بقلبها، لا لأن أباها أو أن زوجها يفرض عليها هذه الأمور، فلا تستطيع أن تتهتك وتلبس عباءة مخصرة، أو تتعرى بصورة من الصور، بل عن قناعة وإيمان تعتز بهذه الأمور.

﴿ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ ﴾: القنوت بجميع استعمالاته ومعانيه -كما قرر الشيخ تقي الدين ابن تيمية في رسالة مستقلة في معنى القنوت- أن القنوت هو دوام الطاعة، فلا تلتزم بالقفازات والحجاب وأحكام الإسلام أسابيع ثم ترجع عن ذلك، يكون ذلك طفرة، ثم بعد ذلك يحصل لها الضعف والتراجع والانتكاس، بل القنوت هو دوام الطاعة حتى تلقى الله عز وجل، أن تبقى بالحشمة والحجاب والعمل الصالح والإيمان والكف عما لا يليق مما حرمه الله عز وجل وتدوم على ذلك حتى تلقى ربها.

﴿ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ ﴾: الصدق في الاعتقاد، الصدق صدق الباطن بأن يكون الإنسان على حال مرضية في باطنه، يعتقد الحق ويؤمن به وينقاد له، ويكون الصدق أيضًا بالقول فيتكلم بالحق وينطق به ولا يتكلم بالباطل ويلبس على الناس، أو يعترض على أحكام الله عز وجل بل تلتزم الصدق.

﴿ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ ﴾: ويكون الصدق أيضًا بالعمل والظاهر، فلا تظهر عملًا باطنها يخالفه، ويكون الصدق بالحال فلا تكون في حال غير متوافقة مع مكنونات نفسها.

﴿ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ ﴾: صدق الحال، وصدق المقال، وصدق العمل، وصدق الظاهر، وصدق الباطن، كل هذا من الصدق.

﴿ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ ﴾: هذه الأمور تحتاج إلى صبر، تحتاج إلى صبر في سماعها؛ لأن النفوس قد مزجت فيها الأهواء وركبت معها تركيبًا يمازجها.

والشريعة كما قال الشاطبي رحمه الله: "قد وضعت على خلاف وزان داعية الهوى"، فالهوى يجلبك من جهة، والشريعة تريد أن ترفعك من الهوى، فسماع

الحق أحيانًا يتأذى منه الإنسان، المرأة التي عندها هوى حينما تسمع هذه القضايا والأحكام تتأذى وتتألم كأنها سهام توجه إليها.

إن الإنسان يحتاج إلى صبر لتفهم هذه الأمور، ويحتاج إلى صبر في العمل والتطبيق؛ لأنه يعاب وينتقد وينتقص ويذم ويجد من يحرضه إلى الباطل والمنكر، والنفس تدعوه إلى الإخلاد إلى الشهوات والراحة والدعة، فيحتاج إلى صبر على طاعة الله عز وجل ويحتاج إلى صبر عن معصيته.

﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ ﴾: والخشوع يكون بالتذلل والخضوع والاستكانة لله رب العالمين، كل هذا بالتدرج، والإنسان لا يصل إلى مرتبة الخشوع إلا إذا ارتاض باطنه بالإيمان، وأصبح مطوعًا لنفسه بألوان المجاهدات، كما قال بعض السلف: "كابدت الصلاة عشرين سنة، وتلذذت بها عشرين سنة"، وآخر يقول: "كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت لي"، فالقضية تحتاج إلى مزيد من بذل الجهد، فكلما تزداد مجاهدة كلما تتمكن من النفس، فإذا استقامت النفس وخضعت حصل الخشوع، فإذا رأيته ذكرت الله عز وجل وإذا وقعت عينك عليه أحببته، وهذه مراتب عالية في الإيمان.

ثم بعد ذلك يبرهن على إيمانه، ﴿ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ ﴾: كلمة صدق تدل على قوة وثبوت في الشيء، الصداق -صداق المرأة- لماذا قيل له صداق؟ لأنه حق ثابت لها، الصدقة لماذا قيل لها: صدقة؟ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «والصَّدَقةُ بُرْهانٌ»: أي تبرهن على صدق دعوى الإيمان، كما أن بذل النفس في سبيل الله عز وجل يقال له: شهادة، المال حبيب إلى النفوس، وإخراجه يحتاج إلى مجاهدة:

لَوْلا المَشَقّةُ سَادَ النّاسُ كُلُّهُمُ   ألجُودُ يُفْقِرُ وَالإقدامُ قَتّالُ

﴿ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ ﴾: والصوم والصبر متلازمان، وهو عبادة لا يطلع عليها أحد، فلا يدخلها الرياء، إلا إذا تصنع أمرًا ظاهرًا صحبه، ولذلك كان من شرف الصوم أنه لا يدخله الريا، وهكذا الأعمال القلبية أيضًا، لا يدخلها

الريا؛ لأن الريا متعلق بالنظر والرؤية، لكن يدخله السمعة، يتحدث أنه صام.

والله يقول: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠ ﴾ [الزمر:10]: والله يعطي الصائم أجره غير منقوص كما في الحديث القدسي: «إلَّا الصَّومَ، فإنَّهُ لي وأَنا أجزي بِهِ».

﴿ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ ﴾: انظر إلى هذا الترتيب كيف ذكر الصوم والصبر والخشوع، ثم ذكر حفظ الفرج، من كان بهذه المثابة فهل يقارف ما لا يليق؟ أبدًا.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يا معشرَ الشبابِ، مَن استطاع منكم الباءةَ فليَتزوَّجْ، ومَن لم يَسْتَطِعْ فعليه بالصومِ فإنه له وجاءٌ»: فالصوم والمقصود إكثاره وإدمانه -كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله- يورث كسر الشهوة، وهو كسر مؤقت، يورث كسر الشهوة إذا داوم الإنسان عليه وأكثر منه، وأد من على الصيام، لا من يصوم يوم ويفطر أسبوع، هذا قد لا يؤثر فيه كسر هذه الشهوة.

﴿ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ ﴾: يحفظ فرجه عن مقارفة ما لا يليق، كما قال الله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧ ﴾ [المؤمنون:5-7]: كل مقارفة ببذل الشهوة في غير الزوجة وملك اليمين فهي محرمة، سواء كانت بالزنا أو ما دونه بنص كتاب الله عز وجل.

وحفظ الفرج يشمل حفظ العورات، فلا تبدى أمام الناظرين، كما قال الله عز وجل في سورة النور: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٣٠ ﴾ [النور:30]: والذي عليه عامة المفسرين، وهو قول كبير المفسرين - ابن جرير الطبري رحمه الله والآية تشمل المعنيين والله أعلم- أن قوله في سورة النور: ﴿ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ﴾: أي عن إبدائها للأنظار، يغضوا من أبصارهم فلا ينظرون إلى عورات الآخرين، ويحفظوا فروجهم فلا يبدونها للناظرين، ويشمل حفظها أيضًا عما لا يليق من مقارفة ما لا يحل.

﴿ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ ﴾: حفظها بسترها وحفظها عن المقارفة المحرمة.

﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾: لا توجد عبادة في كتاب الله عز وجل قرنت بالكثرة كالذكر، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب:41-42] ﴿فَاذْكُرُوا اللَّـهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[النساء من الآية:103]، لماذا؟ لأن الذكر خفيف على اللسان، لا يحتاج إلى هيئة معينة أن تذكر وأنت قائم أو مستقبل القبلة أو قاعد، وأنت قائم وأنت على جنب بل في كل الأحوال، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحواله صلى الله عليه وسلم.

فذكر الله لا يتطلب مشقة، وله أجر عظيم عند الله عز وجل ولهذا إذا أمر الله به غالبًا يقرنه بالكثرة، فهنا قال: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ : ووصف المنافقين بأنهم لا يذكرون الله إلا قليلًا، وذكر الله الكثير يشمل ذكره باللسان، وذكره بالقلب بطرح الغفلة، فلا يكون غافلًا مضيعًا مفرطًا، ويشمل ذكره أيضًا

بالعمل، وهو من أجلِّ الذكر بالقيام والقعود في طاعة الله عز وجل والمشي إلى المساجد وما إلى ذلك، ويشمل ذكره بالحال، كل هذا من ذكره تبارك وتعالى.

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم﴾: هذه اللفظة أَعَدَّ تدل على عناية بالمعَدّ، أعد الله لهم ماذا؟ ﴿مَّغْفِرَةً﴾: ونكَّرها هنا، تعظيمًا لها، فإن التنكير يأتي في كثير من الأحيان للتعظيم، مغفرة: أي عظيمة، وإذا قلت: رب اغفر لي فالمراد؟ هذا يشمل شيئين اثنين الأول: الستر، والثاني: الوقاية، ومنه المغفر الذي يضعه المقاتل من الحديد فوق رأسه كالقبعة؛ لأنه يقيه ضرب الحديد ويستر رأسه، أي يغطيه، فأنت إذا قلت: يا رب اغفر لي، اللهم اغفر لي، فأنت تسأل شيئين اثنين: الأول: أن تستر فلا تفتضح، أي يسترك الله في الدنيا والآخرة، والأمر الثاني: وهو أن يقيك الله عز وجل التبعة -تبعة الذنب والمعصية- فلا تؤاخذ بها، فالستر والوقاية، أن توقى شؤم الذنوب وتبعات المعاصي والمخالفات.

والأجر العظيم كما أخبر الله عز وجل أنه يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وقد دل على ذلك نصوص كثيرة من كتاب الله عز وجل.

والكلام في هذه الآيات كلام يطول به المجلس، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، وكان المقصود هو المذاكرة والعيش مع كتاب الله عز وجل في هذا الوقت الذي نحتاج فيه إلى مثل هذه الذكرى، فأسأل الله عز وجل أن يغفر لي ولكم أجمعين...

التأثّر بالقرآن الكريم؛ وسائله وثمراته:

إنّ إعجاز القرآن الكريم لم يتوقف عند روعة الألفاظ وجمال المعاني، بل هناك وجه آخر من أوجه الإعجاز ربما يغفل عنه كثيرٌ من الناس، ألَا وهو الإعجاز التأثيري للقرآن، والمقصود به ذلك الأثر الظاهر أو الباطن الذي يتركه القرآن على قارئه أو سامعه؛ فتارة تذرف العيون، وتارة توجل القلوب، وتارة تقشعر الأبدان، وغير ذلك من الآثار العملية التي لا يُحدثها في النفس إلّا القرآن، فقد قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ

مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ [الزمر: 23].

يقول الإمام الخطابي -رحمه الله- وهو مِن أبرز مَن كتَب في إعجاز القرآن: «في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلّا الشاذّ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلامًا غير القرآن -منظومًا ولا منثورًا- إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذّة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذَت حظّها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلَق، وتغشّاها الخوف والفرَق، تقشعر منه الجلود وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها» ولقد لفَت اللهُ -سبحانه- الأنظارَ إلى هذه القوة التأثيرية للقرآن، فقال سبحانه: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: 21].

يقول ابن كثير -رحمه الله-: «يقول تعالى معظمًا لأمر القرآن، ومبيّنًا علوّ قدره، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب، وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد والوعيد الأكيد: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ أي: فإنْ كان الجبل في غلظته وقساوته، لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه، لخشع وتصدّع من خوف الله عز وجل، فكيف يليق بكم أيها البشر ألّا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه؟!».

ولقد عاب الله على مَن لا يتأثر بالذِّكر وأعظم الذِكر القرآن، فقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: 22]، وذكر سبحانه أن ذلك من أوصاف المشركين والمنافقين، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: 124]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ [محمد: 16].

صور من التأثّر بالقرآن:

ولقد ضرب لنا النبي - صلى الله عليه وسلم- المثل الأعلى في التأثّر بالقرآن، فكان إذا سمعه رَقّ قلبه وذرفت عينه؛ لعلمِه بعظمة القرآن، فعن ابن مسعودٍ - رضي الله عنه- قال: (قال لي النبي -صلى الله عليه وسلم-: «اقْرَأْ عَلَيَّ القُرآنَ»، قلتُ: يا رسول الله، أقرأُ عليك، وعليك أُنزِل؟! قال: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»، فقرأتُ عليه سورة النساء، حتى جئتُ إلى هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ ﴾[النساء: 40]، قال: «حَسْبُكَ الآن»، فالتفتُّ إليه، فإذا عيناه تذرفان).

ولقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- أيضًا يتأثرون عند سماع القرآن تأثرًا عظيمًا، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى المرض وملازمة الفراش عندما استمع إلى بعض الآيات التي تحدّث عن يوم القيامة، فعن جعفر بن زيد أنّ عمر بن الخطاب خرج يعسّ بالمدينة ليلةً ومعه غلام له وعبد الرحمن بن عوف، فمرّ بدار رجل من المسلمين فوافقه وهو قائم يصلي، فوقف يسمع لقراءته، فقرأ: ﴿ وَٱلطُّورِ ۝ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ

﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ ﴾ حتى بلغ: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الطور: 1- 8]، فقال عمر: قسَم ورب الكعبة حقّ، فاستند إلى حائط فمكث مليًّا، فقال له عبد الرحمن: امضِ لحاجتك، فقال: ما أنا بفاعل الليلة إذ سمعتُ ما سمعتُ، قال: فرجع إلى منزله فمرض شهرًا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه.

لماذا لا نتأثّر بالقرآن؟

بعد هذا العرض السابق، يدور هذا السؤال في خلد كثيرٍ منّا، لماذا لا نتأثر بالقرآن؟ وما العوائق التي تحجبنا عن التأثر بالقرآن كما تأثّر النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه؟ ويمكن أن نُجمِل بعض الأسباب التي تحُول بيننا وبين التأثر بالقرآن، فيما يأتي:

أولًا: طول الهجر للقرآن: فإن طول الهجر للقرآن يولّد فجوة كبيرة تحُول بين القلب والتأثر به، ويعدُّ من أعظم الذنوب التي يرتكبها المسلم؛ لذلك يأتي النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم القيامة ويشتكي لربه هذا الهجران، فقد قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان: 30].

ثانيًا: مرض القلب وقسوته: فالقلب هو المخاطَب الأول بالقرآن، ولن ينتفع بآيات القرآن ومواعظه وعِبَره إلّا القلب السليم، أمّا القلوب التي أمرضتها الذنوب واستولت عليها الشهوات المحرّمة فلن تتأثر بالقرآن، فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق: 37].

ثالثًا: الغفلة والانشغال بالمُلهيات: فالإنسان الذي استولت عليه الدنيا وزخارفها لم ولن يشعر بأثر القرآن، ولن يتذوق حلاوته، بل سيتقلّب حاله بين الغفلة والإعراض: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأنبياء: 2، 3].

رابعًا: عدم الاهتمام بمعرفة التفسير: فعدم الاهتمام بمعرفة معاني القرآن وتفسيره يحجب القلب عن التأثّر به، فكيف يتأثّر القلب بما لا يفهمه؛ لذلك فقد قال الإمام الطبري صاحب التفسير: «إني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذُّ بقراءته؟!».

كيف نتأثر بالقرآن؟

وبعدُ أيها القارئ الكريم، بعدما تعرَّفنا على بعض الأسباب التي تحُول بيننا وبين التأثر بالقرآن، أسوق بين يديك بعض الوسائل التي تُعِين على التأثر بالقرآن:

أولًا: تجديد العهد بالقرآن: إنّ تجديد العهد بالقرآن والعودة إليه والمداومة على قراءته هي أولى الوسائل وأعظمها أثرًا؛ لذلك على العبد أن يجاهد نفسه على ذلك وأن يصبر على مشقة ذلك؛ لأن هذه المشقة -إنْ وُجدت- هي نتيجة بُعد العهد بكتاب الله، لذلك عليه أن يستمر ولا ييأس، وليكن على يقين أنّ مَن داوَم على قرع الباب يوشك أن يُفتَح له، وأنَّ دوامَ نزول قطر الماء على الحجر يُحدِث فيه أثرًا لا محالة، فما بالك بأثر كلام الله على القلوب إذا داوم العبد عليه؟

ثانيًا: حضور القلب عند التعامل مع القرآن: ينبغي للمسلم أن يجتهد في استحضار قلبه عند التعامل مع القرآن وإفراغه من الصوارف التي تحجبه عن التأثر بالقرآن، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ٣٧﴾ [ق: 37]، ومما يساعد على ذلك استشعار أن الله -سبحانه- هو المتحدِّث بهذا القرآن، يقول ابن القيم -رحمه الله-: «إذا أردتَ الانتفاع

بالقرآن، فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألقِ سمعَكَ، واحضر حضور مَن يخاطبه به مَن تكلَّم به -سبحانه- منه إليه؛ فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله».

ثالثًا: الجهر بتلاوة القرآن: فالجهر بتلاوة القرآن يساعد على يقظة القلب ومِن ثمَّ التأثر بالقرآن، بخلاف ما لو قرأ المسلم سرًّا، فإنه يكون أقرب لشرود الذهن وانصراف القلب؛ ولقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يحب أن يجهر بالقرآن، فعندما سُئل ابن عباس -رضى الله عنهما- عن قراءة النبي -صلى الله عليه وسلم- بالليل قال: «كان يقرأ في حجرته، فيَسمع قراءتَه مَن كان خارجًا» .

رابعًا: استشعار المسلم بأنه مخاطَب بكلّ آية: فمِن أعظم أسباب التأثر بالقرآن أن يستشعر المسلم بأنه هو المقصود بهذا الخطاب، وأن كلّ أمرٍ أو نهي هو مأمور به، فلقد فطن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لهذا الأمر جيدًا، ومن ذلك ما ورَدَ عن أنس بن مالك، أنه قال: «لمَّا نزلت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ ﴾ [الحجرات: 2]، جلس

ثابت بن قيس في بيته، وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، فسأل النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- سعدَ بن معاذ، فقال: «يا أبا عمرو، ما شأن ثابت؟ أشتكى؟»، قال سعد: إنه لَجاري، وما علمتُ له بشكوى، قال: فأتاه سعد، فذكر له قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال ثابت: أُنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني مِن أرفعكم صوتًا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعدٌ للنبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «بل هو من أهل الجنة».

خامسًا: الحرص على تدبر آياته ومعرفة معانيه: فتدبُّر آيات القرآن ومعرفة ما غمض من معانيه بالرجوع إلى كتب التفسير، من أعظم أسباب التأثر به والشعور بحلاوته في القلوب؛ لأن ذلك هو الأصل الذي أنزل الله القرآن لأجله، فقد قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: 29].

ولقد كانت هذه طريقة النبي - صلى الله عليه وسلم- وأصحابه -رضوان الله عليهم-، يقول ابن مسعود: «كان الرجل منّا إذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن».

سادسًا: استخراج المواعظ والعِبر من قصص القرآن وأمثاله: فالقرآن يحوي الكثير من القصص والأمثال، والعاقل مَن تدبَّرها وتأمَّلها واستخرج ما فيها من العبر وتأثَّر بما فيها من المواعظ؛ لأن هذا هو الهدف الذي من أجله ذَكَر اللهُ هذه القصص والأمثال، فقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: 111]، كما قال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم: 25]، وقال أيضًا: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: 21].

يقول ابن قدامة -رحمه الله-: «ينبغي لتالي القرآن أن يعلم أنه مقصود بخطاب القرآن ووعيده، وأنّ القصص لم يُرَد بها السَّمَر، بل العِبَر، فليتُنبه لذلك».

سابعًا: عدم المبالغة في الانشغال بالإقامة للحروف: فبعض المسلمين يُسرِف في الاهتمام بإقامة حروف القرآن ومع ذلك لا يترك مساحة ولو صغيرة للتدبّر والفهم؛ وذلك لأنه غفل عن كون القرآن يتكوّن مِن مَبانٍ ومَعانٍ، والمباني وسيلة للهدف الأعظم وهو فهم المعاني؛ لذلك لا ينبغي أن يكون شغلنا الشاغل إقامة المباني على حساب تدبّر المعاني، فلقد عدَّ ابن قدامة -رحمه الله- ذلك أحد مداخل الشيطان التي تحجب عن فهم القرآن، فقال -رحمه الله-: «وليْتخلَّ التالي من موانع الفهم، مثل أن يخيّل الشيطان إليه أنه ما حقّق تلاوة الحرف ولا أخرجه من مخرجه، فيكرره التالي، فيصرف همته عن فهم المعنى».

ثامنًا: الحرص على قيام الليل بالقرآن: فإنّ قيام الليل من أعظم العبادات وأحبها إلى الله، وأكثرها حضورًا للقلب؛ لذلك إن أراد المسلم التأثر بالقرآن فعليه أن يقوم الليل به، وهذه وصية الله تعالى لنبيه -صلى الله عليه وسلم-، حيث قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ [المزمل: 1-6].

يقول الإمام ابن كثير: «والمقصود أنّ قيام الليل هو أشد مواطأةً بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة، ولهذا قال تعالى: ﴿ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾، أي: أجمعُ للخاطر في أداء القراءة وتفهّمها مِن قيام النهار».

ثمرات التأثّر بالقرآن:

وبعد أن وقفنا على أهم الوسائل التي يتحقق بها التأثّر بالقرآن الكريم، فلنعلم أن القارئ للقرآن يجني الكثير من الثمرات بتدبُّره وتأثره بالقرآن، ومن ذلك:

الثمرة الأولى: زيادة الإيمان: فالعبد المؤمن الذي يحسن التعامل مع القرآن، يزداد إيمانًا وإقبالًا على الله ويمتلئ قلبه توكُّلًا وبِشرًا وسرورًا، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ [الأنفال: 2]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤ ﴾ [التوبة: 124].

الثمرة الثانية: صلاح القلوب: فالقرآن الكريم أعظم أدوية القلوب أثرًا في إزالة أمراض الشهوات والشبهات، ولِمَ لا وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ

جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾

[يونس: 57].

يقول الشيخ السعدي -رحمه الله-: «هذا القرآن شفاء لما في الصدور من أمراض الشهَوات الصادّة عن الانقياد للشرع، وأمراض الشبُهات القادحة في العلم اليقيني، فإنّ ما فيه من المواعظ والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، مما يوجب للعبد الرغبة والرهبة».

الثمرة الثالثة: الإقبال على طاعة الله: فالإقبال على الطاعات وشحن الهمم للقيام بها من أعظم الآثار العملية التي يحدِثها القرآن، فقد قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر: 23].

يقول القرطبي -رحمه الله-: ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾، قيل: «أي: تلين إلى العمل بكتاب الله والتصديق به».

الثمرة الرابعة: زيادة خشية الله سبحانه: فإنّ التأثّر بالقرآن وتدبّر ما فيه من الحديث عن عظمة الله -سبحانه- وقدرته من أعظم أسباب زيادة خشيته -سبحانه-، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١﴾ [الحشر: 21]، يقول الإمام ابن عاشور في تفسير هذه الآية: «لو كان المخاطَب بالقرآن جبلًا، وكان الجبل يفهم الخطاب لتأثّر بخطاب القرآن تأثُّرًا ناشِئًا من خشيةٍ لله، خشيةٍ تُؤَثِّرها فيه معاني القرآن».

الثمرة الخامسة: تهذيب السلوك والأخلاق: إنّ انعكاس القرآن على سلوك المسلم من أعظم الثمرات المرجوّة، فبعد فهم القرآن وتدبره يأتي التخلُّق بأخلاقه والاهتداء بهديه كما كان حال النبي -صلى الله عليه وسلم-، فالسيدة عائشة -رضي الله عنها-: عندما سُئلت عن خُلقه -صلى الله عليه وسلم-، قالت للسائل: ألستَ تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قالت: «خُلق نبيّ الله -صلى الله عليه وسلم- كان القرآن». ويقول الحسن البصري -رحمه الله-: «والله ما تدبُّره بحفظ حروفه

وإضاعة حدوده، حتى إنّ أحدهم ليقول قرأتُ القرآن كلَّه، ما يُرى له القرآنُ في خُلق ولا عمل».

أثر القرآن في تغيير الإنسان:

منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، وقبل أن ينعم الله -عزّ وجلّ- على البشرية بأعظم نعمة، وهي: إنزال القرآن الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين -صلى الله عليه وسلم-، ما كان العرب إلّا شَراذِمَ متفرقة وقبائلَ متناحرة، ثم بين عشية وضحاها صاروا إخوة متحابّين، ورفاقًا متآلفين، يفدي بعضهم بعضًا بالغالي والثمين!

وقد نصّ الله تعالى في القرآن على هذه النعمة، فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران: 103].

كانوا يتقاتلون على الناقة والشاة، ثم ما لبثوا أن آثر بعضهم بعضًا على نفسه؛ ونزل فيهم قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ

هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: 9].

لم يكن لأحدهم ولاءٌ إلا لقبيلته التي ينصرها في الباطل قبل الحقّ، ولم يكن في وسع أحدهم إلا الاستجابة لصراخ أخيه في القبيلة، بلا برهان ولا بينة على قوله؛ كما قال الواصفُ لهم:" لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانًا" ثم ما كان منهم بعد الإسلام إلا أن صار أحدهم ينصر الحقّ ولو كان مع غير قبيلته، امتثالًا لأمر الله تعالى: ﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [النساء: 135].

وكانت العصبية القبلية دينهم، فإذا بهم يُجاهِد أحدُهم مع إخوانه في الإسلام ولو كانوا من غير قبيلته؛ بل ولو لم يكونوا من العرب بالأساس!

فكان المسلم الأوسي يقاتل بجوار المسلم الخزرجي، بجوار المسلم القرشي، بجوار المسلم الحبشي، بجوار المسلم الرومي، بجوار المسلم الفارسي، كلهم ذابوا في بوتقة واحدة، يقاتلون يدًا واحدة حتى لو كان عدوهم هو قبيلة أحدهم.

كانوا يتفاضلون فيما بينهم بالمال والجاه وكثرة العدد والولد وجمال الخِلْقَة وقوة البدن، ثم أصبحت التقوى هي معيار التفضيل، والذي لا يعلمه إلا الله، بعد أن سمعوا كلام ربهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣﴾ [الحجرات: 13].

كانوا ينتقصون ويكرهون النساء والبنات، حالهم في ذلك كما أخبر الله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٥٩﴾ [النحل: 58- 59].

ويحتقرونهن ولا يعتبرونهن شيئًا، ثم أكرموهن وورثوهنَّ، وأعلوا قدرهن، كيف لا وقد فرض الله لهن نصيبًا في آيات المواريث، ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا

تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧﴾ [النساء: 7].

كان سعي أحدهم وكَدُّه طول عمره في تحصيل أكبر قدر من المال والإبل والغنم والعلوّ في الأرض، ثم أصبح منتهى أمل أحدهم أن يُطْعَن في سبيل الله طعنة تنقله إلى منازل الشهداء، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ۝٢٣﴾ [الأحزاب: 23].

كان ليلهم مع شرب الخمور وتمايل الغانيات وفعل المنكرات، فصاروا لا يبيتون إلا وقد صفّوا أقدامهم بين يدي الله -عزّ وجلّ-، يناجونه في جوف الليل، وقد تركوا الغانيات والخمور، وقد كانوا يفرطون في حياتهم التي بين جنوبهم ولا يفرطون فيها!

كانوا لا يعتبرون العبيد شيئًا، وكان العبد أهون على سيده من شراك نعله، ثم أصبح بعد الإسلام أخًا مساويًا له في الحرمة، بل قد يفوقه ويعلوه إن كان أكثر منه في التقوى والإيمان، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ

وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ [الحجرات: 13].

والسؤال الآن: ما سبب كلّ هذه التغيرات والتحولات وغيرها مما يحيّر الألباب؟ والإجابة على ذلك بشيء واحد: إنه أثر القرآن في تغيير الإنسان.

هذا القرآن الذي أعاد بناء شخصياتهم وفقًا للمنهج الرباني، ولا يراد بذلك مجرد الحفظ والترديد لآيات القرآن، وإنما القصد أن يكون القرآن منهج حياة، وخط سير لا يحيد عنه الإنسان.

تأملوا هذا المنهج الرباني التربوي، الذي جاء تفصيله في حديث جُنْدُبِ بن عبد الله بن سفيان البَجَلِيِّ العَلَقِيِّ -رضي الله عنه-، قال: «كُنَّا فِتْيَانًا حَزَاوِرَةً [جمع حَزَوَّر، وهو الغلام لم يبلغ وقد قارب] مَعَ نَبِيِّنَا - صلى الله عليه وسلم-، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا، وَإِنَّكُمُ الْيَوْمَ تَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ». فتأمل قول الصحابي الجليل: «فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ»، وتدبر كيف أن النبي -صلى الله عليه وسلم- علّمهم الإيمان قبل القرآن، فلما تعلموا القرآن ازدادوا به إيمانًا. ثم هو - رضي الله عنه- يوضح

المنهج المقابل، فيقول: «وَإِنَّكُمُ الْيَوْمَ تَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ»، فحريٌّ بنا أن نجعل هذا الحديث مركزًا للمنهج التربوي الذي نأخذ به أنفسنا وأبناءنا وبناتنا وأهلينا. ولم لا؟!

أليس هو المنهج الرباني والأسلوب النبوي في التربية، الذي تكلم به من لا ينطق عن الهوى -صلى الله عليه وسلم-؟! وما فائدة أن يكون الإنسان قادرًا على ترديد القرآن كلّه من الفاتحة إلى سورة الناس، ولكنه في الواقع يسير عكس المنهج التربوي للقرآن تمامًا؟! وحال النبي - صلى الله عليه وسلم-خير مثال يُحتذى به؛ إذ كان - صلى الله عليه وسلم- يهتمُّ بالجانب العملي، ويقدّم الناحية التطبيقية؛ فأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- حينما سئلت عن خُلُقِ النبي -صلى الله عليه وسلم-، لم تجد سوى أن تقول: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ الْقُرْآنَ».

فالقرآن في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-كان واقعًا عمليًّا، فمثلًا لمَّا نزل قول الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر: 3]، كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يمتثل ذلك، كما أخبرت عائشة -رضي الله عنها-:

«يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي)؛ يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ».

وهكذا كان جيل الصحابة -رضي الله عنهم-؛ كما جاء وصفه في الأثر الرائع عن أبي عبد الرحمن، قال: «حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَشْرَ آيَاتٍ، وَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعَمَلِ وَالْعِلْمِ؛ فَإِنَّا عُلِّمْنَا الْعَمَلَ وَالْعِلْمَ».

فتأملوا هذا الفرق بين هذا المنهج وبين ما وضحه الصحابيّ جُنْدُبِ بن عبد الله بن سفيان -رضي الله عنه- مِن حال مَنْ كان بعدهم، قال: «وَإِنَّكُمُ الْيَوْمَ تَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ».

فهناك فارق بين المنهجين:

المنهج الأول: وهو القائم على الاهتمام بالفهم والعمل.

المنهج الثاني: وهو القائم على الاهتمام بالحفظ والترديد، حتى إن كان بغير العمل، أو حتى بغير فهم!

ولا ريب أنَّ المؤمنين المتقين يتبعون المنهج الأول، ولا علاقة لهم بمن يرددون القرآن ولا يفهمونه، ومن ثَمَّ لا يتأثرون به، هؤلاء الذين ذمّهم الله تعالى بجميع أصنافهم، فقال: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝٧٨﴾ [النساء: 78]، وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾ [محمد: 24]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤﴾ [التوبة: 124].

العامل الأول من عوامل تأثير القرآن: التدرج: وذلك كما جاء الخبر في الحديث عن يوسف بن ماهك، قال: إنِّي عند عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها-، إذ جاءها عراقيٌّ، فقال: أَيُّ الكَفَنِ خير؟ قالت: «وَيْحَكَ، وما يضرُّكَ؟!»، قال: يا أم المؤمنين، أَرِينِي مصحفك؟ قالت: «لِمَ»؟ قال: لَعَلِّي أُوَلِّفُ القرآنَ عليه، فإنه يُقرأ غيرَ مُؤَلَّفٍ. قالت: «وَمَا يَضُرُّكَ أَيَّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ؟! إِنَّمَا

نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلَامِ نَزَلَ الحَلَالُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لَا تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لَا تَزْنُوا، لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم-، وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القمر: 46]، وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ»، قال: فَأَخْرَجَتْ له المصحف، فَأَمْلَتْ عليه آيَ السُّوَرِ. فلنتأمل هذا الأثر العظيم عن أمِّنا عائشة -رضي الله عنها-؛ إذ فيه بيان المنهج الرباني القائم على التدرّج في التأثّر بالقرآن؛ فهذا الرجل العراقي جُلُّ هَمِّه في ترتيب المصحف؛ فقالت عائشة -رضي الله عنها-: «وَمَا يَضُرُّكَ أَيَّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ؟!»؛ لأن المهم هو ما نستفيده من الآية من أحكام؛ لنعبد الله تعالى على بصيرة، ولنعمل بها في حياتنا، كما أمر الله خالقنا.

فكان بناءُ شخصية الإنسان المسلم في المرحلة الأولى من الإسلام متعلِّقًا بجانب العقيدة، والرقائق، والحديث عن الجنة والنار، والساعة، والصراط، ومشاهد يوم القيامة، وثواب المتقين، وعقوبة المجرمين؛ حتى إذا ترسخت العقيدة

في القلوب، وصارت الجنة والنار كأنهما رأي العين، أنزل الله تعالى آيات الأحكام، وبيَّن فيها الحلال والحرام. وفي عصرنا الحديث يوجد مَن يسلكون سبيل الدعوة إلى الله تعالى، ولكن على غير هذا المنهج، فيبدؤون الناس بالأمر والنهي، والحلال والحرام، قبل أن تترسخ خشية الله -عزّ وجلّ- في القلوب، وقبل أن تنغرس في صدورهم الرهبة من النار، والرغبة في الجنة، فتكون النتيجة كما أخبرت أمنا عائشة -رضي الله عنها-: «لَا نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا،... لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا».

ومن هنا ننتقل إلى مجال آخر من مجالات التدرج؛ فالتدرج في القرآن لم يكن قاصرًا على الأحكام الشرعية؛ بل كان القرآن أيضًا منهجًا ربَّانيًّا متدرجًا لإعداد النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- للرسالة.

قال الفيروز ابادي: «اتَّفقوا على أَنَّ أَوّل السُّور المكِّية ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ [العلق: 1]، ثمَّ ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾ [القلم: 1]، ثمَّ سورة المزمِّل، ثمَّ سورة المدَّثِّر،...» . فقبل أن يُنَزِّلَ اللهُ تعالى على النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢﴾ [المدثر: 1-2]، كانت

التهيئة والإعداد لتحمل هذه المسؤولية الكبيرة، فقال -سبحانه وتعالى-:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾ [المزمل: 1- 5].

وهذه لفتة رائقة تؤكد أنّ الهدف الأسمى من قيام الليل هو ترتيل القرآن وتدبّر معانيه، ومن ثم تتم تربية قائم الليل، وتأهيله لحمل أعباء الدعوة، وليعينه القرآن على تحمل كلّ أذى في سبيل الدعوة؛ كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠ ﴾ [المزمل: 10]، فأكد -سبحانه وتعالى- في الآية الكريمة أن القرآن مُعينٌ لمن يقوم به الليل على تحمّل الأذى في سبيل الدعوة.

العامل الثاني من عوامل التأثير: الترتيل: إذ ليس القصد تحقيق أكبر عدد من الختمات، وذلك أن الأمر من الله -سبحانه وتعالى- جاء بترتيل القرآن، فقال - سبحانه وتعالى-: ﴿ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ ﴾ [المزمل: 4]؛ وهكذا كانت قراءة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

واتبعه الصحابة - رضي الله عنهم-؛فقد كان ترتيل القرآن سببًا لحرمان أبي موسى -رضي الله عنه- والأشعريين من النوم؛ وذلك أن القرآن متى دخلت محبته القلب خرجت منه كلّ محبة تصرفه عن كلام ربّ العالمين، وأول أثر للقرآن على صاحبه أنه يحرمه النوم الطويل.

جاء عن أبي موسى -رضي الله عنه-؛ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ...).

فأيُّ شرفٍ لهذه الشخصيات الإيمانية، هؤلاء الذين تُعْرَفُ بيوتهم، وتُميّزُ من بين البيوت، كما يميّز البشر النجوم المضيئة في السماء المظلمة، وما ذلك إلا بالقرآن؛ ليس كما في عصرنا الآن الذي فيه بيوت تُعرفُ بسماع المنكرات. وقد عاب الصحابة -رضي الله عنهم- مَنْ اهتمَ بكثرة القراءة وعدد الختمات على حساب ترتيل القرآن؛ حيث جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-، فقال: قرأتُ المُفَصَّلَ الليلةَ في ركعةٍ. فقال عبد الله -رضي الله عنه-: «هَذًّا

كَهَذِّ الشِّعْرِ! إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ، إِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ، إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقْرُنُ بَيْنَهُنَّ سُورَتَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ».

لقد ظنّ الرجل أن ابن مسعود -رضي الله عنه- سيفرح ويُثني عليه عندما يعلم بأنه يقرأ المفصل كلّه في ركعة واحدة! ولكن المفاجأة كانت في شدة إنكار ابن مسعود - رضي الله عنه- عليه، إذ أعلمه أن العبرة ليست بكثرة الآيات، بل بترتيلها، وتدبر معانيها، وفهم مراميها.

وهذا ينقلنا إلى العامل الثالث: التدبر: إنّ تأثر الإنسان بالقرآن لا يمكن أن يتم حقيقة إلا بتطبيق القرآن، والتطبيق الصحيح للقرآن لا يتحقق إلا بعد فهم آيات القرآن، قال الله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ [ص: 29]؛ فمن أخذ القرآن بهذا المأخذ الرباني، وتدبَّر آيات القرآن، فعساه أن يحقق ذلك الأثر الإلهي للقرآن.

تأملوا أثر القرآن على النبي -صلى الله عليه وسلم-: بكاؤه -صلى الله عليه وسلم- عند سماع القرآن، وتأثره بمعانيه؛ كما جاء في الحديث عن عبد الله بن مسعود -

رضي الله عنه-،قال: «قَالَ لِي النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: (اقْرَأْ عَلَيَّ). قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: (فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي). فَقَرَأْتُ عليه سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: 41]؛ قَالَ: (أَمْسِكْ). فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ».

ولم يكن أثر القرآن على النبي -صلى الله عليه وسلم- مقتصرًا على دموع العين؛ بل كان يؤثر في أعماله -صلى الله عليه وسلم-، فالقرآن كان يرفع من درجة السخاء النبوي؛ فعن ابن عباس-رضي الله عنه-؛ قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ».

فانظروا ذلك الأثر العملي لمدارسة القرآن، وكيف كان الأثر في مضاعفة الاستعداد الجبلّي للنبي -صلى الله عليه وسلم- للنفقة؛ فهكذا تكون الثمرة الحقيقية لتدبر القرآن برفع مستوى إيمان العبد، ومضاعفة أعماله الصالحة.

وقد يقول قائل: ولكن هذا الأثر للقرآن يحدث للطائعين المتقين، ولكن أين العصاة من ذلك؟!

تأمل هذه القصة: سُئِل ابن المبارك: عن ابتداء طلبه العلم؛ فقال: «كنت شابًّا أشرب النبيذ، وأحبّ الغناء، وأطرب بتلك الخبائث، فدعوتُ إخوانًا حين طاب التفاح وغيره إلى بستانٍ لي، فأكلنا وشربنا حتى ذهب بنا السُّكْر، فانتبهت آخر السَّحر فأخذت العود أعبث به وأنشد:

ألم يأن لي منك أن ترحما ونعصي العواذل واللُّوَما

فإذا هو لا يجيبني إلى ما أريد، فلما تكررت عليه بذلك، وإذا هو ينطق كما ينطق الإنسان: ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦﴾ [الحديد: 16]؛ قلتُ: بلى، يا رب! فكسرت العود، ومزقت ظروف النبيذ، وجاءت التوبة بفضل الله -سبحانه وتعالى- بحقائقها، وأقبلت على العلم والعبادة».

وقد أثّر القرآن في عامة المشركين؛ كما جاء ذلك في الحديث عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-؛ أنها قالت: «لَمَّا ابْتُلِيَ المُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا قِبَلَ الحَبَشَةِ، فردّه ابنُ الدَّغِنَةِ وأجاره من المشركين؛ فقَالُوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ، فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَلْيُصَلِّ، وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلاَ يُؤْذِينَا بِذَلِكَ، وَلاَ يَسْتَعْلِنْ بِهِ، فَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا. فقَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ ذَلِكَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَطَفِقَ أَبُو بَكْرٍ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَلاَ يَسْتَعْلِنُ بِالصَّلاَةِ، وَلاَ القِرَاءَةِ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ وَبَرَزَ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ القُرْآنَ، فَيَتَقَصَّفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ المُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ [أي: يزدحمون عليه ليسمعوه]، يَعْجَبُونَ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لاَ يَمْلِكُ دَمْعَهُ حِينَ يَقْرَأُ القُرْآنَ، فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ. فَقَالُوا لَهُ: إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَإِنَّهُ جَاوَزَ ذَلِكَ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَأَعْلَنَ الصَّلاَةَ وَالقِرَاءَةَ، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا، فَأْتِهِ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ، وَإِنْ

أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ ذَلِكَ، فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ، فَإِنَّا كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الِاسْتِعْلَانَ،...»».

فانظر كيف كان القرآن يؤثر في عامة المشركين حتى النساء والأطفال!

وأخيرًا... أفلا نتنبه إلى المعاتبة الربانية الحانية التي كانت سببًا في توبة الكثيرين من الغافلين الذين لم تقض الغفلة على بقية من خير في قلوبهم؟! ألم يأن لنا أن نستحيي من المعاتبة الربانية في قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿ ۞أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ١٦ ﴾ [الحديد: 16]؛ أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله، فتلين عند سماع القرآن، فتفهمه وتنقاد له وتطيعه! فعن ابن عباس - رضي الله عنهما-، قال: «إنّ الله استبطأ قلوب المهاجرين، فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن، فقال-سبحانه وتعالى-: ﴿ ۞أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ١٦ ﴾».

- وإليك بعض الوسائل المُعِينة على تحقيق التفاعل والتعايش مع القرآن:

* **انتزاع بعض الأوقات للخلوة بالقرآن**: ينبغي على المسلم أن يتخير الأوقات المناسبة لتدبر كتاب الله -عزّ وجلّ-، حيث يفرغ ذهنه وقلبه من الصوارف التي ربما تَحُول بينه وبين الخشوع والتفاعل مع كلام الله -عزّ وجلّ-، وينبغي أن يَعْلَم بأن الأمر ليس صعبًا كما يظنّ بعض الناس، فقد قال - تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[القمر:22]، يقول الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية: «أي: ولقد يسّرْنا وسهّلْنا هذا القرآن الكريم وألفاظه للحفظ والأداء، ومعانيه للفهم والعلم».

* **التعوُّذ بالله من الشيطان الرجيم**: لأن هذا التعوذ يُعين العبد لا محالة على حضور قلبه وخشوع جوارحه، فقد قال تعالى-: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل:98].

- ويقول ابن القيم: «الشيطان يجلب على القارئ بخَيْلِهِ ورَجِلِهِ، حتى يشغله عن المقصود بالقرآن، وهو تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد به المتكلم به -سبحانه-

، فيحرص بجهده على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن، فلا يكمل انتفاع القارئ به، فأمر عند الشروع أن يستعيذ بالله -عزّ وجلّ- منه»».

* الحرص على معرفة ما غمض من الكلمات والمعاني: وذلك بالرجوع إلى كتب التفسير المشهورة عند أهل العلم، والمعروفة بسلامتها من الاعتقادات المخالفة، مثل: تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير، وتفسير البغوي، ومن الكتب المعاصرة: تفسير السعدي، وتفسير ابن عاشور وغيرها من التفاسير، وذلك ليتسنى له معرفة الرسالة التي تتضمنها كلّ آية.

ولقد كان ذلك دأب السلف الصالح، حيث كان الواحد منهم إذا مرَّ على الآية لا يتركها حتى يتدبرها ويفهم معانيها، وإلّا لا يعدّ لها أجرًا عند الله، فقد نقل الغزالي عن بعض السلف قوله: «آية لا أتفهّمها، ولا يكون قلبي فيها لا أعدّ لها ثوابًا».

* **استشعار المسلم بأنه مخاطَب بكلّ آية من القرآن:** ينبغي للمسلم عند قراءة القرآن أو الاستماع له أن يستشعر أنه هو المقصود بهذا الخطاب وأنه موجّه له، وأن كلّ أمر أو نهي هو مأمور به، فلقد فطن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه

وسلم- لهذا الأمر جيدًا، ومن ذلك ما روي عن أنس بن مالك، أنه قال: «لمَّا نزلت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾ [الحجرات: 2]، جلس ثابت بن قيس في بيته، وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، فسأل النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- سعدَ بن معاذ، فقال: (يا أبا عمرو، ما شأن ثابت؟ أشتكَى؟)، قال سعد: إنه لجاري، وما علمتُ له بشكوى، قال: فأتاه سعد، فذكر له قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال ثابت: أُنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتًا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعدٌ للنبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (بل هو من أهل الجنة).

* **الحرص على التطبيق والعمل بعد القراءة والفهم**: فإن التطبيق والعمل بعد القراءة والفهم لَهُوَ المقصدُ الأساسُ لنزول القرآن الكريم، وهو من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة، فقد قال -تعالى-: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ

لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ ﴾ [طه:123-124].

فالعمل بعد القراءة له أهمية كبيرة وهو أمر لطالما نعى السلف على إهماله وعدم رعايته والانشغال فقط بالقراءة دون العمل، يقول ابن مسعود -رضي الله عنه-: «أُنْزِل عليهم القرآن ليعملوا به فاتخذوا درسه عملاً، وإنّ أحدهم ليتلو القرآن من فاتحته إلى خاتمته، ما يُسْقِط منه حرفًا، وقد أسقط العمل به»، ويقول الحسن البصري - رحمه الله- عن التدبر: «والله ما تَدَبُّره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قرأتُ القرآن كله، ما يُرَى له القرآنُ في خُلقٍ ولا عملٍ».

ها قد علمتَ، فماذا أنت بفاعل؟

فسَلْ نفسك، ما فعلتَ في هذه المعجزة التي بين يديك كلّ يوم؟ هل عظَّمتها بما تستحق أم هضمتَ حقها وهجرتَ حروفها؟

هل أعملتَ معاول الجد في تهيئة وادي الصدر ليجري القرآن ربيعًا لقلبك؟ أم سألتَ الله ذلك ثم بنيت سدودًا من الصدود، وحواجز من الهجران، حتى توشك زهرة قلبك أن تذبل إِذْ مُنِعَتْ عنها الحياة، وحُجِبَتْ عن النور؟

لو تأمل العاقل ما ذكرناه وأكثر لمَا فرّط في القرآن أبدًا، لمَا انقطع عن رسالة ربه إليه، لمَا شبع من قراءته اليوم بعد اليوم، يطهّر بذلك قلبه، وينفي عنه به أدران الدنيا، ويُضيء به ظلمات الحياة.

لو استشعر المؤمن هذه العظمة وذلك الجلال، لانشغل بالقرآن تلاوة، وحفظًا، وتدبرًا، وتخلّقًا، وعملًا؛ وكلما فعل فُتحت له أبوابٌ من الأنوار والأسرار والفتوحات والهدايات لم يكن ليتصورها أبدًا، وقد سطر لنا التاريخ أخبار أقوامٍ من أهل العلم، اشتغلوا بالقرآن زمنًا حتى قد يظنّ الظانُّ أنهم قد بلغوا منتهى درره، وغاية كنوزه، ولُجَّة بحره، ثم لمَّا طالت خلوتهم بالقرآن في نهاية أعمارهم قال قائلهم -وهو شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه-: «ندمتُ على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن»!

وختامًا أيها القارئ الكريم، هذه مجرد نبضات حول التفاعل مع القرآن أردتُ من خلالها أن أدقّ ناقوس الإنذار، لينتبه المسلمون لبعض أخطائهم في التعامل مع أعظم رسالة وصلت إليهم، هذه الرسالة التي إن أحسنوا التعامل معها نالوا شرف الدنيا وعزَّ الآخرة، ولِمَ لا؟! وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في خطبته يوم حجة الوداع: (وقد تركتُ فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله)

فنسأل الله أن يردّنا إلى القرآن مَرَدًّا جميلًا، وأن يجعلنا من العالِمين العامِلين، والحمد لله ربّ العالمين.

الباب الخامس
الحفظ الحفظ يا طالب العلم

الحِفْظَ الحِفْظَ يَا طَالِبَ الْعِلْمْ

تمهيد :

تمرُّ على طالب العلم أزمنةٌ ذهبيَّةٌ لتحصيله المعرفي، يتهيَّأ له فيها من سعة الوقت وانصراف الشواغل ما يكون عونًا له على الخَطْوِ واسعًا في طريق تحصيله .. هذه الأزمنة هي ما يبرهن على صدق طلبِه إنْ هو استغلَّها، ومتى ما فرَّطَ في هذه الأزمنة المهداة كان ذلك طعنًا في عدالة جدِّيته.

عليه في هذه الأزمنة: أن يسعى في تكثيفِ تحصيله، وسدادِ ديونه العلمية، أن يقلِّب دفتر المهام، ويقيِّدُ ما عسى أن ينجزه من مشاريعٍ وأعمال، ثم يبسطَ سجادة قراءته، ويبدأ في تسجيل أرباحه العلمية دون فتور.

وأحق شيء يخشى فواته طالب العلم في تلك الأزمنة الذهبية لتحصيله العلمي الحفظ، فالحفظ نعمة من الله، يُنعِم بها على مَنْ شاء من عباده، فيُوفِّقْه لحفظ النصوص واستحضارها متى شاء.

ولقد رأيتُ لِلمُتفقِّهين مِنَ العَصرِيِّين جَدلًا واسعًا في قضية حِفظ المُتونِ، وأهمِيَّتِها لِطالب العُلوم والفُنون، فمنهم مَنْ فرَّط فيه، وأبعَدَ النُّجعةَ، فجَحدَه، كالغماري الكَبير الذي قال: إنَّه جُنون! وأغرَبَ بَعضُهم فزَعَمه مَهزَلة القُرون!

ومنهم مَنْ أفرَطَ فيه حتى ادَّعى أنَّ مَنْ لم يَعتَنِ به فلا حَظَّ له مِنَ الفَهْم، وحتى قال قائلُهم: إنَّ مَن لم يَحفَظْ مَتْنًا فهو مُثقَّفٌ وليس مِن أهلِ العِلْم!

وقد ظهر لي قَوْلٌ وَسَطٌ، لعَلَّه يَحسمُ النِّزاعَ بَيْنَ الخَصمَيْنِ، ويَرفعُ الخِلافَ الضَّاربَ أطنابه بَيْنَ الفَريقَيْنِ، وهو أنَّ الذي يَختَصُّ في فَنٍّ واحد، فلستُ أُحبُّ له الاشتغالَ بِحِفظ مَتْنٍ فيه، بل هذا لا غِنى له عن إمعانِ النظر في مُطوَّلاتِ كُتب الفنِّ الذي اختصَّ به، وتجريدِ فوائدِها، وتخليصِ زوائدِها.

وأمَّا مَنْ أقبَلَ على الفُنون فهذا الذي يَحسُنُ به حِفظُ مَتْنٍ في كُلِّ فنٍّ منها، فإنَّ المُتونَ - كما قال أهلُ العِلْمِ- تَضبِطُ له شَواردَ القواعدِ، وتَجمَع عليه زوائدَ الفوائدِ، وهي بحقٍّ زِنْبيلُ العِلْمِ الذي يَجتمع فيه أُصولُ العِلْمِ وأحسَنُه، كما يَجتمع في الزِّنبيلِ أجوَدُ التَّمر وأطيبُه، ولله در مَنْ قال:

والعِلْمُ في حِفظِ المُتونِ وإنَّها | لِلطَّالِبِ الشَّوَّافِ خَيرُ فَلاحِ
يَحْلو بها لُبُّ الذَّكِيِّ ويَهتَدي | لِمَعارفِ الوَحْيَيْنِ بالإفصاحِ

والواقع أنك لا تجدُ عالِمًا يُزَهِّدُك في حِفظِ المُتون، ويرَغِّبُ بك عنها، ولستَ ترى مَن يَصُدُّك عنها إلّا وهو عاجزٌ عن حِفظِها، وإن كانتْ عُقول الوَرى مُتفاوتةً في فَهْم العُلوم وحِفظِها واستيعابِها، فمِنَ الناس مَنْ لا يتَّجه له الحِفظ، حتى إذا حاوَلَه فكأنَّه يُعالِجُ جبلًا، لكنَّه حاذِقُ الفَهْم، آيةٌ في قَنْصِ المَعاني واستنباطِها، وحَلِّ مُشكِلاتِها، وفكِّ مُقْفلاتِها، كالجلالِ المحلي - رحمه الله-، فإنَّه رامَ حِفظَ صفحةٍ مِن مَتْنٍ، فمَرِضَ أُسبوعًا، وقد كان ذِهنُه يثقُبُ الماسَ؛ لِجَوْدة فَهْمِه! وكإينشتاين، عَبقريِّ الرِّياضيَّاتِ، وأبي الفيزياءِ الحديثة، فإنَّه كان تقَدَّمَ لِلعمَلِ مُدرِّسًا، فعَقَدوا له اختبارًا، سَقطَ فيه، ولم يجْتَز منه إلّا الرِّياضيَّاتِ! ونظائرُ هذا كثيرةٌ.

وبكلِّ حالٍ فلا غَناءَ لِطالبِ العُلوم عنِ الحِفظ إذا فَهِمَ ما يَرومُه مِنَ الفُنون، فشأنُ الحِفظ - كما قال العلَّامةُ التَّوَّزيُّ-:

إذا لم تكُنْ حافظًا واعيًا فعِلمُكَ في البَيتِ لا يَنفَعُ
وتَحضُرُ بالجَهْلِ في مَجْلِسٍ وعِلْمُكَ في الكُتْبِ مُسْتَوَدَعُ
ومَنْ يَكُ في دَهْرِهِ هكذا يكُنْ دَهْرَهُ القَهْقَرى يَرْجِعُ

وقد قالوا: إنَّ لِلحِفظ أسرارًا لا يَعرفها إلا الحُفَّاظُ، ومِن هنا كان قَولُ حُفَّاظ أهلِ الحَديثِ مِنَ الأئمَّةِ الكِبارِ في عِلَلِه، مُقَدَّماً على قَولِ شُيوخِ العَصرِ فيه إذا اختلَفوا، مهما كان الشُّيوخُ قد توَسَّعوا في الاطِّلاعِ على طُرُقِ الأخبارِ وأسانيدِها، والسِّرُّ فيه أنَّهم باحثون، والأوَّلون حُفَّاظ.

ولا رَيبَ أنَّ المُتفقِّه - سواءٌ كان عالمًا أو مُتعلِّمًا- لا غِنى له عنِ استِحضارِ ما يَحتاجُه مِنَ العُلومِ والفوائِدِ حالَ الدَّرسِ أوِ المُناظرةِ، أو المُذاكرةِ، وهذا لا يتَهَيَّأُ له إلَّا بالحِفظِ المُتقَنِ، وبِهذا يتَفاوتُ العُلماءُ، ويتَميَّزُ الفُضَلاءُ، وقد قال الله تعالى: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} [العنكبوت: 49]، وأخبَرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّمَ عن قَبضِ العِلْمِ بقَبضِ أهلِه في الخَبرِ المَشهورِ المُتَّفقِ عليه، وهذا لا يتأتَّى إلَّا لِلحُفَّاظِ الذين بمَوتِهم يَموتُ العِلْمُ، ألَا

تراه ذَكَر أنَّ اللهَ تعالى لا يَقبِضُه انتزاعًا، يَنتزِعُه مِن صُدورِهم، فنَبَّه على حِفظِ الصَّدرِ بذلك، وقد نَظَمَ قاضي صَفِدَ هذا الخبَرَ في أوائلِ (نَظْمِ مِنْهاجِ النَّوَويِّ) له، فقال:

وقدْ قَضى اللهُ القَضاءَ وأبرَما ... أنْ يُقبَضَ العِلْمُ بقَبْضِ العُلَمَا

ويَتْبَعَ الناسُ رُؤوسَ الجَهْلِ ... أفْتَوْا بلا عِلْمٍ وغَيرِ نَقْلِ

ضَلُّوا ولِلخَلْقِ فقد أضَلُّوا ... هُناكَ أنواعُ البَلا تَحِلُّ

وإنَّ ذا فيما أظُنُّ قد دنا ... لآفةٍ ماتَ كَثيرٌ في الفَنا

كانوا إذا جَنَّ الظَّلامُ قاموا ... وإنْ رَأَوْا ما يَكرَهون ناموا

كانوا نُجومًا يُقتَدى بنورِهِمْ ... فأفَلوا عنَّا إلى قُبورِهِمْ

ووَصَلوا إلى نَعيمِ الجَنَّة ... وا أسَفي عليهِمُ ووَحشَتي

ولم نَرَ مِن بَعدِهِمْ مَن يَظهَرُ ... إلَّا أُناسًا شَأنُهُمْ لا يُذكَرُ

إنْ عَلِموا لم يَعمَلوا بعِلْمِهِمْ ... هَمُّهمُ الدُّنيا فلا تَعْبأْ بهِمْ

وقال صاحبُ (الرَّحبية):

والثُّلثانِ وهما التَّامُ　　　فاحْفَظْ فكُلُّ حافظٍ إمامُ

ولهذا قال الأستاذُ أبو سهل الصُّعلوكيُّ (كان يُقال: العِلْمُ ما دخَلَ معكَ الحَمَّامَ) يُريدُ: الحِفظَ، وهكذا قال عبدُ الرزَّاقِ: (كُلُّ عِلْمٍ لا يَدخُلُ معكَ الحَمَّامَ فلا تَعُدَّه).

وقال بَعضُ الفلاسفة: (العِلمُ ما إذا غَرِقَتْ سفينتُك يَسْبَحُ معك). يقول: العِلْمُ هو المَحفوظُ، ذكر ذلك أبو هِلالٍ العَسكريُّ وابنُ الجَوَزيِّ وغَيرُهما، وأشار إلى هذا المعنى الشافعيُّ بقولِه:

عِلْمي معي حيثُما يَمَّمْتُ يَتبَعُني　　　قَلبي وِعاءٌ له لا بطنُ صندوقِ

إنْ كنتُ في البيت كان العِلمُ فيه معي　　　أوكُنتُ في السُّوقِ كان العِلْمُ في السُّوقِ

وقال غَيرُه:

ليس بعِلْمٍ ما وَعى القِمَطْرُ　　　ما العِلْمُ إلا ما وَعاه الصَّدْرُ

فأمَّا مَنْ يجمع العِلْمَ ويكتُبُه في طُروسِه وكَراريسِه، دون أنْ يتَعانى حِفظَه، حتى إذا ذهَبَتْ كُتُبُه وكَراريسُه، ذهَبَ عِلْمُه، فبَقِيَ لا يَدري شيئًا، وإذا حضَرَ في مَجْلسٍ فتكلَّم فيه الفُضَلاءُ والحُفَّاظُ، لم يَزِدْ على أنْ يقولَ كُلَّما سمِعَ فائدةً: هذه الفائدةُ في كِتابِ كذا، وهذا البيتُ في مَبحثِ كذا، فينكَشِفُ بَهرَجُه، وينكَبُّ زَغلُه، ويُفتَضَحُ حالُه، فيُضْحي كمَن قيل فيه:

استَودَعَ العِلْمَ قِرطاسًا فضيَّعهُ ... فبِئْسَ مُستَودَعُ العِلْمِ القَراطيسُ

وأنشد ابن الجوزي:

رُبَّ إنسانٍ مَلا أَسْفاطَه ... كُتُبَ العِلْمِ يَعُدُّ وَيَحُطْ
وَإِذَا فَتَّشْتَهُ عَن عِلمِهِ قَالَ ... عِلْمِي يا خَلِيلِي فِي السَّفَطْ
فِي كَرَارِيسَ جِيادٍ أُحرِزَتْ ... وَبِخَطٍّ أَيِّ خطٍّ أَيِّ خطْ
فَإِذَا قُلتَ لَهُ هاتِ إِذَنْ ... حكَّ لَحْيَيْهِ جَمِيعًا وَامْتَخَطْ

ولأبي حامدٍ الغزاليِّ - رحمه الله- حِكايةٌ لَطيفةٌ في هذا المعنى، نقَلَها عنه أسعد الميهني، يَحسُنُ بنا إيرادُها وسياقُها في هذا المَقامِ، وذلك أنَّه رحَلَ إلى

جُرجانَ، وعلَّق عن أبي نَصرٍ الإسماعيليِّ (تعليقةً) فلمَّا عاد إلى طُوسَ، قُطِعتْ عليهمُ الطَّريقُ، قال: وأخَذَ العيَّارون جميع ما معي ومَضَوْا، فتَبِعتُهم، فَالْتَفتَ إليَّ مُقدِّمهم، وقال: ارجِعْ، وَيْحَكَ، وَإِلَّا هلَكتَ. فقُلتُ له: أَسأَلُك بالذي ترجو السَّلامةَ منه، أَنْ تُردَّ عليَّ تَعليقَتي فَقَط، فما هي بشيءٍ تَنتَفِعون به. فقالَ لي: وما هي تَعليقَتُك؟ فقُلتُ: كُتُبٌ في تلك المِخلاةِ، هاجَرتُ لِسَماعِها وكِتابَتِها ومَعرفةِ عِلْمِهَا. فضَحِكَ وقال: كيفَ تدَّعي أَنَّك عَرَفتَ عِلْمَها، وَقد أخَذْناها منك، فتجَرَّدتَ مِن مَعرِفَتِها، وبَقيتَ بلا عِلْمٍ؟! ثُمَّ أَمَرَ بعضَ أَصحابِه، فسَلَّمَ إليَّ المِخلاةَ. قال الغزاليُّ: فقُلتُ: هذا مُستَنْطَقٌ، أنطَقَه اللهُ لِيُرشِدَني بهِ في أَمري، فلمَّا وافَيتُ طُوسَ، أَقبلتُ على الاشتِغالِ ثلاثَ سِنينَ، حتَّى حفِظتُ جميع ما علَّقتُه، وصِرتُ بحيثُ لو قُطِعَ عليَّ الطَّرِيقُ لم أتجَرَّدْ من عِلْمي.

ذكَرَها ابنُ السبكيِّ في (الطبقات).

وعَدمُ الاعتناءِ بحِفظ الدُّروس مِن أعظَمِ ما يَصُدُّ الطلبةَ عنِ العِلْمِ؛ ولهذا يترِكُ أكثرُهم الطَّلَبَ، ويَجفو العِلْمَ ويَهجُرُه؛ لِأنَّه يَستَشعِرُ أنَّه لا يُحصِّلُ منه شيئًا، وما ذاك إلَّا لِتكاسُلِهم عن تحفُّظِه ومُذاكَرتِه، واتِّكالِهم على السَّماعِ مِنَ

الشُّيوخ حالَ الدَّرسِ؛ لِأنَّ الواحِدَ منهم - كما قال الشَيخُ الحافِظُ عَبدُ المَجيدِ اليوسفي البغداديُّ المُفتي، وكان ضريرًا- لا يُريدُ أن يتعِبَ نَفْسَه في الحِفظِ، وكان يقولُ: الطلبةُ نوعان: (مُتَمَنٍّ ومُتَعَنٍّ) يقولُ: بَعضُهم يتعبُ ويَتعانى الطَّلَبَ، لكنَّه لا يُحصِّلُ شيئًا، والآخرُ يتَمَنَّى العِلْمَ ويُريدُ تَحصيلَه دون أنْ يُتعِبَ نَفْسَه، وكِلاهما لا يُحصِّلُه؛ لأنَّه لا يَحفَظُ ما يُلقى عليه منه.

وتَراهم يجلسون عِنْدَ الشُّيوخِ، ويبدأُ أحَدُهم بدرس الفِقه مثلًا، حتى إذا بلَغَ أوائلَ الطَّهارةِ، هجَرَ مجلسَ الشيخِ، فإذا فتَّشتَ عن حالِه وسألتَه، قال لك: لا طائلَ منه، ولا فائدةَ في دَرْسِه، ويتحوَّلُ إلى درسِ شيخٍ آخَرَ، وتراه قَبْلَ حُضورِ مَجلسِ الشيخِ شَديدَ الثَّناءِ عليه، مبالِغًا في تعظيمه، فإذا مضى أُسبوعان على حُضورِه دَرْسَه، هجَرَه بدَعْوى أنَّه لا يُحصِّل شيئًا، وقد شاهَدْنا مِن هؤلاء كثيرين ؛ وما ذاك إلَّا لِأَنَّهم لا يَحفَظونَ ما يُلقى عليهم مِنَ الدُّروسِ.

ومِن هنا قال شُعبةُ - كما في (النُّبلاءِ) وقد رأى مَجلِسَه امتَلأَ بالطَّلبةِ: (تُرى هؤلاء كُلُّهم يخرجون مُحدِّثين؟ ثم قال: لا يَخرُجُ منهم خَمسةٌ! يكتُبُ أحَدُهم في صِغَرِه، ثم إذا كَبِرَ تَرَكَه)!

يُرِيدُ: أنَّه يترك حِفظَ ما جَمَعه مِنَ الشُّيوخِ مِنَ العِلْمِ فيَذهبُ عليه، أو يَذهَلُ عنه بكَثرةِ الصَّوارِفِ والشَّواغِلِ، أو يَعجِزُ عن حِفظِه، ولا يُرِيدُ أنْ يُتعِبَ نَفْسَه به، وبالتالي يَستَشعِرُ أنَّ زَمانَه الذي قَضاه في الطَّلبِ قد ذهَبَ هَدَرًا دون طائلٍ، فيَترُكُ الطَّلَبَ ويَهجُرُه.

وقد سُئِلَ الشيخُ المُحدِّث طارق عوض الله المِصري عن سَببِ قلَّةِ النابغين في العِلْمِ، مع كثرةِ الطَّلبةِ وازدِحامِهم في مَجالِس الشُّيوخ، فأجابَ بالعامِّيَّةِ: (لأنَّهم سَمِّيعَة) يُريدُ: أنَّهم لا يَعتَنون بحِفظِ ما يُلقى عليهم مِنَ الدُّروسِ، ويكتفون بالسَّماعِ.

وأخرَجَ مُسلِمٌ في (الصحيح) عن يَحيى بنِ أبي كَثيرٍ أنَّه قال: (لا يُستَطاعُ العِلْمُ براحةِ الجِسْمِ)، ووقَفتُ في بعضِ المجاميع على النُّكتةِ في إخراجِ مُسلِمٍ هذا الأثَرَ في بابِ المواقيتِ مِن (كِتابِه) ومَعلومٌ أنَّ هذا ليس موضوعَه ولا محَلَّه، قالوا: لِأنَّ مُسلِمًا كان قد رحَلَ وتعِبَ في تَحصيلِ الحَديثِ الذي قَبلَه، فلمَّا كتَبَه في موضِعه مِنَ (الصحيح) تذكَّرَ رحلَته وتَعَبه في سَماعِه، فكتَبَ أثَرَ يحيى بنِ أبي

كَثيرٍ هذا بعَقِبِه، تَذْكِرةً وتَسليةً لِنَفْسِه، وعِبرةً لِمَن يأْتَسي به مِن بَعْدِه، فهذا سِرُّ ذلك.

وقد ذكَرَ البديعُ في (مَقاماتِه) عن عيسى بنِ هِشامٍ قال: (كُنتُ في بعضِ مَطارِحِ الغُرْبةِ مُجتازًا، فإذا أنا برَجُلٍ يقولُ لِآخَرَ: بِمَ أدركتَ العِلْمَ؟ وهو يُجيبُه فقال: طَلَبتُه، فوجَدتُه بَعيدَ المَرامِ، لا يُصادُ بالسِّهامِ، ولا يُقسَمُ بالأزلامِ، ولا يُرى في المَنامِ، ولا يُضْبطُ باللِّجامِ، ولا يُورَثُ عنِ الأعمامِ، ولا يُستَعارُ مِنَ الكِرامِ، فتوسَّلتُ إليه بافتِراشِ المَدَرِ، واستِنادِ الحَجَرِ، ورَدِّ الضَّجَرِ، ورُكوبِ الخَطَرِ، وإدمانِ السَّهَرِ، واصطِحابِ السَّفَرِ، وكَثرةِ النَّظرِ، وإعمالِ الفِكَرِ، فوجَدتُه شيئًا لا يَصلُحُ إلا لِلغَرْسِ، ولا يُغرَسُ إلَّا في النَّفْسِ، وصَيدًا لا يقع إلَّا في النَّدْرِ، ولا يَنْشَبُ إلَّا في الصَّدْرِ، وطائرًا لا يَخدَعُه إلا قَنَصُ اللَّفظِ، ولا يعْلَقُه إلَّا شَرَكُ الحِفظِ، فحَمَلتُه على الرُّوحِ، وحبَسْتُه على العَينِ، وأنفقتُ مِنَ العَيشِ، وخَزَنتُ في القَلبِ، وحرَّرتُ بالدَّرسِ، واستَرَحتُ مِنَ النَّظرِ إلى التحقيقِ، ومِنَ التحقيقِ إلى التعليقِ، واستَعنتُ في ذلك بالتوفيقِ، فسمِعتُ مِنَ الكَلامِ ما فَتَقَ السَّمعَ، ووصَلَ إلى القَلْبِ، وتغَلغَلَ في الصَّدْرِ).

فقُلتُ: يا فَتى، ومِن أين مَطلَعُ هذه الشَّمسِ؟ فجَعَلَ يقولُ:

إسكندريَّةُ داري لو قرَّ فيها قَراري   لكنَّ بالشامِ ليلي وبالعراقِ نَهاري

وقد ذكَرَ أبو هِلالٍ العَسكريُّ أنَّ أبا تَمَّامٍ الشاعِرَ قَصَدَ بعضَ رُؤساءِ الشامِ، فأنشَدَه قصائدَ، ثم أعادَها عليه مَقلوبةً، فعَجِبَ الرئيسُ من حِفظِه وقال: كيف تمَكَّنتَ مِن حِفظِ ما أرى؟ فقال أبو تَمَّامٍ: (أفادَنيه الطَّلَبُ، وحَفَّظنيه السَّهَرُ).

قال أبو هِلالٍ: (نِعْمَ المُعلِّمُ الدَّرسُ! ونِعْمَ المُعينُ السَّهَرُ! ونِعْمَ الدَّليلُ السِّراجُ! ونِعمَ القائدُ اللَّيلُ! ونِعمَ المُذَكِّرُ الكِتابُ).

والإشكالُ الذي يَعتَري مُعاناةَ حِفظِ المُتونِ إنَّما هو عَدَمُ فَهْمِ ما يُحفَظُ، وقد رأيتُ أعجَميًّا يَستَظهِرُ (كافيَّةَ ابنِ الحاجِبِ) ولا يُحسِنُ النَّحْوَ!

وذكَرَ الحافِظُ ابنُ كَثيرٍ في (تاريخِه) أنَّ العَلَّامةَ صَدْرَ الدِّينِ بنَ المُرَحَّلِ كان يَلحِنُ، مع أنَّه كان يَحفظُ (مُفصَّلَ الزَّمَخشَرِيِّ)!

وكان لِإمامِ الحَرَمَيْنِ في مَجلِسه رَجُلٌ يَحفظُ كُتُبَ الشافعيِّ ونُصوصَه، لكنَّه لا يَدري الفِقهَ ومَعانيه، فكان الإمامُ رُبَّما استَحضَرَ منه ما استَعْصى عليه مِن نُصوصِ الشافعيِّ، فكانوا يُسمُّونه (حمار الشافعية)!

وقد كان السَّلفُ يستعينون بالعَمَل على الحِفظِ، كما قالَه وَكيعٌ وغَيرُه، ومُرادُهم بذلك ليس مُجرَّدَ العَمَل بما عَلِمَ؛ فإنَّ مِنَ العِلْمِ ما لا يتهيَّأُ العَمَل به لِلطَّالبِ، كالفَقيرِ كيف يَعمَلُ بأحكامِ الزكاةِ والبُيوعِ والحَجِّ! وإنَّما مُرادُهم أيضًا الاستعانةُ على حِفظِ العِلمِ بالعِبادةِ، وكَثرةِ النوافلِ، مِن قيامِ اللَّيلِ، وذِكرِ الله، واجتِنابِ المَعاصي، ونحوِ ذلك.

وأيضًا عَدَمُ إحكامِ الحِفظ واستدامُته من جهة أُخرى، وقد ذكَرَ ابنُ الجوزيِّ في (الحَثِّ على حِفظِ العِلْمِ) أنَّه تأمَّلَ على المُتفقِّهةِ أنَّهم يُعيدون الدَّرسَ مرَّتَيْنِ أو ثلاثًا، فإذا مرَّ على أحَدِهم يومان نَسيَ ذلك، فإذا افتَقَرَ إلى شيءٍ مِن تلك المسألةِ في المُناظرة، لم يَقدِرْ عليه، فذهَبَ زمانُه الأوَّل ضايعًا، ويَحتاجُ أنْ يَبتَدئَ الحِفظَ، والسَّببُ أنَّه لم يُحكِمْ حِفظَه.

ونقَلَ هو أيضًا أنَّ أبا إسحاقَ الشيرازيَّ كان يُعيدُ الدَّرسَ مِئةَ مرَّةٍ، ويُعيدُه أبو الحَسنِ إلكيا الهراسُ سَبعينَ مرَّةً.

وقال الفقيهُ الحَسَنُ النيدسابوريُّ: لا يَحصُلُ إليَّ الحِفظ حتى يُعادَ خمسينَ مرَّةً، وحكى أنَّ فقيهًا أعاد الدَّرسَ في بيَتِه مِرارًا، فقالت له عَجوزٌ: قد واللهِ حَفِظتُه أنا! فقال لها: أعيديه! فأعادَتْه. فلمَّا كان بَعْدَ أيامٍ قال لها: أعيدي ذلك الدرسَ؟ فقالت: ما أحفَظُه. فقال: إنِّي أُكرِّرُ عدَّ الحِفظِ لِئلَّا يُصيبَني ما أصابَكِ.

والذي يَنبغي: عدَمُ الإكثارِ مِنَ المحفوظِ، بحيث يَصعُبُ عليه تَثبيتُه ومُراجَعتُه، وقد كان أبو حنيفةَ وهو فقيهُ الدُّنيا، لا يزيد على أنْ يَحفظَ في اليَومِ ثلاثةَ مَسائلَ.

وقال أبو منصورٍ الأزهريُّ في (مُقدمةِ تَهذيبِ اللُّغةِ): (قليلٌ لا يُخزي صاحِبَه، خَيرٌ مِن كَثيرٍ يَفضَحُه)؛ وذلك لِأنَّ الإكثارَ مَظِنَّةُ العِثارِ.

وقد ذكَرَ الأصمعيُّ أنَّه حضَرَ هو وأبو عُبَيدةَ عِنْدَ الفَضلِ بنِ الرَّبيعِ، قال: فقال لي: كم كِتابُكَ في الخيَلِ؟ فقُلتُ: مُجلَّدٌ واحِدٌ، ثم سأل أبا عُبَيدةَ عن كِتابِه

فِي الخَيلِ فقال: خمسونَ مُجَلَّدًا! فقال له: قُمْ إلى هذا الفَرَسِ وأمِسْك عُضوًا عُضوًا منه وسَمِّه. فقال: لست بَيْطارًا، وإنَّما هذا شيءٌ أخَذتُه عنِ العَرَبِ. فقال لي: قُمْ يا أصمعيُّ وافعَلْ ذلك. قال: فقُمتُ وأمسَكتُ ناصيةَ الفَرَسِ، وشَرَعتُ أذكُرُ منه عُضوًا عُضوًا، ويَدي على ذلك العُضوِ، وأُنشِدُ ما قالَته العَرَبُ، إلى أن فرَغتُ منه. فقال: خُذْه. فكُنتُ إذا أرَدتُ أنْ أغيظَ أبا عُبَيدةَ ركِبتُه إليه.

وقد قال ابنُ النحاسِ:

اليومَ شيءٌ وغدًا مثلُه مِن نُخَبِ العِلْمِ التي تُلتَقَطْ
يُحصِّلُ المَرءُ بها حِكْمَةً وإنَّما السيلُ اجتماعُ النُّقَطْ

وسأل فقيرٌ رَجُلًا بخيلًا، فأعطاه فِلْسًا، فاستَقَلَّه الفَقيرُ، وقال: فِلسٌ! فقال البَخيلُ:

لا تَهزَأنْ بالفِلْسِ قطْ واحزَنْ عليه إذا سَقَطْ
ثُمّ اجتَهِدْ في جَمعِهِ إنَّ السُّيولَ مِنَ النُّقَطْ

وقد ذَكَرَ أبو عُمَرَ بنُ عَبدِ البَرِّ في (العِلْمِ) عنِ الزُّهريِّ قال: (لا تُكابِرِ العِلْمَ؛ فإنَّ العِلْمَ أودِيةٌ، فأيُّها أخَذتَ فيه قطَعَ بكَ قَبْلَ أنْ تَبلُغَه، ولكن خُذْه مع الأيامِ واللَّيالي، ولا تأخُذِ العِلْمَ جملةً؛ فإنَّ مَن رامَ أخْذَه جُملةً ذهَبَ عنه جُملَةً، ولكنِ الشيءَ بَعْدَ الشيءِ مع الأيامِ واللَّيالي).

وممَّا يَغلَطُ فيه كثيرٌ مِن طلبةِ العُلوم، فَرْطُ النَّهمةِ في الاطِّلاعِ على كُلِّ جديدٍ، والتفتيشُ عن حديثِ العِلْمِ الذي لم يَقِفْ عليه، قَبْلَ أن يُحكِمَ حِفظَ ما كتبه واطَّلع عليه، وقد قال ابنُ الجوزيِّ: (مِن تَلبيسِ إبليسَ على الطَّلبةِ أنَّهم يَنهَمون على شِراءِ الكُتُبِ ثم لا يُطالِعونَها).

وقال الخَليلُ: (الاحتِفاظُ بما في صَدْرِك أوْلى مِن دَرْسِ ما في كِتابِك).

وكان ابنُ مَهديٍّ يقولُ: (لَأنْ أعرِفَ عِلَّةَ حديثٍ عِندي أحَبُّ إليَّ مِن أنْ أستَفيدَ عِشرينَ حَديثًا ليستْ عِندي).

وقد ذكَرَ الأُصوليُّون مِن شُروط المُجتَهِدِ أنْ يتصوَّرَ أغلبَ مسائلِ الفُنونِ التي هي أدواتُ الاجتهادِ، ويستَحضِرُها في ذِهنِه، وهذا إنَّما يَتمُّ ويَنضَبطُ في الأغلبِ

بحِفظِ مَتْنٍ في كُلِّ فَنٍّ، بحيث يَسهُلُ عليه عَرْضُ المسائلِ على ذِهنِه، وبالتَّالي تَصوُّرُها واستِحضارُها وقتَ الحاجةِ، ومِن هنا قصَّرَ كَثيرٌ مِنَ العُلماءِ في هذه الأعصارِ عن دَرْكِ الاجتهادِ، حتى اضطرَّهمُ الواقعُ إلى أنْ يتسامحوا في بعضِ شُروطِ المُجتَهِدِ، فاستَبدَلوا شرطَ حِفظِ وتصور الأحكام والعلوم التي هي من آلاتِ المجتهِدِ، باشتراطِ القُدرةِ على البَحثِ في الكُتُبِ والتمكُّنِ منه، فقال بعضُهم - كالدكتور الأشقرِ وغَيرِه-: لا يُشتَرَطُ في المُجتهِدِ أنْ يكونَ حافظًا لجُملةِ الأحكامِ ومسائلِ العُلومِ التي هي مِن آلاتِ الاجتهادِ، بحيث يَستَحضِرُها ويتصَوَّرُها في ذِهنِه، بل يَكفي أنْ تَكونَ لديه مَكتبةٌ تَحوي أُصولَ كُتُبِ هذه العُلومِ، ويتمكَّنَ مِنَ البَحثِ فيها واستِخراجِ الأحكامِ منها.

وهذا فاسِدٌ جدًّا، فإنَّ الأوائلَ كان عِندَهم مِن تصانيفِ العُلومِ ما يفوقُ الوصفَ، مع عُلُوِّ مَلَكَتِهم في البحثِ، ورُتبَتِهم فيه، وتَمكُّنِهمُ التَّامِّ منه، ما لا يتهيَّأُ لِلمُعاصرين بعضُه، ومع هذا اشتَرطوا الحِفظَ، ولذا تمكَّنوا مِنَ استنباطِ الأحكامِ للنَّوازِلِ في عَصرِهم، وتَخريجِ أحكامِ الحوادِثِ على القَواعِدِ.

ومِن مُعوِّقاتِ هذه الطريقة ومَزالِقِها، الاقتصارُ على حِفظِ المَتْنِ والرُّكونُ إليه، دونَ استِشراجِ ألفاظِه واستِخراجِ فوائدِه، فيَظُنُّ أنَّه بحِفظِ المَتْنِ قد حَصَّلَ نهايةَ الفَنِّ، وليس كذلك، بلِ المَتْنُ أوَّلُ الطريقِ وبدايَتُه، وهو إنَّما يَضبِطُ لك أُصولَ الفَنِّ، بحيث لا تَذهَبُ عنك، فلا بدَّ بَعْدَ إحكامِ حِفظِه مِن الإقدامِ بعزمٍ على استِشْراحِه وفَهْمِ مسائلِه، وستَجِدُ أنَّ كُلَّ جُملةٍ مِنَ المَتنِ تَحوي فوائِدَ جمَّةً، وكُلَّ عبارةٍ أو لَفظةٍ منه إنَّما هي مسألةٌ مِن مسائلِ الفَنِّ الكبارِ التي تُجْرى مُجْرى الأُمَّهاتِ والأُصولِ، وستُوقِنُ أنَّ حِفظَ المَتْنِ قد سهَّل عليكَ استِحضارَ مُطوَّلاتِه وشُروحِهِ الحاويةِ لِفوائدِه الـمُنتَشرةِ الـمَطويَّةِ في غُضونِ ألفاظِه، بحيث يرتبِطُ عِندَك كُلُّ لفظةٍ منه أو عبارةٍ بشرحِها، فإذا عَرَضتَ على ذِهنِك ألفاظَ المَتْنِ وعباراتِه، سهُلَ عليك استِذكارُ شَرحِه واستِحضارُه؛ لأجْلِ الارتباطِ وعَدمِ الانفِكاكِ بيْنَ المَتْنِ وشرحِه، وهذا أحد أسرارِ حِفظ الـمُتونِ التي لا يَلمَسُها إلَّا الحُفَّاظُ الـمُجرِّبون.

ولْنضرِبْ مثلًا لذلك بكِتابِ اللهِ العزيزِ الذي لا مِثلَ له، فإنَّه دون رَيْبٍ قد حَوى أُصولَ العُلوم، ومِن هنا شَرَطَ الشافعيُّ - وتَبِعَه أبو العبَّاسِ بنُ تَيميةَ-

على الـمُجتهِدِ حِفظَه كُلَّه، دون الاقتصارِ على حِفظِ الخمسمِئةِ آيةٍ مِنَ الأحكامِ، لكنَّ الحافظَ له لا يُحكَمُ له بالعِلْمِ، ولا يُقضى له به، حتى يَفهَمَ معانيَه، ويتعَقَّلَ أغراضَه ويُدرِكَ مَراميَه، وهذا إنَّما يتمُّ له بتفسيرِ ألفاظِه وفَهْمِ معانيها، وسيجدُ أنَّ كُلَّ لفظةٍ إذا استحضَرها، فإنَّه يَرِدُ على ذِهنِه ما يتعلَّقُ بها مِنَ التَّفسيرِ، ويَستَذكِرُه، وهكذا القَولُ في مُتونِ الحديثِ والسُّنَّةِ، فألفاظ المَتْنِ بمنزِلةِ الفِهرسِ لِمسائلِ الفَنِّ التي يَستَذكِرُ بها فوائدَه وعُلومَه.

وقد ذكَرَ الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ في (تاريخه) عن الحافظِ الكبيرِ أبي الحَسَنِ الدَّارقطنيِّ الذي قيل إنَّه أحفَظُ أهلِ الإسلامِ، أنَّه حين أمْلى (عِلَلَ الحديثِ) كانت أطرافُ الأحاديثِ مكتوبةً عِنْدَه على شَكلِ أسئلةٍ قد أعَدَّها أبو مَنصورٍ الكرخيُّ، فيكتُبُ مثلًا: حديثُ الأعمشِ عن أبي وائلٍ عنِ ابنِ مَسعودٍ في كذا، وحديثُ هِشامٍ عن عُروةَ عن عائشةَ في كذا.. وهكذا، فيكشِفُ الدَّارقطنيُّ عنِ الحديثِ في الأوراقِ ويتأمَّلُه، ثم يندَفعُ في إيرادِ طُرُقِه والكلامِ على عِلَلِه مِن حِفظِه.

فكأنَّه بهذا التأمُّلِ يستَذكِرُ الكلامَ على الحديثِ وطُرُقِه، ويجمعُ أطرافَه وذُيولَ مباحِثه، تمامًا كألفاظِ المَتنِ التي تُقيِّدُ لك مسائلَه وتَعقِلُ لك مباحِثَه.

ولا بدَّ لِمَن حَفِظَ مَتْنًا مِنَ استِشراحِه، واستِذكارِ فوائدِه، واستِحضارِها، وإلَّا فإنَّ مُجَرَّدَ الاقتصارِ على حِفظِ المَتْنِ لا يَصيرُ به الحافِظُ فقيهًا عالمًا، وإنَّما هو ناقِلُ فقهٍ وعِلْمٍ، كما قاله أبو عبدِ اللهِ العبدريُّ والعِزُّ بنُ عبدِ السَّلامِ ولْيكنِ الأمرُ عِنْدَك نَظيرَ الدراسةِ في مرحلةِ المتوسطةِ أو الثانويةِ، التي كنا نتلقَّاها في مدارِسنا في موادِّ الهندسةِ والرِّياضياتِ والفيزياءِ والكيمياء، فكنا نحفَظُ القانونَ العامَّ للقاعدةِ أو النظريَّةِ، ثم نقومُ بدراسةِ شَرحِه وحلِّ ما يتعلَّقُ به مِنَ المسائلِ.

فكذلك المُتونُ، وضَعْ في خاطِرِك أنَّك لا بُدَّ أنْ تَكونَ قادرًا على حلِّ مُشكلاتِ المَتْنِ وفكِّ مُقفَلاتِه، فبه تَملِكُ زِمامَ العِلمِ ومقاليدَه.

فإنْ قَصَرَ بك جَوادُ الحِفظِ لألفاظِ المُتونِ؛ لأنَّه دون رَيْبٍ يستغرقُ زمانًا أكثرَ وجهدًا أكبرَ، فلا أقَلَّ مِن سُلوكِ هذه الطريقِ التي ذَكَرَها ابنُ بدرانَ في (المدخل) قال: (واعلَمْ أَنَّ لِلمُطالَعةِ ولِلتَّعليمِ طُرُقًا ذَكَرَها العُلماءُ، وإنَّنا نُثبتُ هنا مَا أخَذْناه بالتجربةِ، ثمَّ نَذكرُ بعضًا مِن طُرُقِهم؛ لِئلَّا يَخلوَ كِتابُنا هذا مِن هذه

الفوائدِ، إذا تمَهَّدَ هذا، فاعلَمْ أنَّنا اهتَدَيْنا بفضلِه تَعالى أثناءَ الطَّلبِ إلى قاعدةٍ، وَهي أنَّا كُنَّا نأتي إلى المَتْنِ أوَّلًا، فنأخُذُ منه جُملةً كافيةً لِلدَّرسِ، ثمَّ نشتَغِلُ بحَلِّ تلك الجُملةِ مِن غَيرِ نَظَرٍ إلى شَرْحِها، ونُزاوِلُها حتى نَظُنَّ أنَّا فهِمْنا، ثمَّ نُقبِلُ على الشرحِ، فنُطالِعُه المُطالَعةَ الأُولى؛ امتِحانًا لِفَهْمِنا، فإنْ وجَدْنا فيما فَهِمْناه غَلَطًا صحَّحناه، ثمَّ أَقبَلْنا على تفَهُّمِ الشرحِ على نمَطِ ما فعَلْناه فِي المَتْنِ، ثمَّ إذا ظنَنَّا أنَّا فَهِمْناه، راجَعْنا حاشِيَته -إنْ كان له حاشيةٌ- مُراجعةَ امتحانٍ لِفِكرِنا، فإذا علِمنا أنَّا فَهِمنا الدرسَ تركنا الكِتابَ واشتَغَلنا بتصويرِ مَسائلِه فِي ذِهنِنا، فحَفِظناه حِفظَ فَهْمٍ وتصوُّرٍ، لا حِفظَ تراكيبَ وألفاظٍ، ثمَّ نجتَهِدُ على أَداءِ معناه بعباراتٍ مِن عِنْدِنا غَيرَ مُلتزمين تراكيبَ المُؤلِّفِ، ثمَّ نذهبُ إلى الأستاذِ لِلقراءةِ، وهنالك نمتَحِنُ فِكرَنا فِي حَلِّ الدرسِ، ونُقوِّمُ ما عساه أَنْ يكونَ به مِنَ اعوِجاجٍ، ونوَفِّرُ الهِمَّة على ما يورِدُه الأستاذُ مما هو زائدٌ على المَتْنِ والشرحِ، وَكُنَّا نرى أَنَّ مَن قرأَ كِتابًا واحِدًا مِن فَنٍّ على هذه الطريقة، سَهُلَ عليه جميعُ كُتُبِ هذا الفَنِّ ومُختصراتُها ومُطوَّلاتُها، وثَبَتَتْ قواعِدُه فِي ذِهنِه).

والحِفظُ مِن جِهةِ المحفوظِ نَفْسِه نوعان: حِفظُ ألفاظٍ وتراكيبَ، وهو الأغلبُ على المغاربةِ وأهلِ الحديثِ، وحِفظُ معانٍ، وهو المَعرفةُ، كما قاله الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ وغَيرُه، وهو الأغلبُ على المَشارقةِ والفُقهاءِ.

ومِن هنا قال الشافعيُّ لإسحاقَ بنِ راهوَيْهِ - وقد عَجِبَ مِن حِفظِه -: (لو كُنتُ أحفَظُ كما تَحفظُ، لغَلَبتُ أهلَ الدُّنيا)، يُريدُ: حِفظَ الحديثِ على رَسْمِ أهلِه، وهو السَّردُ، كما قاله البَيهَقيُّ؛ ولهذا كان إسحاقُ لا يهتدي لِمَا يهتدي إليه الشافعيُّ مِنَ الفقهِ والمعاني والاستِنباطِ.

ولذا قال الفَخرُ الرَّازيُّ على كلمةِ الشافعيِّ: (الفَهْمُ غَيرُ الحِفظِ، والحُكَماءُ يَقولونَ: إنَّهما لا يَجتَمِعان، على سَبيلِ الكَمالِ؛ لأنَّ الفَهْمَ يَستَدعي مَزيدَ رُطوبةٍ في الدِّماغِ، والحِفظَ يَستَدعي مَزيدَ يُبوسةٍ، والجَمعُ بَينَهما مُحالٌ). وقد كان في أصحابِ القاضي أبي بكرٍ الباقلانيِّ، القاضي عبدُ الوهَّابِ البغداديُّ، مِن مَشارقةِ المالكيَّةِ، وهو ناصِرُ مَذهبِ مالِكٍ؛ لبراعَتِه في النَّظرِ والاستِدلالِ واستِنباطِ المَعاني، وكان فيهم أبو الحَسَنِ القابسيُّ، حافِظُ المَذهَبِ مِن مَغارِبَتِهم، فكان القاضي يقولُ: (أحَدُهما يَنصُرُه، والآخَرُ يَحفَظُه).

ولهذا قدَّمَ المالكيَّةُ في تَشهيرِ الـمَذهبِ وتَحقيقِه قَولَ الـمَغاربةِ؛ لِأَنَّهم أضبطُ في حِفظِه وتَحقيقِ قَولِ مالكٍ، بخِلافِ الـمَشارقةِ الذين هم أقعَدُ في الاستِدلالِ له، وهذا في الأغلب؛ ولذا قال ناظم (الطلحيَّةِ):

وَرَجَّحوا ما شَهَرَ الـمَغارِبهْ   والشَّمسُ بالعراقِ ليستْ غاربهْ

وقد قال الشافعيُّ (ليس العِلْمُ ما حُفِظَ، إنَّما العِلْمُ ما نَفَعَ) يُريدُ: أنَّ مُجرَّدَ الحِفظِ دون فَهْمٍ لا ينفعُ، حتى يَفهَمَ ويَعيَ ما يَحفظُ، وليس مُرادُه صَدَّ الطَّلبةِ عنِ الحِفظِ، كما توَهَّمه بعضُ العاجزِينَ الـمُتكاسِلين عنه.

وإنَّما يحصُل الانتِفاع بتحصيلِ ما يُمكِنُ مِنَ النوعَيْنِ، والاقتصارُ على واحدٍ منهما يُورِثُ العالِـمَ قُصورًا في فنِّه، وخَلَلًا في عِلْمِه، ونقصًا في مَقامِه، وقد ذَكَروا أنَّ حَنبليًّا مِنَ الحُفَّاظِ حضر عِندَ الشيخِ نظامِ الدِّينِ القاهريِّ، وكان يستروِحُ إلى تحقيقِ العُلومِ وفَهْمِها دون حِفظِها، فجَرَى البحثُ في مسائلَ مِنَ العِلْمِ ممَّا يحتاج إلى نَقْلٍ، فسكتَ القاهريُّ، وقال الحنبليُّ: طاح مَقامُ النَّظرِ، وجاء مَقامُ الحِفظِ، حتى جاءت مسألةٌ تحتاج إلى بحثٍ ونَظرٍ، سكتَ الحنبليُّ، فقال القاهريُّ: طاح مَقامُ الحِفظِ، وجاء مَقامُ النَّظرِ.

ولذا قَلَّ أنْ تجدَ عالِـمًا مُحقِّقًا لا يحفظ، دَعْ عنك أهلَ الحدَيثِ الذين الحِفظُ صَنعتُهم، وتأمَّلْ حالَ النُّظارِ مِنَ المُتكلِّمين، كالفَخرِ، والغزاليِّ، وإمامِ الحرمَيْنِ، ونُظرائِهم، تَجِدْهم حُفَّاظًا يُمْلُون عِلْمَهم مِن صُدورِهم، كما أملى إمامُ الحرمَيْنِ (التلخيص في الأصول) مِن (تقريب القاضي) بمكةَ، شرَّفها اللهُ، وكان الفَخرُ يستظهرُ (الملخَّص في الأصول) للقاضي عبدِ الوهَّابِ، وكان يكونُ دائمًا في كُمِّه، وكان هو وأبو الحَسَنِ الآمديُّ يحفظان (المستصفى) وكان القاضي الباقلانيُّ يُملي كُتُبَه التي فيها عِلْمُه وعِلمُ المُخالِفين، والرَّدُّ عليهم، مِن صَدْرِه، وقال الرويانيُّ: (لِو احترَقتْ كُتُبُ الشافعيِّ، لَأمليْتُها مِن حِفظي).

ولَـمَّا أعدمَ الموحِّدون نُسَخَ (المُدوَّنة) وهي الأُمُّ في مَذهبِ مالِكٍ، وأرادَ مَنْ بَعدَهم بَعدَ زوالِ مُلكِهم إعادَتَها، لم يَجدوا لها نُسخةً، فأمْلاها عليهم الفقيهُ أبو الحَسَنِ بنُ أبي العشرين مِن حِفظِه، ثم عثروا لها على نُسخةٍ مُتقَنةٍ مُجوَّدةٍ، فقابلوها بإملاءِ أبي الحَسَنِ، فلم يَجدوا فَرْقًا بَيْنَ النُّسختَيْنِ إلَّا في الواوِ والياءِ، ونظائرُ هذا كثيرةٌ جدًّا، ولذا يَجدُ الناظرُ في تراجِمِ كثيرٍ مِن الفُقهاءِ أنَّه كان يُضرَبُ به المَثَلُ في حِفظِ مَذهبِه.

وقد كان الفُقهاءُ يأخذون على الطلبة الحِفظَ، ويتشدَّدون فيه، ولا يتسامحون، وذكر ابنُ النَّجارِ في (تاريخه) أنَّ أبا الخيرِ القزوينيَّ كان بَليدَ الذِّهنِ في الحِفظِ، وكان في مدرسةِ الإمامِ محمدِ بنِ يَحيى صاحِبِ الغزاليِّ، وكان مِن عادتِه أنَّه يستعرضُ الفُقهاءَ كُلَّ جُمُعةٍ ويأخذ عليهم ما حَفِظوه، فمَن وجَدَه مُقصِّرًا أخرَجَه مِنَ المدرسة، فوجد القزوينيَّ كذلك، فأخرَجَه، فخرَجَ لَيلًا وهو لا يدري أين يذهبُ، فنامَ في أتونِ حَمَّامٍ، فرأى النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّمَ، فتفَلَ في فَمِه مرَّتَيْنِ، وأمَرَه بالعَوْدِ لِلمدرسةِ، فعادَ ووجَدَ الماضي مَحفوظًا، واحتَدَّ ذِهنُه، وقد وقع نظيرُ هذه الحكايةِ لِلتفتازانيِّ، ووقع نَحوُها لكنْ مع النَّوويِّ لِأُستاذِنا الدكتورِ المُتكلِّمِ محمد رمضان عبدالله - رحمه الله -، فكان عجبًا في استِحضارِ مَذاهبِ المُتكلِّمين والأُصوليِّين وأدلَّتِهم ومباحِثِهم.

وهذا شيءٌ لا يُقاسُ عليه، وإنَّما غرضُنا مِن ذِكرِه التنبيهُ على حِفظِ الفُقهاءِ، وهو إنَّما يَحصُل ويقع بتكرارِ المَحفوظِ تكرارَ مَن يفهم، ومُداومةِ النظرِ في الكِتابِ الذي يريد حِفظَه، ألَا ترى أنَّ أُمَّ هِشَام بِنْتَ حَارِثَة - رَضيَ اللهُ عنها-

كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ حَفِظتْ (سورة ق) مِن فَمِ النَّبِيِّ - صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّمَ - مِن كثرةِ ما كان يُكرِّرُها في خُطبةِ الجُمُعةِ.

وقد ذكروا أنَّ أبا عُثمانَ الحيري كان يُديمُ النظرَ في (المُستخرَج على مُسلِمٍ) لِأبي جعفرِ بنِ حِمدانَ، فكان إذا جلس لِلوعظِ يقولُ في بعضِ الحديثِ: رُوِيَ، وفي بعضِه: قال، فنظروا فإذا به قد حَفِظَ الكِتابَ حتى مَيَّز بَيْنَ صَحيحِه وسَقيمِه.

وحَكَوْا عن العلَّامةِ تاجِ الدِّينِ الفزاريِّ أنَّه كان يُديمُ النظرَ في (شرح التنبيه) حتى حَفِظه حِفظًا مُتقنًا، فكان رُبَّما أحالَ عليه مِن حِفظِه بالجُزء والورقةِ.

وذكروا عن الرئيس أبي عليِّ بنِ سينا أنَّه نظرَ في كِتابِ (ما وراءَ الطبيعة) لأبي نَصرٍ الفارابيِّ أربعين مرَّةً، حتى حَفِظه ولم يَفهَمْه؛ لِوُعورتِه.

وكانت فاطمةُ بنتُ العبَّاسِ تستَشكِلُ على شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ في درسِه؛ لِأنَّها كانت تُديمُ النظرَ في (المُغني) لِابنِ قُدامةَ حتى استظهرَتْه، فكان يَستعِدُّ لها.

وكان ابنُ تَيمِيةَ يُديمُ النظرَ في (المحلى) لابنِ حَزمٍ، حتى قال الصفديُّ في (تاريخه): (كان يحفظُه عن ظَهرِ قَلبٍ، فلو شاء لَأملاه مِن حِفظِه بما فيه مِن الشَّناعةِ والثَّلْبِ).

وحكَوْا عن ابنِ رسلانَ الخوارزميّ أنّه قرأ (شرح المهذب) لِأبي بكرٍ الصيدلانيِّ و(تفسير الثعلبي)، حتى حفِظَ جُملةَ ما فيهما، فكان إذا سُئلَ يجيبُ على البديهةِ منهما، ويَذكُر مِن حِفظِه الخِلافَ والمَذاهبَ والأقوالَ والأدلَّةَ مِن غَيرِ خَطأٍ. وأملى النوويُّ على أصحابِه مسألةً مِنَ (الوسيط) لِلغزاليّ، فراجَعوهُ فيها، فقال: (تراجعونني في الوَسيطِ، وقد قرأتُه أربَع مِئةِ مرَّةٍ).

ولمَّا تنازعَ الناسُ في فضلِ العلَّامةِ عبدِ القادرِ المكيِّ الطبريِّ، فحَلَفَ بعضُهم بالطَّلاقِ إنَّه ليس بمكةَ أحدٌ أعلمُ منه، واختلَفَ العُلماءُ في حِنثِه، فأجاب الحافظُ ابنُ حَجَرٍ والسنباطيُّ بعَدَمِ الحِنثِ، وعلَّلوه بسَعةِ عِلْمه وكثرةِ محفوظِه، حتى إنَّه إذا سُئلَ في الفقهِ أجابَ في الحالِ مِن (شرح الرافعيّ) أو(الروضة) وإنْ سُئلَ في الأُصولِ أجابَ مِن (مُختصر ابنِ الحاجبِ) أو (مُختصر البيضاويّ)..

وهكذا التَّفسيرُ والحديثُ وغَيرُها مِن الفنونِ، وهذا لِأنَّه كان يُدِيمُ مُطالعة هذه الدواوينِ حتى رَسَخَتْ في ذِهنِه.

وحدَّث العلَّامةُ المُختارُ بنُ بونا - رحمه اللهُ - عن نَفْسِه، أنَّه في حداثَتِه استُغلِقَ عليه فَهْمُ النحو وحفظُه، فخرج مِنَ الدرسِ باكيًا، لِتعنيفِ المُعلم إياه على تقصيرِه، فاستند إلى شجرةٍ يفكرُ في شأنِه، فرأى نملةً تحمِلُ رزقَها وتحاولُ أنْ ترقى به جِذعَ الشجرةِ، فعدَّ لها سبعَ مرَّاتٍ وهي تَرقى ثم تقع، ثم تعودُ فتحمِلُه وترقى، وهكذا حتى حصل لها ما أرادت، ففَهِم أنَّ تَكرارَ المُحاولة يفتحُ المُقفلَ والمُغلقَ مِنَ الفَهْمِ والحِفظِ، ومِن هنا قال أديسون -وهو الذي ابتكر المِصباحَ بعدَ ألْفِ تجربةٍ-: (العبقريةُ تَكرارُ المُحاولةِ).

ويحصل الحِفظُ أيضًا بالتعوُّدِ عليه بكثرةِ ممارسته وعدم قطعِه حتى يسهُلَ عليه، وقد حكى أبو هِلالٍ العَسكريُّ عن أبي السمحِ الطائيِّ أنَّه قال: كان الحِفظُ يتعذَّرُ عليَّ حين ابتدأتُ أرُومُه، ثم عوَّدتُه نَفْسي، إلى أن حفِظتُ قصيدةَ رُؤبةَ (وقاتِمِ الأعماقِ خاوي المُخْتَرَقْنْ) في ليلةٍ، وهي قريبٌ مِن مِئتَيْ بَيتٍ.

وأيضًا فالمخطوطُ نَفْسُه يتفاوتُ في سرعة الحِفظ وإحكامِه، فحِفظُ الشِّعرِ المَنظومِ ليس كحِفظِ النَّثرِ، والواجبُ على المُعتَنين بالتحصيلِ والطلبِ مُراعاةُ ذلك مِن جهةِ الوقت والجهد.

وقد ذَكَر الذهبيُّ وابنُ السبكيِّ وغَيرُهما أنَّ أبا الفَضلِ الهمذانيَّ الأديبَ لـمَّا وَرَد نَيْسابورَ، وتعَصَّبوا له، ولقَّبوه بَديعَ الزَّمانِ، أُعجِبَ بنَفْسِه، إذ كان يحفظُ المئةَ بيتٍ إذا أُنشِدتْ بَينَ يَدَيْه مرَّةً، ويُنشِدُها مِن آخِرِها إلى أوَّلِها مقلوبةً، فأنكر على الناسِ قولَهم: (فُلانٌ الحافِظُ في الحديثِ)، ثم قال: وحِفظُ الحديثِ ممَّا يُذكَر؟! فسمع به الحاكمُ بن البيِّعِ، فوجَّه إليه بجزءٍ، وأجَّلَه جُمُعةً في حِفظِه، فردَّ إليه الجُزءَ بعدَ الجُمُعةِ، وقال: مَنْ يحفظُ هذا؟ محمدَ بنَ فُلانٍ، وجعفرَ بنَ فُلانٍ عن فُلانٍ! أسامي مختلفة وألفاظ متباينة! فقال له الحاكم: فاعرَفْ نَفْسَك، واعلَمْ أنَّ حِفظَ هذا أضيقُ ممَّا أنت فيه.

ويتفاوتُ المَحفوظُ أيضًا بحسَبِ رغبةِ ومَيْلِ الطالب إلى العِلْمِ وشَغفِه به ونَهْمَتِه فيه، وقد ذكَرَ أبو الحَسَنِ الأخفشُ أنَّ النَّظَّامَ قال: لو تفرَّغتُ لِلعَروضِ لَحفِظتُه في يومَيْنِ. قال: فلمَّا تفرَّغَ له لم يحفَظْه في شهرَيْنِ!

في حين أنَّ أبا جعفرِ بنَ جَريرٍ أحكَمَ العَروضَ في ليلةٍ، وذلك أنَّه سأَلَه سائلٌ عن وزْنِ بيتٍ، فلم يَعرِفْه، وطلَبَ مِنَ السائلِ أنْ يُمهِلَه حتى الصباحِ، ثم استعارَ عَروضَ الخليلِ مِن صاحبٍ له، وبات ينظُرُ فيه حتى قال: أمسَيتُ لا أدري العَروضَ، وأصبَحتُ عَروضيًّا.

ونظيرُه أنَّ أبا بكرِ بنَ الأنباريِّ سُئلَ عن تأويلِ رُؤيا، ولم يكنْ له بهذا الفَنِّ دِرايةٌ، فاستَمهَلَ السائلَ حتى الصباحِ، وذهَبَ فاستعارَ كِتابَ الكرمانيِّ في التعبيرِ، وأحكَمَه في ليلةٍ واحدةٍ، حتى صارَ مُعبِّرًا.

لكنَّ هذا الحِفظَ - أعني حِفظَ المُطوَّلاتِ مِنَ الكُتُبِ- الذي يُذكَرُ عن بعضِ أهلِ العِلْمِ، المُرادُ منه في الأغلبِ الحِفظُ الذي هو المَعرفةُ بفوائدِ الكِتابِ، والذي يتولَّدُ مِن كثرةِ تَكرارِ النَّظرِ فيه، وإدامةِ قراءتِه، وقد قال ابنُ السبكيِّ في ترجمة بعضِ مَن قيل: إنَّه يستَظهِرُ (كِتابَ سيبَوَيْه): إنَّ هذا لا يكاد يُتَصوَّر أنَّه الحِفظُ عن ظَهرِ قَلبٍ باللَّفظِ، وإنَّما المُرادُ حِفظُ معاني الكِتابِ وفوائدِه بدوامِ النظرِ فيه.

وهذا كما قال المزنيُّ إنَّه قرأ (رسالة الشافعيّ) خمسَمِئةِ مرَّةٍ، ومنه قَولُ البخاريِّ حين سُئِل عن دواءٍ لِلحِفظِ: (لا أعلَمُ دواءً لِلحِفظِ أنفَعَ مِن نَهْمَة الرجُلِ، ومُداومةِ النظرِ، وكثرةِ المُراجعةِ).

ولذا تجِدُ أنَّ كثيرًا مِنَ العُلماءِ قد غلب عليه النظرُ في كِتابٍ مُعيَّنٍ حتى عُرِفَ به، لِأنَّه شُغِفَ به، ومال إليه، فداوم عليه، حتى حفِظَه، أو كاد، كما تقدَّمَ ذِكْره، ولذا يقول أبو العبَّاسِ بنُ سريجٍ في (مختصر المزنيّ):

سميرُ فؤادي مُذْ ثلاثين حِجَّةً   وصَيْقَلُ ذِهْني والـمُفَرِّجُ عن هَمِّي

وقال أبو الحَسَنِ الفالي في (الجمهرة) لِأبي بكرِ بنِ دريدٍ، وقد كان يحفَظُها ويمتَلِكُ نُسخةً مُجوَّدةً منها، فلمَّا افتقَر باعها، وأنشَدَ:

أَنِسْتُ بها عشرين حَوْلًا وبِعْتُها   فقد طالَ شَوْقِي بَعْدَها وحَنيني

وما كان ظَنِّي أنَّني سأبيعُها   ولو خلَّدَتْني في السُّجونِ دُيوني

ولكِنْ لِضَعْفٍ وافتِقارٍ وصِبْيَةٍ   صِغارٍ عليهم تَستَهِلُّ شُؤوني

فقُلْتُ ولم أملِكْ سَوابِقَ عَبْرَةٍ   مَقالَةَ مَشْوِيِّ الفؤادِ حَزِينِ

وقد تُخْرِجُ الحاجاتُ يا أُمَّ مالِكٍ   كرائمَ مِن رَبٍّ بِهِنَّ ضَنينِ

والخبرُ بتمامِه عِندَ ياقوتٍ في (الأُدباء) والسيوطيِّ في (المزهر) وغَيرِهما، والحاصِلُ منه أنَّه داومَ على مُطالَعَتِها عشرين سنةً! فكيف لا تَرسَخُ معانيها، فضلًا عن ألفاظِها في ذِهنِه؟!

وكان لهم طرِيقةٌ في تَجرِيدِ فوائِدِها وحِفظِها، وذلك أنَّهم يَعمَدون عِندَ مُطالعتِها إلى وضعِ خطٍّ أو علامةٍ على الفوائدِ التي لا غِنى لِلعالِمِ عن حِفظِها بألفاظِها، كالشِّعرِ والنُّصوصِ ومَذاهبِ الناسِ.. ونَحوِ ذلك، فيُجرِّدون المُطوَّلاتِ منها، ويُخلِّصونَها، بحيث ينقَسِمُ الكِتابُ عِندَهم إلى قسمَيْنِ: ما تحتَه خَطٌّ، أو علامةٌ، وهو لِلحِفظ بلفظِه، وما هو مُهملٌ، وهو الكلامُ الذي هو شرحٌ لِلمعنى، بحيث يُكتفَى بفَهْمِه وتأديَتِه عِندَ الحاجة بلَفظِه هو، دون الحاجةِ إلى لفظِ المُصنِّفِ، فإذا كرَّرَ على الكِتابِ مرَّةً أُخرى، فإنَّه يُطالِعُ ما تحتَه خَطٌّ أو علامةٌ، ويُداوِمُ على النظرِ فيه، ومُراجعتِه، حتى يَرسَخَ في ذِهنِه ويُحكِمَ حِفظَه.

والحِفظُ مِن جِهةِ طرائقِه ووسائلِه نوعانِ: حِفظُ التَّكرارِ الذي هو هذا، وهو الأغلبُ على الناسِ، حتى مِنَ الحُفَّاظِ الكِبارِ، كما مرَّ عنِ البُخاريِّ وغَيرِه،

وحِفظُ الأذكياءِ، وهو بالتأمُّلِ في معاني الكِتابِ حتى يفهَمَه، كما حَفِظَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمِيةَ (كِتابَ سيبَوَيْهِ) وفهِمَه بتأمُّلِه مِرارًا، وذكَرَ السخاويُّ وغَيرُه عنِ الحافِظِ ابنِ حَجَرٍ أنَّه كان يحفظُ حِفظَ الأذكياءِ، وأنَّه تأمَّل (مُختصر البيضاويِّ) فحَفِظه.

ويمكن أن يجمعَ بينَ النوعَيْنِ، ويَستعمِلَ الطريقتَيْنِ، وذلك بحسَبِ ذِهنِ الحافظِ، فإنَّه قد يَستَروِحُ لهذا النوعِ دونَ الآخَرِ، وبحسَبِ المَحفوظِ نَفْسِه، فإنَّ مِنَ الكُتُبِ والعُلومِ ما يكفي حِفظُه بالتأمُّلِ، ومنه ما لا يتأتَّى إلَّا بتكرارِه، ولهذا ذَكَروا في طريقةِ الحِفظِ أنَّه تارةً يرفعُ صَوتَه بالمَحفوظِ، حتى يَرسَخَ، وهو حِفظُ التَّكرارِ، كما قال أبو هِلالٍ العَسكريُّ إنَّه (يرفعُ صَوتَه بالدرسِ، حتى يُسمِعَ نَفْسَه، فإنَّ ما سمِعَتْه الأُذُنُ رسَخَ في القَلبِ، ولهذا كان الإنسانُ أوعى لِمَا يسمَعُه منه لِمَا يقرَؤُه)، وحكى عن أبي حامدٍ أنَّه كان يقولُ لِأصحابِه: (إذا دَرَستُم، فارفَعوا أصواتَكم، فإنَّه أثبَتُ لِلحِفظِ، وأذهَبُ لِلنَّومِ).

وتارةً يقرأ ويُطالِعُ بصَمتٍ، وبالنظرِ في المَحفوظِ، دون أنْ يُحرِّك شفتَيْه به، فيَرسَخُ ما تأمَّلَه، ولا سيَّما إذا كان المَقروءُ ممَّا يَغلِبُ عليه الفَهْم دونَ الحِفظِ،

كما حكاه ابنُ الجوزيّ، وتفسيرُ ذلك عِندَ الأطبَّاءِ أنَّ الدّماغَ يلحَقُه مِنَ الإعياءِ والجَهدِ باشتِغالِ جارِحتَيْنِ مِنَ الجوارحِ التابعةِ له، أكثَرُ ممَّا يلحَقُه من ذلك باشتِغالِ جارحةٍ واحدةٍ، ولذا حكى أبو هِلالٍ أنَّهم كانوا يقولون: (القِراءةُ الخفيَّةُ للفَهْمِ، والرَّفيعةُ لِلحِفظِ والفَهْمِ).

وهذا آخِرُ ما قصَدتُ جَمْعَه وبيانَه في التنبيهِ على مَقامِ الحِفظِ لِلعِلْمِ ومُتونِه، والحَثِّ على الاعتناءِ بذلك، نصيحةً لِنَفْسي، ولِطلبةِ العِلْمِ مِن أبناءِ جِنْسي، وتَذكِرةً لِلمُؤتَسي، ونَسألُ اللهَ التوفيقَ والإعانةَ وحُسْنَ العاقبةِ.

الباب السادس

هلم يا باغي حفظ القرآن

هَلُمَّ يَا بَاغِيَ حِفْظَ الْقُرآنِ

وبعد هذ التطواف الذي رمنا من خلاله تجلية أهمية الحفظ لدى طالب العلم ، وجب السؤال:

- من منكم حلم حياته حفظ القرآن كاملاً؟

- من منكم حقاً حفظ القرآن كاملاً في حياته؟

- لماذا لا نحفظ كتاب الله؟ وإليك إجابات الغالبية :

حفظ القرآن الكريم .. حلم حياتي ..أمنية عظيمة ..هدف أسمى ..ويبررون ذلك بقولهم .. إن في حفظ القرآن الكريم ..الثواب والأجر العظيم .. الرفعة في الدنيا والآخرة .. الشفاعة يوم القيامة .. الأنس في القبر ..حلة الكرامة وتاج الكرامة .. الارتقاء في درجات الجنان .. شفاء لما في الصدور.. ثم إذا سئلوا.. من منكم يحفظ كتاب الله كاملاً ؟ فلا يجيب أحد ..ثم إذا سئلوا.. لماذا لا نحفظ كتاب الله ؟ فيتعذرون بالكثير من الأعذار .. فالبعض يتعذر بكثرة المشاغل وانعدام الوقت .. العمل .. الدراسة.. العيال ..والبعض الآخر يلوم

والديه لأنهم لم يلحقوه بدروس حفظ القرآن .. والبعض الآخر يلوم السن .. وآخرين يلومون النظام المدرسي.. والبعض الآخر يلوم الذاكرة وضعف التركيز ..وتطول قائمة الأعذار ..وجميع تلك الأعذار .. واهية .. لأنها لا تمثل السبب الحقيقي لعدم الحفظ ..السبب الحقيقي لعدم حفظ كتاب رب الأرباب .. كلمة واحدة ..إبليس ..إبليس تشكل لنا وتمثل لنا في هيئة الأعذار التي ذكرناها سابقا"

- لماذا لا نحفظ كتاب الله ؟ إن النجاح في حفظ كتاب رب العالمين .. 90% منه أسباب نفسية .. 10% فقط مهارات وتقنيات ...

السر الاول : شغف ورغبة مشتعلة لحفظ كتاب الله

القرآن الكريم ..حياتي .. حفظ القرآن .. أولوية في حياتنا ..حفظ القرآن .. حلم حياتنا .. حفظ القران .. مشروع تخرج ..مشروع تخرج من الدنيا.. بامتياز .. لا يهدأ لي بال إن لم أنجز حفظي اليومي والموعد الجنة إن شاء الله

 وإليك أربع منازل تذكرها عند حفظ القرآن ، وكل ما شعرت بالتقاعس ذكر نفسك بها:

1- خيرية تعلم كتاب الله :- فمن تأمل هذا علم أن خير الناس من عاش مع القرآن متعلما ومعلما كما روى عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ) رواه البخاري في صحيحه. قال أبو عبد الرحمن السلمي راوي الحديث عن عثمان: وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا، فكان يعلم القرآن من زمن عثمان إلى زمن الحجاج.

2- أهل القرآن هم أهل الله وخاصته: ففي الحديث الذي رواه أنس بن مالك :(قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - إن لله أهلين من الناس ، قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: هم أهل القران ، أهل الله وخاصته) .. رواه أحمد وابن ماجه بسند صحيح .

الله اكبر .. يا لهذا اللقب .. أهم أهل الله وخاصته .. يا لها من منزلة وأي منزلة .. هم خاصة الخاصة .. هم أهل الله .. وهل يعذب الله أهله .. لا والله..

وفي هذا الحديثِ يُخْبِرُ أنسُ بنُ مالكٍ رضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: "إنَّ للهِ أَهْلِينَ مِن النَّاسِ"، أي: أهلًا مِن النَّاسِ هم أولياؤُه وأحبابُه؛ فـ"أهلين" هم الأهلُ، جُمعَ بالواو والنون على غَيرِ قياسٍ، وجمعَه هنا إشارةً إلى كثرتِهم، فقال الصَّحابةُ رضِيَ اللهُ عنهم: "يا رسولَ اللهِ، مَن هم؟" فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "هم أهْلُ القُرآنِ"، أي: حَفَظَةُ القُرآنِ العامِلونَ به، الذين يتْلونَه آناءَ اللَّيلِ وأطرافَ النَّهارِ، وإنَّما يكونُ هذا في قارئِ القُرآنِ الَّذي انتفَى عنه جَورُ القلْبِ، وذهَبَتْ عنه جِنايةُ نفْسِه، وتطهَّرَ مِن الذُّنوبِ ظاهرًا وباطنًا، وتزيَّنَ بالطَّاعةِ؛ فلا يكفي مُجرَّدُ التِّلاوةِ؛ ليكونَ مِن أهْلِ القُرآنِ، حتَّى يعمَلَ بأحكامِه، ويقِفَ عندَ حُدودِه، ويتخلَّقَ بأخلاقِه، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ۝١٢١﴾ [البقرة:121]، "أهْلُ اللهِ وخاصَّتُه"، أي: وهم أولياءُ اللهِ الَّذين اختصَّهم بمحبَّتِه، والعنايةِ بهم؛ سُمُّوا بذلك تعظيمًا لهم، كما يُقال: بيتُ اللهِ، وذلك أنَّ اللهَ تعالى يخُصُّ بعضَ عِبادِه، فيُلْهِمُهم العمَلَ بأفضْلِ الأعمالِ، حتَّى

يرفَعَ درجاتِهم فوقَ كثيرٍ مِن النَّاسِ؛ ﴿ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥ ﴾ [البقرة: 105].

وفي الحديثِ: بيانُ فَضيلةِ حِفْظِ القُرآنِ، والقيامِ بما فيه مِن أحكامٍ وأوامِرَ ونَواهٍ. وفيه: ترغيبٌ كبيرٌ في أنْ يكونَ الإنسانُ مِن أهلِ القرآنِ، وفي هذا إشارةٌ إلى ذَمِّ مَن هجَرَ القُرآنَ ونَسِيَه؛ فهجرُ القُرآنِ عاقبتُه وخيمةٌ في الدنيا والآخِرةِ، وهجْرُه يَشملُ هجْرَ التلاوة والحفظِ، وهجْرَ التدبُّرِ والعَملِ، والتَّحكيمِ إليه، والاستِشفاءِ به.

3- **يشفع القرآن لأهله وحملته يوم القيامة:** ففي الحديث - عن ذكوان السمان أبو صالح قال : سمعتُ أبا هريرةَ يقول : اقرءوا القرآنَ , فإنَّهُ نِعْمَ الشفيعُ يومَ القيامةِ , إنَّهُ يقول يومَ القيامةِ : يا ربِّ حَلِّهِ حِلْيَةَ الكرامةِ . فيُحلَّى حِليةَ الكرامةِ , يا ربِّ اكْسُه كسوةَ الكرامةِ . فيُكسى كسوةَ الكرامةِ , يا ربِّ ألبِسْه تاجَ الكرامةِ يا ربِّ ارْضَ عنه فليس بعد رضاكَ شيءٌ .. رواه الحاكم والدارمي بسند صحيح.

عن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِي رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّه يَأْتِي يومَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ ....رواه مسلم .

هذا الحديث دليل على فضل تلاوة القرآن ، وعظيم ثوابه وأنه شفيع لأصحابه يوم القيامة في دخول الجنة .. وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يومَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ قَالَ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا رواه مسلم.

هذا اليوم العصيب .. ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧﴾ الكل يقول نفسي نفسي ..

أما صاحب القران .. فعنده خير شفيع .. وخير صاحب .. القران الكريم ..

- لماذا أحفظ القرآن الكريم؟

أحفظ القرآن لأنه أعظم القربات الى الله.

• ففي الحديث الذي رواه أنس بن مالك :{قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - إن لله أهلين من الناس ، قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: هم أهل القران ، أهل الله وخاصته }

•رفعة في درجات الجنة: حيث يقالُ لصاحبِ القرآنِ : اقرأْ وارقَ ورتِّلْ كما كنتَ ترتلُ في الدنيا، فإنَّ منزلتَك عندَ آخرِ آيةٍ تقرؤها. رواه أحمد وأبو داوود والنسائي بسند صحيح .

• يوم القيامة يشفع القرآن لأهله وحملته ، ففي الحديث - عن ذكوان السمان أبو صالح قال : سمعتُ أبا هريرةَ يقول : اقرءوا القرآنَ ، فإنَّهُ نِعْمَ الشفيعُ يومَ القيامةِ ، إنَّهُ يقول يومَ القيامةِ : يا ربِّ حَلِّهِ حِلْيَةَ الكرامةِ . فيُحلَّى حِليةَ الكرامةِ ، يا ربِّ اكْسُه كسوةَ الكرامةِ . فيُكسى كسوةَ الكرامةِ , يا ربِّ ألبِسْه تاجَ الكرامةِ يا ربِّ ارْضَ عنه فليس بعد رضاكَ شيءٌ ..

• حافظ القرآن مع السفرة الكرام البررة .فعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : مَثَلُ الذي يَقْرَأُ القُرآنَ،

وهو حافِظٌ له مع السَّفَرَةِ الكِرامِ البَرَرَةِ، ومَثَلُ الذي يَقْرَأُ، وهو يَتَعاهَدُهُ، وهو عليه شَدِيدٌ فَلَهُ أجْرانِ. رواه البخاري

فَنَجِدُ أنَّ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أخْبرَ بفضْلِ تلاوةِ القرآنِ وحفظِه والاشتغالِ به في أحاديثَ كثيرةٍ.

وفي هذا الحديثِ تَروي عائشةُ رضِي اللهُ عنها عَنِ النَّبِيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّه قال: مَثلُ الَّذي يقرأُ القرآنَ، وهو حافظٌ له مع السَّفرَةِ الكرامِ البَررةِ، فالحافظُ لِلقرآنِ منزلَتُه مع السَّفَرةِ الكرامِ البررةِ، وهمُ الرُّسلُ، وقيل: الملائكةُ، أمَّا مَن كان يقرؤُه فيتعاهدُه وهو عليه شديدٌ؛ لضعْفِ حفْظِه، فإنَّ له أجرينِ أجرًا لِقراءتِه وأجرًا لِعنائه وما يُلاقيه مِن شِدَّةٍ في حفْظِه، وليسَ المرادُ أنَّ أجْرَه أكثرُ مِن أجْرِ الماهرِ، بلِ الأوَّلُ أكثرُ؛ ولذا كان مع السَّفَرةِ فالحافظُ لا يصيرُ كذلك إلَّا بعد عناءٍ كثيرٍ ومشقَّةٍ شديدةٍ غالبًا.

●حفظ القرآن الكريم رفعة في الدنيا والآخرة: ففي الحديث{ أَنَّ نَافِعَ بْنَ عبدِ الحارِثِ، لَقِيَ عُمَرَ بعسْفَانَ، وَكانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ على مَكَّةَ، فَقالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ علَى أَهْلِ الوَادِي، فَقالَ ابْنَ أَبْزَى، قالَ: وَمَنِ ابنُ أَبْزَى؟ قالَ: مَوْلًى

مِن مَوَالِينَا، قالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عليهم مَوْلًى؟ قالَ: إنَّه قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وإنَّه عَالِمٌ بالفَرَائِضِ، قالَ عُمَرُ: أَما إنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قدْ قالَ: إنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بهذا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ به آخَرِينَ.}صحيح مسلم.

● حافظ القرآن يقدم في قبره : - فإنه بعد معركة أحد وعند دفن الشهداء كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع الرجلين في قبر واحد ويقدم أكثرهم حفظاً، كما في صحيح البخاري .

●حافظ القرآن أولى أن يغبط: فعن أبي هريرة- رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم قال : لا حَسَدَ إلَّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَهو يَتْلُوهُ آناءَ اللَّيْلِ، وآناءَ النَّهارِ، فَسَمِعَهُ جارٌ له، فقالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فُلانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ ما يَعْمَلُ، ورَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ مالًا فَهو يُهْلِكُهُ في الحَقِّ، فقالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فُلانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ ما يَعْمَلُ.

●حفظ القران تأس بالسلف الصالح.

●حفظ القران ميسر للناس كلهم.

- حافظ القرآن هو أولى الناس بالإمامة والإمارة.
- حافظ القرآن أكثر الناس تلاوة له.
- حامل القرآن يستحق التكريم.
- حفظ القران شفاء للصدور.

السر الثاني : الإخلاص - التوكل - الدعاء

قبل الشروع في الحفظ .. يجب أن نتوقف لمراجعة نياتنا .. لماذا أحفظ القرآن الكريم ؟

هل أحفظ ابتغاء وجه الله .. ابتغاء الأجر والثواب .. رغبة في الدرجات العلى .. طمعاً في أن أكون من سكان الفردوس الأعلى

أم لأرائي به الناس ..... ليقال عني حافظ .... أبتغي به الشهرة ....

يقول رب العالمين في الحديث القدسي : قالَ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى: { أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ.}

يا الله .. ضاع الأجر .. ضاعت الدرجات .. ضاعت الشفاعة .. ولم يبق للإنسان إلا التعب

السر الثالث :لا للأعذار .. الحفظ مسئوليتك أنت وحدك

توقف عن سرد الأعذار ، واشرع بالحفظ ، في اللحظة التي تأتي بها بعذر لعدم الحفظ.. لعدم حفظ الصحفة في اليوم .. للتوقف عن المراجعة باستمرار .. في تلك اللحظة .. ابليس قد فاز في معركته معنا .. ولن ينفعنا ابليس يوم القيامة .. قال الله تعالى :

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

ومن الأعذار الاعتقاد الذاتي لدى أحدهم بضعف الذاكرة ، وتقدم العمر ....الخ - لا نتعلل بالذاكرة الضعيفة .. العمر .. الوقت.. إبليس يتشكل بهيئة أعذار ، نشتكي ونشتكي .. ونتساءل عن الحلول لمشاكلنا .. مشاكلنا المالية ..

مشاكلنا الاقتصادية .. مشاكلنا السياسية .. مشاكلنا الاجتماعية .. ونستشير الكثير الكثير طلباً للحلول .. نستشير الأهل والأصدقاء ..الأصحاب والأطباء .. لماذا لا نستشير القران ؟ لماذا نغفل عن القران ؟

ووجب هنا التنبيه إلى فائدة هامة ألا وهي : أن المخ يفهم التحديد. المخ عنده ترليون خلية، كل خلية أقوى من جهاز كمبيوتر، فالإنسان يموت وهو لم يستخدم حتى أحسن قدراته العقلية ، والله سبحانه سيسألنا يوم القيامة.

ففي الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - إنَّ أوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَومَ القِيامَةِ عليه رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها، قالَ: فَما عَمِلْتَ فيها؟ قالَ: قاتَلْتُ فِيكَ حتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ قاتَلْتَ لأَنْ يُقالَ: جَرِيءٌ، فقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ على وجْهِهِ حتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ، ورَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ، وعَلَّمَهُ وقَرَأَ القُرْآنَ، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها، قالَ: فَما عَمِلْتَ فيها؟ قالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ، وعَلَّمْتُهُ وقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ، قالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقالَ: عالِمٌ، وقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقالَ: هو قارِئٌ، فقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ علَى وجْهِهِ حتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ، ورَجُلٌ

وسَّعَ اللَّهُ عليه، وأَعْطاهُ مِن أصْنافِ المالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها، قالَ: فَما عَمِلْتَ فيها؟ قالَ: ما تَرَكْتُ مِن سَبِيلٍ تُحِبُّ أنْ يُنْفَقَ فيها إلَّا أنْفَقْتُ فيها لَكَ، قالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقالَ: هو جَوادٌ، فقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ علَى وجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ في النَّارِ. رواه مسلم

لكن أين ذهبت هذه القدرات؟

في غيبة ونميمة وكلام لا ناقة له ولا زمام ولا طائل من ورائه والعمل و....الخ

- الإنسان العادي يقدر أن يحفظ الصفحة في أقل جزء من الثانية، لكنه يقول لا أستطيع فلا يحفظ.

السر الرابع: دمج الحواس الخمس

فكلما كثرت الحواس في عملية التعلم .. كلما تذكرنا بطريقة أفضل ، كل منا يملك خمس 5 حواس إلا أن كلاً منا يفضل حاسة على الأخرى في عملية التعلم والمذاكرة

1- فمثلاً الشخص الذي يفضل التعلم بالصور والأشكال والألوان .. يعتمد على حاسة البصر بشكل رئيسي في التعلم ..

2- والشخص الذي يحب سماع الأصوات المختلفة بطبقات مختلفة ونغمات مختلفة .. يعتمد اعتماداً رئيسياً على حاسة السمع في عملية التعلم.

3- وهناك من يعتمد على الأحاسيس والمشاعر وتجربة الأمور ..فهو يعتمد اعتماداً كبيراً على حاسة اللمس والتذوق والشم ... وجمعناها في ما يعرف بحاسة الإحساس .

فلكل منا حاسة معينة رئيسية .. ...إلا أن قوة التعلم والحفظ المذاكرة تتضاعف عند دمجنا لتلك الحواس معاً في عملية التعلم ... ولكن كيف ؟

أولا": اختيار المصحف : كيف أختار المصحف؟!! - عند اختيارك للمصحف تأكد من أن خلفية المصحف صفراء اللون أو خضراء، لماذا؟ لأن هذه الخلفية تجعل الحفظ أسرع ، فأسوأ شيء للمخ الكتابة السوداء على الصفحة البيضاء ؛ لأن المخ يحب الألوان.

هناك خمس مصاحف أوصي بها:

1- لفظ الجلالة يكون فيه باللون الأحمر (الله-هو- ربكم..)

2- المصحف المجود الذي به 6 ألوان ، غنة قلقلة ادغام..

3- الموضوعي المفسر.. يكون لون خلفية الآيات على حسب المعنى.

4- المصحف الذي تكون أول كلمة في الآية باللون الأحمر، لأننا عندما نحفظ ننسى الآية التي تليها.. فاللون الأحمر يلتقطه المخ.

5- المصحف المعطر.. كلما تفتحه تشم رائحة عطر

اشتر خمس مصاحف من نفس الشكل ؛ لأنه مع الوقت ستتغير طريقة خط المصحف ويصعب عليك المراجعة، كذلك حتى يكون المصحف معك دائما .. واحد في الجيب.. واحد في العمل.. في البيت.. السيارة ..بيت الأهل، اجعل المصحف في متناول يدك دائما.

بعد اختيار نصف صفحة : يرجى ملاحظة ما يلي:

النفس العميق بين كل قراءة للآية والقراءة الأخرى : من أهم الأمور التي تعين على الحفظ بزمن قياسي ، إن ذلك النفس كما أوضحنا سابقا" يقطع حبل الأفكار السلبية .. يخلص النفس البشرية من التوتر والقلق في ذلك الحين ، يساعد على الدخول في مرحلة الألفا .. مرحلة التعلم المثالية .. يهيئ العقل لاستقبال آيات الذكر الحكيم ..يصفي الذهن من التشتت ..يزيد نسبة تركيز الامن يقوي الذاكرة ...

كل تلك الأمور مهمة جدا إذا أردنا أن نحفظ بزمن قياسي ونسترجع الآيات بطريقة أفضل من الطرق التقليدية

يمسك المصحف 45 درجة أعلى يسار العين اليسرى بحيث يكون الوجه مستقيم ولكن العين تكون ناظرة أعلى اليسار (موقع التذكر البصري) بالنسبة لمن يكتب بيده اليسار فيمسك المصحف 45 درجة يسار العين اليمنى ، هذه الوضعية تتيح للعين تذكر واسترجاع الصفحات بطريقة بصرية أفضل، مثلا تذكر لون حائط المدرسة التي كنت تدرس فيها.. سترى عينك تتوجه لليسار حتى تتذكر.

لا تنسى أن تتنغم بصوتك عند القراءة الأولى للسطر , إن تنغم الصوت له أثر كبير في الحفظ .

استخدامك يدك اليسرى في رفع المصحف ولا تتجه بوجهك نحو اليسار , الوجه يبقى في وضعيه الاستقامة ولكنها العين هي التي تتجه أعلى اليسار.

لا أحبذ مسك المصحف بالطريقة التقليدية .. والتي غالبا ما يكون المصحف أسفل الوجه .. عندها يكون الإنسان معرضا للحديث مع نفسه (نحن نتكلم مع أنفسنا 5000 كلمة في اليوم) والكلام مع النفس يؤدي إلى السرحان وإلى التشتت وانشغال العقل بغير الحفظ مما يبطئ عملية الحفظ بصورة كبيرة ...نأخذ السطر الأول إذا المعنى اكتمل. إذا لم يكتمل أزيد كلمة أو أنقصها حتى يكتمل المعنى. أقرأ بصوت شجي أسمعه ، وخذ راحتك ، كل ما كان الصوت أعلى كان أفضل ،ويكون الصوت مرة طالع ومرة نازل، الآن خذ نفس عميق ، ثم أغلق المصحف، وانظر جهة الأحاسيس عكس الاتجاه تماما أسفل ولهذا هو موضع

النظر في الصلاة مكان السجود ، هذا الموضع يستجلب مشاعر الخشوع والطمأنينة.

خلاص الآن حُفظ السطر.. مرة واحدة تقرأها ومرة تسمعها.. وعندك يقين بأنها حفرت في الذاكرة.

بعد حفظ السطر الأول نشرع بحفظ السطر الثاني كما فعلنا بالسطر الأول.

بعد الانتهاء من حفظ السطر الثاني , يتم تسميع السطر الأول والثاني معا قبل الانتقال إلى السطر الثالث وذلك لربطهما معا ...فالقاعدة في هذا الباب تقول : ربط الآيات بعضها البعض مقدم على حفظ آيات جديدة ، الربط أهم من الحفظ الجديد ، وتكون وضعية الرأس إلى أسفل مغمض العينين حاضر القلب .

يشرع بحفظ السطر الثالث على حده ، ثم يتم تسميع السطر الأول والثاني والثالث معا ، وهكذا مع جميع الأسطر. تنبيه هام : - عند توقفك عن آية بسبب نسيانها فلا تفتح المصحف إلا بعد إحدى الخطوتين :

1- حاول تذكر صورة المه صحف وذ لك بأن تو جه عيذ يك نحو أ ع لى اليسار,(تذكر بصري).

2- حاول تذكر الصوت وذلك بأن توجه عينيك نحو منتصف اليسار (تذكر سمعي).

إذا لم تجد تلك الخطوات نفعا ، يمكنك بعدها أن تفتح المصحف لتذكر الآية .. مهم جدا أن لا تعوّد عقلك على فتح المصحف ...إن كل كلمة في المصحف محفورة في العقل اللاواعي وآلية استرجاعها ليست بالصعبة إذا تعلمنا كيف نخاطب عقولنا بطريقة أفضل ..

كلما تقاعست عن حفظ كتاب رب العالمين ، عليك بتخيل مراتب ودرجات حفظة القرآن الكريم .. قل لنفسك لماذا زهدت فيما عند الله؟ هل فعلا أستحق لقب أهل الله وخاصته ؟ ألا أريد الشفاعة يوم القيامة؟- قم وانتفض ، واستعذ بالله من الشيطان الرجيم فإنه يسير على من يسره الله عليه، ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾..﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ

ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾.. تقرأ كتاب أو أخبار .. استشعر أحسن الحديث.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (استشعر الشفاء) علاج للتوتر ولأمراض العصر.

أيضا" من أسرار الحفظ: الاسترخاء (التهيئة النفسية) فهو :

- ☑ سر من أسرار التعلم الحديث .
- ☑ سر من أسرار الحفظ السريع .
- ☑ سر من أسرار التفكير الإبداعي.
- ☑ سر من أسرار اتخاذ القرار الفعال .

لا تحفظ إلا وأنت في حالة من الاسترخاء والهدوء النفسي ...إننا للأسف نقضي معظم أيام تعلمنا ومذاكرتنا ونحن متوترين ، ونحن في أقصى حالات القلق في أعلى درجات الضغط النفسي ولهذا السبب فنحن لا نستخدم قدراتنا

العقلية حيث تطغى حالة التوتر والمشاعر السلبية على قدرتنا للحفظ والتعلم والمذاكرة الفعالة .

ننتقل الآن إلى موجات المخ: فإن للمخ أربع موجات ، أو إن شئت أن تسميها ذبذبات، وتمثل السرعة واليقظة التي يكون عليها المخ . حيث يمر المخ بأربعة مراحل من التركيز:

المرحلة الاولى : مرحلة البيتا:

مرحلة تمتاز بالإدراك الواعي فالعقل في أهبة الاستعداد ، متحفز تماما للدفاع عن النفس .. لأي خطر .وبالتالي فان العقل في قمة التوتر والتشتت و كثرة الأفكار حيث تبلغ سرعة ذبذبات المخ من 18 إلى 40 شوطا في الثانية .ونخلص بأنه لا تصلح هذه المرحلة إطلاقا للحفظ أو المذاكرة أو حتى اتخاذ القرارات ، هذه المرحلة تتأثر كثيرا بالأفكار السلبية والتحدث مع الذات السلبي ، لذلك فإن معظم قراراتنا خاطئة لأننا نتخذها في هذه المرحلة .

وكذلك فإن حفظنا يتسم بالبطء، لأننا للأسف نحفظ ونتعلم في هذه المرحلة عالية التوتر والقلق .

المرحلة الثانية: مرحلة الألفا:

مرحلة تتصف بالاسترخاء والهدوء النفسي ..تتصف بالسكون .. بالخشوع.. بالاطمئنان .. والتأمل الجميل .. إننا نصل إلى هذه المرحلة بطريقة طبيعية عدة مرات في اليوم فمثلا :

عندما تخشع في الصلاة وتستحضر ما تقرأ ... فالقلب حاضر والنفس مطمئنة.

عندما تشرع في النوم ... فالإنسان يرخي جميع عضلات جسده وأفكاره .

عندما تستمع إلى موعظة أو خطبة مؤثرة تدمع لها العين .

عند قراءتنا للقرآن بتدبر وتمعن.

إن مرحلة الألفا هي المرحلة التي تمكننا من الحفظ والتذكر السريع ...

إن مبادئ التعلم الحديث تقوم على استخدام قدرات الإنسان في مرحلة الألفا ، فالعقل في تلك المرحلة يتصف بصفاء الذهن وحضور القلب واطمئنان النفس .

المرحلة الثالثة : مرحلة الثيتا:

مرحلة رائعة أيضا تتصف بالاسترخاء العميق ، يدخلها الإنسان بصوة طبيعية عند نومه وقد تستمر إلى بعض الوقت (بعض الدراسات تقول أول 45 دقيقة) بحيث لا يعي ولا يسمع ما يحدث في العالم.

المرحلة الرابعة: مرحلة الدلتا :

نسميها الموتة الصغرى ، فهي مرحلة عميقة من النوم لازلنا نجهل الكثير من أسرارها.

- الآن قبل أن نبدأ الحفظ يجب أن نعود أنفسنا على الاسترخاء الجميل وندخل في مرحلة الالفا ....ولكن كيف ؟ - السر في التنفس العميق ، وما هو التنفس العميق ؟

التنفس العميق:

إننا للأسف لا نحسن التنفس بطريقة صحيحة ، ومعظمنا يتنفس بسرعة و من أعلى الصدر ما يسمى بالتنفس السطحي.. تنفس التوتر ، أتريدون أن تعرفوا السر الحقيقي وراء تأثير التنفس العميق على التركيز والذاكرة ؟ - إليكم الآتي :

- في المعدل الطبيعي يفكر الإنسان في اليوم 60 الف فكرة ، المشكلة ليست في كثرة الأفكار ، ولكن في نوعيه تلك الأفكار ، للأسف فإن أكثر من 80% من تلك الأفكار سلبية ...أفكارنا للأسف تقودنا للتوتر والقلق والخوف والحزن ...ندم على الماضي ، أو قلق على المستقبل ، في تلك الأثناء نخسر وقتنا الحالي ..تلك الأفكار هي السبب الرئيسي للأمراض النفسية ، وكثير من الأمراض العضوية ؛ لأن التفكير السلبي وما يتبعه من توتر وقلق يمنعنا من التعلم .

في لحظة التنفس العميق يتوقف فيها التفكير السلبي ، و يتم تفريغ العقل من تلك الأفكار ومن ثم يهيئ العقل لاستقبال ما هو آت من غير تشويش أو

قلق أو توتر ، فالعقل في أتم الاستعداد لاستقبال المعلومات فتمكن من حفظ الصفحة من القرآن في سبع دقائق أو أقل ، وإنه لتتميز تمارين الاسترخاء بخاصية مهمة جدا فدائما الزفير أطول من الشهيق ،فالزفير يكون ببطء شديد ، ويستحب أن يخرج الهواء من الفم...

وقد تعلمت التمرين الآتي من الدكتور إبراهيم الفقي:

وهو من أسرع التمارين للتحضير للدخول في مرحلة الألفا ، حيث يأخذ الإنسان الشهيق لمدة ثانيتين ، ثم يحبس الهواء لمدة ثانية ، ثم يخرجه بالزفير من الفم لمدة 4 ثوان .

إن هذا التنفس يشعرك بالاسترخاء، وسريعا يمكنك أن تستخدم مضاعفاته مثلا: 4216، فتأخذ الشهيق لمدة 4 ثوان تحبس الهواء لمدة ثانيتين ، وتقوم بالزفير لمدة 16 ثانية .. السر في أن يكون الزفير ببطء شديد ، وأطول من المدة التي تم أخذ النفس بها عن طريق الشهيق .

إن تكرار هذا التنفس 7 إلى 10 مرات يهيئك للدخول في مرحلة الألفا ...

فالتمرين يأخذ دقيقة إلى دقيقتين، وصفته على هذا الوجه : - نفس عميق. زفير بطيء من الفم.. - نفس عميق. زفير بطيء من الفم.. - نفس عميق. زفير بطيء من الفم..

حتى الصلاة افعل فيها هذا التمرين وفي أثناءه تذكر نعم الله عليك وتذكر من ستقابل.

وإليكم تلكم المعلومة النفيسة فدراسات الذاكرة تقول " كل حدث في حياتنا

يحفظ في العقل اللاواعي في المخ "

تخزن بالصوت والصورة والحواس الخمس ...التذوق والشم والأحاسيس كل حدث في حياتنا حفظ. فإننا إن تساءلنا - كم واحد قرأ القرآن ولو لمرة واحدة في حياته؟

الكل قرأه.. كل قراءة قرأتها تم تخزينها.. كل حرف كل كلمة كل سطر..

فكل واحد منا حافظ لكتاب الله لكن عليه أن يسترجع هذا الحفظ ، ألا تلاحظون إذا أخطأ الإمام في صلاة التراويح ننتبه للخطأ مع أننا نكون غير حافظين للسورة التي يقرأها.

إذن معناه أنا حافظ .. إذن البشرى السارة هي أننا كلنا حفظة لكتاب الله ... الله أكبر نحن حفاظ.. ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ هذا هو الفرح الحقيقي. وتلكم معلومة أخرى نفيسة : فإنه يحدث التذكر في أقل من جزء من ألف من الثانية، الجزء من الألف من الثانية هو كل الوقت الذي تستغرقه العناصر التي تشكل الذاكرة وهي الرؤية والصوت والشم والانفعال، هذا التذكر يستمر إلى الأبد.

إن التلفاز ووسائل الاعلام والاجهزة الحديثة أثرت سلبا" على التركيز وذهبت الفطرة السليمة التي من خلالها يتم الحفظ من أول مرة، ولقد كان السلف والتابعون يحفظون القرآن والأحاديث من أول مرة لأن فطرتهم سليمة، كتب محفوظة في الصدور وليس في السطور ، فهذ الإمام النووي يقول : " أول العلم حفظ كتاب الله "

سر وقاعدة هامة: المراجعة : المراجعة الدائمة تثبت الحفظ بل هي أهم من الحفظ ، بل إني لأقول المراجعة هي الحفظ ، ففي الحديث عند مسلم عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم –(تَعاهَدُوا هذا القُرْآنَ، فَوا لذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ لَهو أشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإبِلِ في عُقُلِها). وَلَفْظُ الحَدِيثِ لابْنِ بَرَّادٍ.

إننا حال كوننا مع القرآن الكريم لفي رحلة تستمر من المهد إلى اللحد، رحلة تستمر إلى آخر لحظات حياتنا ، ورفيق الدرب في هذه الرحلة " القرآن الكريم" ، ومراجعته هي صمام الأمان لتلك الرحلة.

إننا بعد سماعنا لمعلومة ما ، أو مشاهدتنا لعرض ما ، أو حفظنا لدرسنا ننسى 80% من ذلك الموضوع أو ذلك الدرس خلال ساعة إلى 24 ساعة ... اقرأ العبارة مرة ثانية ،فمثلاً : بعد حفظنا للصفحة من القرآن خلال جلسة ما في أقل من يوم سوف يصعب علينا استرجاع 80% من ذلك الحفظ . والسبب في ذلك بسيط جدا , وهو أن عقل الإنسان يعمل بمبدأ الأولويات ، فمثلاً عند الحفظ يكون العقل موجهاً" توجيها كليا" للحفظ ، وعند تركه والانشغال بغيره ،

فالعقل البشري يرى أن الأولويات الآن ليست للحفظ وإنما لمشاغل أخرى فيقوم بتجهيز ملفات أخرى لكي تتعامل مع الظروف الجديدة ، وملف الحفظ يتأخر قليلا" ..هذه القاعدة يجب الانتباه لها وتأملها طويلا ..إنك إذا قضيت ما يربو عن 45 دقيقة في حفظ الصفحة أو قضيت 5 دقائق فبعد ساعة إلى يوم سوف تنسي 80% من ما حفظته .ولذلك كنت أقول مراراً وتكراراً "

لا تستغرقوا وقتاً طويلاً في بادئ الأمر في حفظ الوجه من المصحف ، الحفظ يثبت بمراجعة ما تم حفظه مراراً وتكرارًا"...

1- **المراجعة الخماسية:** عند حفظنا لوجه من المصحف مثلاً - أو حفظ أي معلومة أو استذكار درس للمرة الأولى - فهناك خمس مراجعات يجب أن تتم حتى يثبت الحفظ وينتقل إلى الذاكرة طويلة المدى ،

ويصبح الحفظ على اللسان :

- المراجعة الأولى بعد ساعة من الحفظ .

- المراجعة الثانية بعد يوم من الحفظ.

- المراجعة الثالثة بعد اسبوع من الحفظ .

- المراجعة الرابعة بعد شهر من الحفظ.

- المراجعة الخامسة بعد 3 أشهر من الحفظ.

بعد خمس مراجعات المعلومة تنتقل إلى الذاكرة طويلة المدى وتصير المعلومة تلقائية وتكون حاضرة للاسترجاع في أي وقت ، وهذه الطريقة عامة ويصلح تطبيقها على كل ما يراد حفظه ،

وإني لأنصح الطلبة والطالبات على أن يتبعوا هذه القاعدة في دراسة المواد المدرسية ، بحيث يقضوا أوقات متباعدة بين المراجعات لتثبيت المعلومات .

2- المراجعة السباعية:

ولقد قمت بتعديل القاعدة السابقة لكي تتناسب أكثر مع شدة تفلت القرآن على النحو الآتي :

ووسمتها " **المراجعة السباعية كأئمة الحرم**":- احرص على مراجعة الصفحة على الأقل سبع مرات ،فعند حفظك لوردك اليومي (مثلاً صحفة في اليوم) -

وإني دوما أقترح أن يتم الحفظ أول الصباح ، ففي الحديث في مجمع الزوائد، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم – قال : { اللهمَّ بارِكْ لِأُمَّتِي في بُكورِها }.

وفي روايةٍ { بورِكَ لأمِّتي في بكورِها}و فيه علي بن عابس وهو ضعيف .أخرجه أبو يعلى (5406)، والعقيلي في ((الضعفاء الكبير)) (244/3)، والطبراني (257/10) (10490) والرواية: أخرجها أبو يعلى (5409).

وإليكم هذه القاعدة المهمة:" حدد وقتاً معيناً دائماً للحفظ وقتاً مقدساً لا يمسه أي ظرف" فإنك إذا ما حددت وقتاً للحفظ فلن تحفظ ، ثم بعد الانتهاء من الحفظ راجع ، "خذ وقتا" وراجع حفظك قبل مرور ساعة على حفظك. اقرأ بحفظك الجديد في الصلوات وفي كل حين ، مثلاً عند انتظارك إشارات المرور .. عند انتظار طبيب الاسنان .. عند انتظارك للصلاة ..وهكذا، لكن أهم تلك المراجعات الثلاثة التالية:

1- **أول مراجعة وتكون قبل مرور ساعة على الحفظ** : لا تترك حفظك الجديد لأكثر من ساعة بدون مراجعة ، فإن هذه المراجعة لها كبير الأثر في تثبيت الحفظ .

2- **قبل النوم:** إن من أهم المراجعات للحفظ مراجعة قبل النوم، فقبل نومك احرص كل الحرص على أن تكون مراجعة حفظك همك الأول , ولا تنم إلا وأنت قد راجعت الحفظ ، حتى يتسنى للعقل اللاواعي تكراره وتخزينه طوال مدة النوم وعند استيقاظك ستجدها حاضرة لك ان شاء الله .

فإن الدراسات أثبتت أن للنوم خاصية عجيبة في تثبيت الحفظ ، ففي إحدى الدراسات تم تقسيم مجموعة من الأطفال إلى مجموعتين ، وتم إعطاء كل مجموعة 100 معلومة للحفظ ومن ثم ذهبت المجموعة الأولى للعب ، وذهبت المجموعة الثانية للنوم ، وعند انتصاف اليوم أقيم اختبار وكانت النتيجة أن وجدوا أن المجموعة التي ذهبت للعب استرجعت ما يقارب ال15 معلومة فقط، وأما المجموعة التي ذهبت للنوم فقد تمكنت من استرجاع 56 معلومة فاستنتجت الدراسة بأن النوم بعد المذاكرة من أهم عوامل تثبيت الحفظ .

3- **عند الاستيقاظ من النوم :**

أيضاً تلك من أهم المراجعات ، فلا تبدأ بحفظك الجديد دون مراجعة حفظ اليوم السابق ، إن المراجعة بعد يوم من حفظ المعلومة من أهم الأمور التي تعين على التذكر الطويل المدى .

يجب أن لا تقل عدد المراجعات لذلك الحفظ عن 3 على أقل تقدير ، مع الانتباه إلى ضرورة سماع الآيات طوال اليوم عن طريق الأشرطة أو الCD ، فالأفضل سماع حفظ الاسبوع طوال ذلك الأسبوع ، فإذا افترضنا أننا سوف نحفظ خمس صفحات في ذلك الأسبوع فإننا سوف نسمع تلك الصفحات طوال الوقت، حيث إنه من ضمن الأمور المجربة أن سماع الآيات يقوي ويثبت الحفظ أيضا.

4- **المراجعة الأسبوعية :** ويفضل أن تكون يوم إجازة - يوم مخصص لمراجعة الاسبوع - ،والأفضل أن يتم تسميع حفظ الأسبوع في حلقة للحفظ، فالحفظ مع الجماعة والتواصي بالحفظ الأسبوعي له أكبر الاثر في الصبر على الحفظ واستمراره (فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية) وفي الأحكام الصغرى

لعبد الحق الإشبيلي أن عرفجة بن شريح أو ضريح أو شريك قال : (رأيتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وهو على المنبرِ يخطبُ النَّاسَ فقال : إنَّها ستكونُ بعدي هنَّاتٌ وهنَّاتٌ ، فمن رأيتموه فارق الجماعةَ أو يريدُ تفريقَ أمرِ أمَّةِ محمَّدٍ كائنًا من كان ، فاقتُلوه فإنَّ يدَ اللهِ على الجماعةِ ، وإنَّ الشَّيطانَ مع من فارق الجماعةَ يركُضُ) أشار عبد الحق الإشبيلي في المقدمة أنه صحيح الإسناد.

- ثم إن الدراسات تقول : إذا شعر الانسان أنه يوجد من يراجع جودة عمله يتحسن أدائه من 20% إلى 80%.

5- **المراجعة الشهرية** : لا ينبغي لذي لب حاذق يدرك قيمة هذه النعمة الكبيرة نعمة حفظ القرآن لكريم أن يترك الحفظ القديم لأكثر من شهر من غير مراجعة ، لذلك أقترح أن يخصص يوم الجمعة لمراجعة الحفظ القديم ،وإذا زاد مقدار الحفظ عن عدة اجزاء فقسمه على أكثر من جمعة .

6- المراجعة السنوية: رمضان شهر المراجعة السنوية فرمضان شهر القرآن قال الله تعالى :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ فالمراجعة الدائمة هي المفتاح لتثبيت الحفظ ... المراجعة الدائمة .. ما حيينا ..

سر آخر :" حدد هدفا" وضع خطة" إذا فشلت في التخطيط فقد خططت للفشل "

إن أهم الأمور التي تعينك على تحقيق حلم حياتك بحفظ كتاب الله هو أن تضع خطة واضحة للحفظ. فمعظمنا للأسف لا يحسن التخطيط ، بل إن أكثر من 97% من البشر ليس لديهم خطة مكتوبة لأهدافهم في الحياة ..فإنه عند كتابة الهدف 90% سيتحقق بإذن الله ، وبالنسبة لحفظ القرآن الكريم فإن وضع هدف واضح وخطة واضحة تتطلب الأمور الآتية :

" يجب أن يكون الهدف إيجابا " أي لا يصاغ بصيغة النفي فمثلاً ، يمكن أن يكون الهدف

" أريد أن أحفظ القرآن الكريم" وليس مثلاً " أريد أن لا أنسي القرآن الكريم " .

يجب أن يكون في الوقت الحاضر ، بمعنى آخر عند صياغة هدف ما يجب عدم استخدام كلمة سوف أو حرف السين قبل الفعل فمثلا " لا تقل سوف أحفظ القرآن الكريم ولكن قل "أنا أحفظ القرآن الكريم" أو" أنا أحفظ القرآن يوميا " أو " أنا بصدد حفظ القران الكريم" فكلمة سوف تسوف تحقيق الهدف ، وتصبح كل يوم تقول سوف أحفظ ، وبعد شهر تقول سوف أحفظ وهكذا... فالعقل اللاواعي لا يدرك أهمية الهدف ما دام بصيغة المستقبل .

لماذا تريده ؟

بدأنا هذا الفصل بسؤال وهو : لماذا تريد حفظ كتاب الله ؟

إذا لم تكن الأسباب قوية وعظيمة فلن يتم تحقيق الهدف ، وأوردت الكثير سابقا عن درجات ومنازل الحفاظ وذلك ليزداد استشعارنا بأهمية الموضوع.

" حدد النتيجة بالتحديد ":- ماذا سوف ترى وتسمع وتشعر عندما تحقق الهدف ؟

ارسم صورة في منتهى الجمال لشخصك وأنت في أبهى وفي أجمل صورة عندما تحقق الهدف وصفته أنه يمكن قياسه وبالنسبة لحفظ القرآن الكريم من السهل قياسه بحيث أننا لاحقا" سنحدد وردا يوميا للحفظ يمكن من خلاله قياس تحقيق ذلك الهدف ..

"حدد الوقت ": فالهدف من غير تحديد وقت الانتهاء منه هو مجرد وهم، كل هدف يجب أن يربط بفترة انجازه والانتهاء منه ، يجب عليك من الآن أن تحدد المدة التي سوف يستغرقها حفظ كتاب الله.

"يجب أن يكون الهدف ذاتيا" : يجب أن يكون نابع من ذات الشخص ،ليس هدفا لإرضاء والديك أو المجتمع أو الأسرة .

" حدد الموارد التي تريدها والعوائق التي سوف تقابلك " : فالهدف من غير عائق لتحقيقه ليس هدفا حقيقيا ، وإنما سميت أهدافا واحلاما لأنها صعبة المنال ، وحتى نكون واقعيين أكثر يجب أن نتوقف قليلا قبل البدء في الحفظ وذلك لكي نحدد العوائق والصعاب التي ممكن مواجهتها ، ومن تلك الموارد .. الصحبة الصالحة والتسميع لدى حلقة أو شيخ كما سوف نذكر قريبا.

" حدد تأثير تحقيق الهدف على البيئة المحيطة ": وبمعنى آخر انتبه أن تفرط في حقوق من حولك وأنت منهمك وأنتِ منهمكة في حفظ كتاب الله , حفظك لكتاب الله لا يقتضي هجرك للدنيا واعتزالك عن العمل ، يجب أن لا تتأثر البيئة المحيطة بك ، لحقوق الأشخاص القريبين منك ....و أعمالك اليومية ... وصحتك ... وتمارينك الرياضية ... يجب أن لا تتأثر بتحقيقك لهذا الهدف .

" كتابة الهدف في كل مكان " : سر آخر من أسرار تحقيق الاهداف واستنهاض قدرات العقل اللاواعي , أكتب هذا الهدف في كل مكان ، أكتب أنا أحفظ القرآن الكريم بأذنه تعالى في كل مكان يصل إليه ناظريك ، الآن أكتب في ورقة جميع الأسباب التي دفعتك لحفظ كتاب الله ..هذه الورقة ستكون معك .. لا تفارقك ليل نهار .. قم بقراءتها على الأقل 10 مرات يوميا" " اقرأها صباحا ومساء" حتى تتشبع نفسك وجوارحك بهذا الهدف .

أيضا قم بعمل لوحة أكبر من تلك القصاصة والصقها على باب غرفتك ، وأخرى على مكتبك ، وثالثة على مقود سيارتك ، وأخرى على جهاز الكمبيوتر حتى يختلط هدفك بلحمك وعظمك.. أكتبها وألصقها في كل مكان حتى لا

ينفك هذا الهدف عن مخيلتك ..ضعها خلفية في جوالك.. على سطح مكتب حاسوبك ، إن لهذه العملية أعظم الأثر في ترسيخ الهدف في أعماق العقل اللاواعي حتى يصبح تحقيق هذا الحلم سمة رئيسية من سمات شخصيتك

من العوامل المساعدة على الحفظ:

- الفهم طريق الحفظ.
- اختيار وقت الحفظ .
- القراءة في النوافل.
- القراءة في كل آن.
- تحديد نسبة الحفظ كل يوم.
- لا تجاوز سورة حتى تربط أولها بآخرها لا بد وأن تراجع السورة كاملة بعد ختمها.
- كافئ نفسك بعد حفظ كل جزء...امدح نفسك.. اهدي نفسك شيء تحبه.. وكل ما كان انجازك أكبر اجعل المكافأة أكبر..
- التزم بحلقة للحفظ أو التسميع لدى شيخ حافظ او مجموعات حفظ.

- اغتنم المواسم: العطل والإجازات ... رمضان.. الخ.
- لا تجاوز مقررك اليومي حتى تجيد حفظه تماماً
- الدعاء وخاصة في أوقات الإجابة.
- العناية بالمتشابهات.. ومن وازع تجربتي فإني أنصح بعدة كتب أفادتني كثيراً جداً وسأقوم بتجليتها لكم وهي على النحو التالي :

- الآيات المتشابهات : التشابه اللفظي للآيات " حكم وأسرار - فوائد وأحكام "

- الإيقاظ لتذكير الحفاظ بالآيات المتشابهة الالفاظ .
- المتشابهات من كلمات القرآن .
- دليل الحفاظ في متشابه الألفاظ .
- دليل الطلاب إلى متشابه الكتاب .
- دليل المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم .
- كشف المعاني في المتشابه من المثاني .

- متشابه القرآن العظيم .

- إغاثة اللهفان في ضبط متشابهات القرآن.

- معجم المتشابهات لألفاظ القرآن الكريم للزواوي.

- متن " هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب "الموسومة بالسخاويّة".

- احرص على الغذاء الصحي
- مارس الرياضة: فإن العقل السليم في الجسم السليم ، واللياقة البدنية تزيد اللياقة الذهنية ، والرياضة تقلل من فرص الإصابة بالسرطان وتقلل الإصابة بالسكري ، وأيضا الرياضة للأطفال تؤدي إلى توسيع الآفاق في القراءة والكتابة والحساب ،الرياضة مهمة ؛ لأنها تزيد القدرة الذهنية وتحفز الذاكرة وتقاوم مظاهر تقدم العمر.

قاعدة مهمة: تحتاج في اليوم للمشي 10آلاف خطوة أو 31 دقيقة جري، فـ10 آلاف خطوة تساوي مشي 4 كيلومتر وتحتاج تقريبا" ساعة و 45 دقيقة" في

المعدل الطبيعي الإنسان يمشي بدون ما يركز 3 آلاف الى 5 آلاف خطوة (دون أن يشعر) يبقى الخمسة آلاف الأخرى اجتهد عليها..

طريقة الحفظ بالاستماع:

- اقسم المصحف أجزاء وسور.
- اختر أكثر من قارئ بأصوات جميلة.
- إذا كانت نهايات آيات السور مختلفة يجوز اسمعهم لنفس القارئ.
- إذا سمعت الوجه من المصحف 20 الى 30 مرة ستحفظ بالسماع دون الرجوع إلى المصحف.
- اختيار قراء سريعين وصوتهم مميز مثل: الشريم، والسديس، وسعد الغا مدي ، وعبدالله الخياط، ومحمد أيوب، و العجمي، والجهني، والمعيق لي، والقحطاني، والثبيتي ، وعلي بن مو سى العسيري ، وأسامة الغانم..

- اسمع كل سورة بقارئ مختلف لكن إذا كانت نهايات السور مختلفة مثل سورة مريم وطه والأنبياء اسمعهم بنفس الصوت مثل السديس حتى إذا سمعنا الآية نعرف في أي سورة من الصوت نفسه

وبذلك تجتاز تحدي المتشابهات ، وتحدي ربط الآية بالسورة.

- عند تحديد 5 أوجه لحفظهم خلال الأسبوع اختر قارئ معين واسمع هذه الأوجه خلال الأسبوع من 20 إلى 30 مرة ستجدون أنفسكم حافظين و بدون الرجوع للمصحف والمراجعة تكون أسهل بكثير والحفظ أقوى بكثير، والتجارب خير دليل.

- إذا لم تجد وقت للحفظ خصص وقت للاستماع وستحفظ بإذن الله تعالى ، بإذن الله نختم القرآن ونفوز بمعركتنا مع الشيطان ،" لا تيأس ... لا نتوقف أبدا ... لا نتقاعس " .

وإذا تقاعست في يوم عوض في اليوم الذي يليه حافظ على صحبة الصالحين الحفاظ القراء

حافظ على حلقات الحفظ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه.

بين الجوانح في الأعماق سكناهُ فكيف أنسى ومن في الناس ينساهُ

وكيف أنس حبيباً كنتُ من صغرى أسير حسنٌ له جلت مزايـاهُ

هذا الحبيبُ هو القرآنُ عشتُ له منذُ الصبا وأنا ولهان أهواه

ولم أزل أرتجي حسن الختام به عـساه يشفع لي في يوم ألقاهُ

التزم السرية أثناء الحفظ لكي لا يدخلك الغرور بنفسك. اشكر الله على نعمة الحفظ ، وكلما حفظت احمد الله وأطلب المزيد منه.

عليك باستمرارية دون انقطاع ودون تسويف ودون ترحيل للمحفوظ ودون ملل من السقطات والصوارف ،فالسقطات والشعور بالإحباط طبيعي لكن المشكلة حين يصاحب سقوطك شعور بالفشل ، شجع نفسك على المثابرة وحب التحدي ومواجهة الأمور واعلم أنك قادر على مواجهة المصاعب والسيطرة عليها، فهذا أمر سيمر بكل مريد للحفظ وهو أمر وارد وليس هناك نجاح بدون هذه السقطات فلا جزع من السقوط ولا تلكؤ ولا مانع من طلب المساعدة

من الغير, المهم بقاء العزيمة والصدق مع الله والثقة بالنفس بعد توفيق الله تعالى والشعور بالحاجة له تعالى ،وبعونه مع الاستمرار، وأخص الاستمرار بالذكر لأنه مطلب أساسي في إنجاز هذا المشروع الضخم- أعظم مشروع في الحياة- ستصل إلى مرامك ويتبلغ بغيتك بإذن الله، والزم الحفظ على التدريج، فالحفظ اليومي المنتظم خير من الحفظ المتقطع، والحفظ البطيء الهادي أفضل من السريع المندفع، ومما يُروى عن الزهري أنه قال:" من طلب العلم جملة فاته جملة ، وإنما يدرك العلم حديث وحديثان".

مهما أعطيت من وقتك للقرآن فلن ينقص هذا الوقت! بل على العكس ستكتشف دائماً أن لديك زيادة في الوقت.

أي أننا لو أنفقنا كل وقتنا على سماع القرآن فسوف نجد أن الله سيبارك لنا في هذا الوقت وسيهيئ لنا أعمال الخير وسيوفر علينا الكثير من ضياع الوقت والمشاكل، بل سوف تجد أن العمل الذي كان يستغرق معك عدة أيام لتحقيقه، سوف تجد بعد مداومة سماع القرآن أن نفس العمل سيتحقق في دقائق معدودة!!

الباب السابع
كيف كان الصحابة يحفظون القرآن

كَيْفَ كَانَ الصَّحَابَةُ يحْفَظُونَ الْقُرآنَ الْكَرِيمَ

مع اهتمام الصحابة الشديد بالقرآن، والحرص على تلاوته كل يوم، والإكثار من مدة المكث معه، إلا أن هذا لم يدفعهم للإسراع في حفظ الآيات ، باعتبار أن من أهم أهداف التلاوة هو الزيادة المستمرة للإيمان، وتوليد الطاقة الدافعة للعمل، وفي نفس الوقت فإن هدف الحفظ يختلف، فالذي يحفظ ألفاظه لابد وأن يدرك معانيه ، ويعمل بما تدل عليه حتى يُصبح حاملاً حملاً صحيحًا لهذه الألفاظ ولا يكون ممن عناهم الله عز وجل بقوله: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ﴾ [الجمعة: 5].

لذلك نجد التمهل وعدم الإسراع هو سمة الصحابة في حفظ القرآن، وليس أدل على ذلك من قول أبي عبد الرحمن السُّلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا العلم والعمل جميعًا ، وزاد في رواية

الفريابي: وأنه سيرث القرآن من بعدنا قوم يشربونه شرب الماء لا يجاوز هذا، وأشار بيده إلى حنكه.

لقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم- يدركون قيمة القرآن وأنه ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝ ﴾ [المزمل: 5]

- يقول عبد الله بن عمر: كنا صدر هذه الأمة وكان الرجل من خيار أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ما معه إلا السورة من القرآن أو شبه ذلك، وكان القرآن ثقيلاً عليهم، ورزقوا العمل به، وإن آخر هذه الأمة يخفف عليهم القرآن، حتى يقرأه الصبي والأعجمي فلا يعملون به.

ولقد أخبرهم الرسول - صلى الله عليه وسلم- بذلك حين قال: «يخرج أقوام من أمتي يشربون القرآن كشربهم اللبن» .

لذلك لما بدأ المسلمون في عصر التابعين يقبلون على حفظ القرآن بشكل مختلف عما كان يفعله الصحابة، ازداد تحذير الصحابة لهم وتخويفهم من خطورة حمل ألفاظ القرآن دون إدراك معانيه ومعرفة أحكامه، والعمل بما تدل عليه

آياته.

فقد جمع أبو موسى الأشعري الذين حفظوا القرآن في الكوفة، وكان عددهم يبلغ قرابة الثلاثمائة، فعظَّم القرآن، وقال: «إن هذا القرآن كائن لكم ذخرًا، وكائن عليكم وزرًا، فاتبعوا القرآن ولا يتبعكم، فإنه من اتبع القرآن هبط به على رياض الجنة، ومن اتبعه القرآن زجَّ به في قفاه فقذفه في النار».

وعندما جاء رجل إلى أبي الدرداء وقال له: إن ابني قد جمع القرآن، فانزعج أبو الدرداء وقال له: اللهم اغفر. إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع .

وكيف لا يقول هذا، وهو القائل: أخاف أن يقال لي يوم القيامة علمت أم جهلت؟ فأقول: علمت. فلا تبقى آية في كتاب الله آمرة أو زاجرة إلا و تسألني فريضتها. تسألني الآمرة: هل ائتمرت؟ وتسألني الزاجرة: هل ازدجرت؟!

وكان يقول:" لو أعيتني آية من كتاب الله عز وجل فلم أجد أحدًا يفتحها عليَّ إلا رجلاً ببَرْك الغماد لرحلت إليه ".

فأعوذ بالله من علم لا ينفع، ومن دعاء لا يسمع .

الباب الثامن

أفكار لتحفيظ القرآن للأطفال

أَفْكَارٌ لِتَحْفِيظِ الْقُرآنِ لِلأَطْفَالِ

الفكرة الأولى: اقرأ القرآن أمامه (غريزة التقليد) هذه الفكرة تمني عند الطفل حب التقليد التي هي من فطر الله التي فطر الإنسان عليها ، بخلاف لو أمرته وهو يراك تفعل ذلك .

الفكرة الثانية : قم بإهدائه مصحفا خاصا به (غريزة التملك) إن إهدائك مصحفا خاصا لطفلك يلاقي تجاوبا مع حب التملك لديه وإن كانت هذه الغريزة تظهر جليا مع علاقة الطفل بألعابه فهي أيضا موجودة مع ما تهديه إياه.

الفكرة الثالثة : اجعل يوم ختمه لجزء من القرآن يوما مميزا من إقامة حفلة واستدعاء لأصدقائه لتهنئته ..وتقديم هدية له .. هذه الفكرة تربط الطفل بالقرآن من خلال ربطه بشيء محبب لديه لا يتكرر إلا بختمه جزءاً معيناً من القرآن.

الفكرة الرابعة : قص له قصص القرآن الكريم فالطفل يحب القصص بشكل كبير، فليكن قصك عليه قصص القرآن مشبعاً بمفرداتٍ وأسلوبٍ تناسب وتلائم فهم ومدركات الطفل.

الفكرة الخامسة : أَعِدَّ له مسابقات مسلية من قصار السور(لمن هم في سن الخامسة أو أكثر) تلك المسابقات تكون بينه وبين إخوته أو بينه وبين نفسه.. كأسئلة وأجوبة متناسبة مع مستواه.. فمثلا يمكن للأم أن تسأل ابنها عن : كلمة تدل على السفر من سورة قريش؟ أ،- رحلة فصلين من فصول السنة ذكرا في سورة قريش؟ ج : الشتاء و الصيف ..

- اذكر كلمة تدل على الرغبة في الأ كل؟ ج: ا لجوع، أو اذكر الحيوا نات المذكورة في جزء عم أو في سور معينة ؟ وهكذا بما يتناسب مع سن و فهم الطفل.. ومن ثم تتطور في الأسئلة بما يناسب عمر وفهم طفلك .

الفكرة السادسة : اربط له عناصر البيئة بآيات القرآن من هذه المفردات: الماء / السماء / الأرض / الشمس / القمر / الليل / النهار / النخل / العنب / العنكبوت/ وغيرها. يمكنك استخدام الفهرس أو أن تطلب منه البحث عن آية تتحدث عن السماء مثلا وهكذا.

الفكرة السابعة : مسابقة أين توجد هذه الكلمة فالطفل يكون مولعا بزيادة قاموسه اللفظي. فهو يبدأ بنطق كلمة واحدة ثم يحاول في تركيب الجمل من

كلمتين أو ثلاث لتكن معينة له في زيادة قاموسه اللفظي و تنشيط ذاكرة الطفل بحفظ قصار السور والبحث عن مفردة معينة من خلال ذاكرته.

الفكرة الثامنة : اربطه بالوسائل المتخصصة بالقرآن وعلومه (القنوات المتخصصة بالقرآن، الأشرطة، الأقراص، المذياع ، وغيرها...)

الفكرة التاسعة : قم بشراء أقراص تعليمية والتي بدورها تساعد على القراءة الصحيحة ، والحفظ من خلال التحكم بتكرار الآية وغيره...

الفكرة العاشرة :شجعه على المشاركة في المسابقات (في البيت / المسجد / المكتبة/ المدرسة/ البلدة....) إن التنافس أمر طبيعي فطري عند الأطفال ويمكن استغلال هذه الفطرة في تحفيظ القرآن الكريم.

الفكرة الحادية عشر: سجل صوته وهو يقرأ القرآن فهذا التسجيل يحثه ويشجعه على متابعة طريقه في الحفظ بل حتى إذا ما نسي شيء من الآيات أو السور فإن سماعه لصوته يشعره بأنه قادر على حفظها مرة أخرى.

الفكرة الثانية عشر: شجعه على المشاركة في الإذاعة المدرسية والاحتفالات الأخرى، مشاركة طفلك في الإذاعة المدرسية - خصوصا في تلاوة القرآن- تشجع الطفل ليسعى سعيا حثيثا في أن يكون مميزا ومبدعا في هذه التلاوة .. خصوصا إذا ما سمع كلمات الثناء من المعلم ومن زملائه..

الفكرة الثالثة عشر: استمع له وهو يقص قصص القرآن الكريم ينبغي حين يقص الطفل شيئا من قصص القرآن مثلا أن ننصت إليه ونتفاعل معه ونصحح ما قد يقع منه في سرد القصة بسبب سوء فهمه للمفردات أو المعاني العامة.

الباب التاسع

القواعد العامة لضبط المتشابهات

الْقَوَاعِدُ الْعَامَةُ لِضَبْطِ الْمُتَشَابِهَاتِ

إنَّ من أعظم المنن وأكرمها ، انشغال العبد بكتاب ربه ،وتلذذه بتلاوته ، ومحبته لأهل الله وخاصته ؛ أهل القرآن والإيمان.

والانشغال بحفظ كتاب الله ومدارسته له أجر عظيم .. ومن حفظ كتاب الله ستثقل الأمانة في عنقه فبعد أن كان الحفظ مندوب إليه، أصبحت المراجعة واجبة عليك أخي الحافظ .. حتى لا يتفلت القرآن منك .. فهو أشد تفلتا من الأبل في عقلها .. كما ذكر ذلك رسولنا ﷺ..

ولكن قد تواجهك أخي وأختي ما يشكل عليك في الحفظ وتلتبس عليك الآيات لتشابهها ..

فأحببت إخواني أن أفيد نفسي أولاً وأفيدكم معي بهذه القواعد التي ستعينكم بإذن الله على إتقان حفظك ..

فهيا بنا يا إخواني نرتشف رشفة يسيرة من بحر هذا العلم ونشد من أزرنا ونتعاون معا لنصل بإذن الله لحفظ متقن لكتاب الله ..

وسأستعين الله بأن أردف بعض الأمثلة لنتدرب عليها معا راجيا تعاونكم معي ولا تيأسوا من أول عثرة ..وتذكروا أن العثرة ربما تقفز بك مسافة أطول من خطواتك المترددة ..فلا تلتفت ورائك وامض قدما للأمام ..

- نشرع الآن بالقواعد العامة والضوابط التامة التي تعين بإذن الله عز وجل على ضبط المتشابهات .

أولاً : الإخلاص لله تعالى :

- قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إنما يحفظ الرجل على قدر نيته)

- وقال ابن المبارك : (أول العلم النية) وهذا في جميع الأعمال ..

ثانيًا: كثرة القراءة والمراجعة الدائمة للقرآن الكريم:

ففي الحديث عند مسلم عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله - ﷺ -(تَعاهَدُوا هذا القُرْآنَ، فَوالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ لَهو أشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإبِلِ في عُقُلِها). ولَفْظُ الحَدِيثِ لابْنِ بَرَّادٍ.

ثالثاً: الالتزام بالقراءة في مصحف واحد:

أي طبعة محددة .. وذلك ليتسنى للمراجع حين النسيان أن يتذكر موضع الآية . والإنسان يحفظ بالنظر كما يحفظ بالسمع ..

رابعا: حضور القلب والذهن حال القراءة :

فالشرود الحاصل عند البعض سبب للتشتت وعدم الإتقان .. ويستحسن ممن نسي آية أن يعود فيقرأ ما قبلها بتدبر.. فإن ذلك ربما أذكره الآية التي نسيها ..

يقول ابن الرومي :

وتالٍ تَلا يوماً فأُنسِيَ آية ... فأعيت عليه حين رام انتهازَها

فكرَّ على ما قبلها متدبرا ... فثاب له فكرٌ فأفضى جِازَها

فشبهتُه بابن السبيل تعرَّضت له ... وهْدة فاستصعبت حين رازها

فتقهقر عنها قِيس عشرين خُطوة ... فجاش إليها جيشة فأجازها

خامساً: قراءة كتب المتشابهات وتدوين الفرائد والفوائد والنظر الدائم فيها:

فقد يسر الله لك من السابقين واللاحقين من كفاك المؤونة واختصر عليك الزمن والجهد فما عليك إلا حسن الاختيار والانتقاء الجيد للكتب ،ثم جمع هذه الفوائد والفرائد وخصوصا ما تحتاجه منها ..وأسرد إليك من وازع تجربتي عدة كتب أفادتني كثيراً جداً وسأقوم بتجليتها لك وهي على النحو التالي :

- **الآيات المتشابهات**

"التشابه اللفظي للآيات حكم وأسرار- فوائد وأحكام "

- **الإيقاظ لتذكير الحفاظ بالآيات المتشابهة الالفاظ .**
- **المتشابهات من كلمات القرآن .**
- **دليل الحفاظ في متشابه الألفاظ .**
- **دليل الطلاب إلى متشابه الكتاب .**
- **دليل المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم .**
- **كشف المعاني في المتشابه من المثاني .**

- متشابه القرآن العظيم .
- إغاثة اللهفان في ضبط متشابهات القرآن.
- معجم المتشابهات لألفاظ القرآن الكريم للزواوي.
- متن " هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تديين متشابه الكتاب "الموسومة بالسَّخَاوِيَّة ".

سادساً : الدراسة على المتقنين والإفادة من علمهم وتجربتهم:

فمن أعظم الفوائد التي ستجنيها من ذلك .. إزالة المعلم للبس الحاصل عند الطالب ..

سابعاً: الدعاء والالتجاء إلى الله بالعون والإتقان فإنه خير معين ومسؤول :

فقبل أن تطلب السبب المادي حري بك أخي أن تلجأ إلى ربك أن ييسر لك الأمر ويحببه لك ويسهله

قال مطر الوراق : (في قوله تعالى :﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ أي : فهل من طالب علم فيعان عليه)

ثامناً: ترك المعـاصي والذنوب :

فقد سئل مالك ابن انس - رحمه الله - هل يصلح لهذا الحفظ من شيء ؟؟ قال : ((إن كان يصلح له شيء فترك المعاصي !!)).

- وكتب رجل إلى أخ له : ((قد أوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم)).

وقد روى ابن المبارك عن الضحاك بن مزاحم أنه قال : ((ما من أحد تعلم القرآن فنسيه إلا بذنب يحدثه. لأن الله تعالى يقول في ذلك :﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠ ﴾ وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب)).

وإليكم الآن " جدول تفصيلي لمدرسي الحلقات وطالبي حفظ وإتقان القرآن الكريم " وهو منهجية مقترحة رمت به محاولة مراعاة أحوال الراغبين لحفظ كتاب رب العالمين ، أسأل الله العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه مقبولاً عنده بمنه وكرمه إنه جواد كريم.

الباب العاشر

جدول تفصيلي لمدرسي الحلقات وطالبي حفظ وإتقان القرآن الكريم

جَدْوَلٌ تَفْصِيلِيٌّ

لِمُدَرِسِي الْحَلَقَاتِ وَطَالِبِي حِفْظِ وَإِتْقَانِ الْقُرآنِ الْكَرِيمِ

وإليكم هذه الخطة المقترحة ، فهذا جدول تفصيلي لحفظ كتاب الله الكريم ومراجعته ، أعددته ليكون مساعداً لمدرسي حلقات تحفيظ القرآن الكريم على القيام بمهمتهم في تحفيظ طلابهم ومراقبة سير الحفظ والمراجعة على أتم وجه .

* تنبيهات مهمة حول الجدول :

1) هذا الجدول معد في الأصل للمدرسين ، لكن يستحسن إعطاء كل طالبٍ جدولَ الأجزاء الخمسة القادمة من مكان حفظه الحالي ليكون على علم بما هو مطلوب منه .

2) تمت مراعاة التدرج في الحفظ ، حيث يقوم الطالب في البداية بحفظ ما يعادل نصف صفحة يومياً ثم يتدرج حتى يصل إلى صفحة وربع تقريباً كل يوم ، حسب مرحلة الطالب وحسب صعوبة الآيات.

3) حاولت - بقدر الإمكان - أن يتناسب التقسيم مع المعاني وارتباط الآيات ببعضها .

4) لتلافي مشكلة انتقال الطالب من صفحة إلى أخرى غير التي تليها فقد تم ربط كل صفحة

(في الحفظ) بآية أو أكثر من الصفحة التي قبلها والصفحة التي بعدها .

5) بعد كل خمسة أيام من الحفظ هناك يوم لتسميع كل المحفوظ في هذه الأيام الخمسة وفي هذا اليوم يعفى الطالب من الحفظ الجديد و من المراجعة كذلك .

6) هناك اختبارات متعددة على النحو التالي :

أ/ اختبار بعد كل نصف جزء يحفظه الطالب (أو ما يعاد له في السور الطويلة).

ب/ اختبار بعد كل جزء يحفظه الطالب (أو ما يعادله).

ج/ اختبار بعد كل خمسة أجزاء يحفظها الطالب ، وبعد إكمال الطالب لحفظ القرآن الكريم يتم اختباره في الأجزاء العشرة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة ثم في القرآن الكريم كاملاً .

7) بالنسبة للمراجعة فقد تم فيها التدرج أيضاً من صفحة يومياً إلى ثلاث صفحات يومياً ، وقد تكررت مراجعة الأجزاء الخمسة الأولى (من الناس إلى الأحقاف) أربع مرات ، وتكررت مراجعة الجزئين السادس والسابع ثلاث مرات ، بينما اقتصر تكرار بقية الأجزاء في المراجعة على مرتين فقط .

8) للحصول على أفضل النتائج يفضل إلزام الطالب بتكرار المقرر عليه في اليوم (100) مرة على الأقل حتى ولو كان ذلك في غير وقت الحلقة ، ويكون التكرار بعد الحفظ .

- كما يستحسن إعطاء الطالب جائزة عند انتهائه من اختبار جزء ونجاحه في ذلك .أسأل الله العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه مقبولاً عنده بمنه وكرمه إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ولا تنسونا من صالح دعائكم.

اليوم	الحفظ		المراجعة		ملحوظات
	من	إلى	من	إلى	
1	سورتا الفاتحة والناس		-	-	
2	سور الفلق والإخلاص والمسد		سورة الناس		
3	النصر	الكافرون	الفلق		
4	الكوثر	الماعون	الإخلاص		
5	قريش	الفيل	المسد		
6	تسميع من سورة الناس إلى سورة الماعون				
7	الهمزة	العصر	النصر		

8	التكاثر	القارعة	الكافرون	
9	العاديات	الزلزلة	الكوثر	
10	البينة		الماعون	
11	سورتا القدر والتين		قريش	
12	تسميع من سورة قريش إلى سورة البينة			
13	العلق		الفيل	
14	الشرح	الضحى	الهمزة	
15	الليل		العصر	
16	الشمس		التكاثر	

17	البلد		القارعة	
18	تسميع من سورة القدر إلى سورة الشمس			
19	الفجر آية 1	الفجر آية 16	العاديات	
20	الفجر آية 17	الفجر آية 30	الزلزلة	
21	اختبار في نصف جزء عم (من الناس إلى الفجر)			
22	الغاشية		البينة	
23	الأعلى		القدر	
24	تسميع من سورة البلد إلى سورة الغاشية			
25	الطارق		العلق	

26	البروج 1	البروج 10	التين	
27	البروج 11	البروج 22	الشرح	
28	الانشقاق 1	الانشقاق 15	الضحى	
29	الانشقاق 16	الانشقاق 25	الليل	
30	تسميع من سورة الأعلى إلى آية 15 من سورة الانشقاق			
31	المطففين 1	المطففين 21	الشمس	
32	المطففين 22	المطففين 36	البلد	
33	الانفطار		الفجر	
34	التكوير 1	التكوير 14	الغاشية	

35	التكوير 16	التكوير29	الأعلى	
36	تسميع من آية 16من سورة الانشقاق إلى آية 14من سورة التكوير			
37	عبس 1	عبس 23	الطارق	
38	عبس 24	عبس 42	البروج	
39	النازعات 1	النازعات 26	الانشقاق	
40	النازعات 27	النازعات 46	المطففين	
41	النبأ 1	النبأ 20	الانفطار	
42	تسميع من آية 15 من سورة التكوير إلى آية 46 من سورة النازعات			
43	النبأ 21	النبأ 40	التكوير	

44	اختبار في نصف جزء عم (من الغاشية إلى النبأ)				
45	اختبار في جزء عم كاملاً (من الناس إلى النبأ)				
46	المرسلات 1	المرسلات 28	عبس		
47	المرسلات 29	المرسلات 50	النازعات		
48	الإنسان 1	الإنسان 18	النبأ		
49	الإنسان 19	الإنسان31	الناس	الكافرون	
50	القيامة 1	القيامة 21	الكوثر	العصر	
51	تسميع من النبأ إلى الإنسان				

52	القيامة 22	القيامة 40	التكاثر	الزلزلة	
53	المدثر 1	المدثر 31	البينة	التين	
54	المدثر 32	المدثر 56	الشرح	الشمس	
55	المزمل 1	المزمل 16	البلد	الفجر	
56	المزمل 17	المزمل 20	الغاشية	الطارق	
57	تسميع من القيامة إلى آية 16 من سورة المزمل				
58	الجن 1	الجن 9	البروج	الانشقاق	
59	الجن 10	الجن 19	المطففين	الانفطار	
60	الجن 20	الجن 28	التكوير	عبس	

61	اختبار في نصف جزء تبارك (من المرسلات إلى سورة الجن)			
62	نوح 1	نوح 16	النازعات	
63	نوح 17	نوح 28	النبأ	
64	المعارج 1	المعارج 28	المرسلات	
65	المعارج 29	المعارج 44	الإنسان	
66	الحاقة 1	الحاقة 12	القيامة	
67	تسميع من آية 17 من سورة المزمل إلى نهاية سورة المعارج			
68	الحاقة 13	الحاقة 29	المدثر	

69	الحاقة 30	الحاقة 52	المزمل	
70	القلم 1	القلم 18	الجن	
71	القلم 19	القلم 39	نوح	
72	القلم 40	القلم 52	المعارج	
73	تسميع من سورة الحاقة إلى آية 39 من سورة القلم			
74	الملك 1	الملك 9	الحاقة	
75	الملك 10	الملك 21	القلم	
76	الملك 22	الملك 30	الملك	
77	اختبار في نصف جزء تبارك (من نوح إلى الملك)			

78	اختبار في جزء تبارك كاملاً (من المرسلات إلى الملك)				
79	التحريم 1	التحريم 5	الناس	الكافرون	
80	التحريم 6	التحريم 9	الكوثر	العصر	
81	التحريم 10	التحريم 12	التكاثر	الزلزلة	
82	الطلاق 1	الطلاق 3	البينة	التين	
83	الطلاق 4	الطلاق 7	الشرح	الشمس	
84	تسميع من آية 40 من سورة القلم إلى نهاية سورة التحريم				
85	الطلاق 8	الطلاق 12	البلد	الفجر	

86	التغابن 1	التغابن 7	الغاشية	الطارق	
87	التغابن 8	التغابن 13	البروج	الانشقاق	
88	التغابن 14	التغابن 18	المطففين	الانفطار	
89	المنافقون 1	المنافقون 6	التكوير	عبس	
90	تسميع من سورة الطلاق إلى سورة التغابن				
91	المنافقون 7	المنافقون 11	النازعات		
92	الجمعة 1	الجمعة 5	النبأ		
93	الجمعة 6	الجمعة 11	المرسلات		
94	اختبار في نصف الجزء (من التحريم إلى الجمعة)				

95	الصف 1	الصف 7	الإنسان والقيامة	
96	الصف 8	الصف 14	المدثر	
97	الممتحنة 1	الممتحنة 3	المزمل	
98	الممتحنة 4	الممتحنة 7	الجن	
99	الممتحنة 8	الممتحنة 10	نوح	
100	تسميع من سورة المنافقون إلى سورة الصف			
101	الممتحنة 11	الممتحنة 13	المعارج	
102	الحشر 1	الحشر 5	الحاقة	
103	الحشر 6	الحشر 8	القلم	

104	الحشر 9	الحشر 12	الملك	
105	الحشر 13	الحشر 19	التحريم	
106	تسميع سورة الممتحنة كاملة			
107	الحشر 20	الحشر 24	الطلاق	
108	المجادلة 1	المجادلة 4	التغابن	
109	المجادلة 5	المجادلة 8	المنافقون	
110	المجادلة 9	المجادلة 12	الجمعة	
111	المجادلة 13	المجادلة 19	الصف	
112	تسميع سورة الحشر كاملة			

113	المجادلة 20	المجادلة 22	الممتحنة	
114	اختبار في نصف الجزء (من الصف إلى المجادلة)			
115	اختبار في الجزء كاملاً (من التحريم إلى المجادلة)			
116	الحديد 1	الحديد 6	الحشر	
117	الحديد 7	الحديد 10	المجادلة	
118	الحديد 11	الحديد 15	المرسلات	
119	الحديد 16	الحديد 19	الإنسان والقيامة	
120	الحديد 20	الحديد 22	المدثر	

121	تسميع سورة المجادلة كاملة			
122	الحديد 23	الحديد 26	المزمل	
123	الحديد 27	الحديد 29	الجن	
124	الواقعة 1	الواقعة 26	نوح	
125	الواقعة 27	الواقعة 56	المعارج	
126	الواقعة 57	الواقعة 74	الحاقة	
127	تسميع سورة الحديد كاملة			
128	الواقعة 75	الواقعة 96	القلم	
129	الرحمن 1	الرحمن 18	الملك	

130	الرحمن 19	الرحمن 32	التحريم	
131	الرحمن 33	الرحمن 45	الطلاق	
132	الرحمن 46	الرحمن 61	التغابن	
133	تسميع سورة الواقعة كاملة			
134	الرحمن 62	الرحمن 78	المنافقون	
135	اختبار في نصف الجزء (من الحديد إلى الرحمن)			
136	القمر 1	القمر 8	الجمعة	
137	القمر 9	القمر 17	الصف	
138	القمر 18	القمر 32	الممتحنة	

139	القمر 33	القمر 46	الحشر		
140	القمر 47	القمر 55	المجادلة		
141	تسميع سورة الرحمن كاملة				
142	النجم 1	النجم 23	الناس	قريش	
143	النجم 24	النجم 32	الفيل	الزلزلة	
144	النجم 33	النجم 62	البينة	الضحى	
145	الطور 1	الطور 16	الليل	الفجر	
146	الطور 17	الطور 28	الغاشية	البروج	
147	تسميع سورة القمر كاملة				

148	الطور 29	الطور 38	الانشقاق	الانفطار	
149	الطور 39	الطور 49	التكوير	عبس	
150	الذاريات 1	الذاريات 19	النازعات	النبأ	
151	الذاريات 20	الذاريات 34	التحريم		
152	الذاريات 35	الذاريات 46	الطلاق		
153	تسميع سورة النجم كاملة				
154	الذاريات 47	الذاريات 60	التغابن		
155	اختبار في نصف الجزء (من القمر إلى الذاريات)				

156	اختبار في الجزء كاملاً (من الحديد إلى الذاريات)			
157	ق 1	ق 11	المنافقون	
158	ق 12	ق 26	الجمعة	
159	ق 27	ق 37	الصف	
160	ق 38	ق 45	الممتحنة	
161	الحجرات 1	الحجرات 6	الصف	
162	تسميع سورة الطور كاملة			
163	الحجرات 7	الحجرات 10	المجادلة	
164	الحجرات 11	الحجرات 13	الحديد	

165	الحجرات 14	الحجرات 18	الواقعة	
166	الفتح 1	الفتح 7	الرحمن	
167	الفتح 8	الفتح 11	القمر	
168	تسميع سورة الذاريات كاملة			
169	الفتح 12	الفتح 16	النجم	
170	الفتح 17	الفتح 24	الطور	
171	الفتح 25	الفتح 27	الذاريات	
172	الفتح 28	الفتح 29	التحريم	
173	اختبار في نصف الجزء (من ق إلى الفتح)			

174	محمد 1	محمد 9	الطلاق	
175	تسميع سورتي ق والحجرات			
176	محمد 10	محمد 15	التغابن	
177	محمد 16	محمد 23	المنافقون	
178	محمد 24	محمد 31	الجمعة	
179	محمد 32	محمد 38	الصف	
180	الأحقاف 1	الأحقاف 7	الممتحنة	
181	تسميع سورة الفتح كاملة			
182	الأحقاف 8	الأحقاف 12	الحشر	

183	الأحقاف 13	الأحقاف 16	المجادلة	
184	الأحقاف 17	الأحقاف 23	ق	
185	الأحقاف 24	الأحقاف 30	الحجرات	
186	الأحقاف 31	الأحقاف 35	الفتح	
187	اختبار في نصف الجزء (من محمد إلى الأحقاف)			
188	اختبار في الجزء كاملاً (من ق إلى الأحقاف)			
	تسميع سورة محمد كاملة			

189	يعطى الطالب فرصة لمراجعة الأجزاء الخمسة التي حفظها ويتأهب للاختبار			
190				
191				
192				
193				
194	اختبار شامل في الأجزاء الخمسة (من الناس إلى الأحقاف)			
195	الجاثية 1	الجاثية 11	محمد	
196	الجاثية 12	الجاثية 20	الأحقاف	
197	الجاثية 21	الجاثية 29	الحديد	
198	الجاثية 30	الجاثية 37	الواقعة	

199	الدخان 1	الدخان 21	الرحمن	
200	تسميع سورة الأحقاف كاملة			
201	الدخان 22	الدخان 42	القمر	
202	الدخان 43	الدخان 59	النجم	
203	الزخرف 1	الزخرف 14	الطور	
204	الزخرف 15	الزخرف 25	الذاريات	
205	الزخرف 26	الزخرف 35	المرسلات	
206	تسميع سورتي الجاثية والدخان			
207	الزخرف 36	الزخرف 50	الإنسان	

208	الزخرف 51	الزخرف 62	القيامة	
209	الزخرف 63	الزخرف 76	المدثر	
210	الزخرف 77	الزخرف 89	المزمل	
211	اختبار في نصف الجزء (من الجاثية إلى الزخرف)			
212	تسميع سورة الزخرف كاملة			
213	الشورى 1	الشورى 11	الجن	
214	الشورى 12	الشورى 16	نوح	
215	الشورى 17	الشورى 23	المعارج	
216	الشورى 24	الشورى 35	الحاقة	

217	الشورى 36	الشورى 46	القلم	
218	تسميع سورة الشورى إلى آية 35			
219	الشورى 47	الشورى 53	الملك	
220	اختبار في نصف الجزء (سورة الشورى)			
221	اختبار في الجزء كاملاً (من الجاثية إلى الشورى)			
222	فصلت 1	فصلت 12	ق	
223	فصلت 13	فصلت 21	الحجرات	
224	فصلت 22	فصلت 30	الفتح	
225	فصلت 31	فصلت 39	محمد	

226	فصلت 40	فصلت 48	الأحقاف	
227	تسميع من الشورى 36 إلى فصلت 39			
228	فصلت 49	فصلت 54	الحديد	
229	غافر 1	غافر 9	الواقعة	
230	غافر 10	غافر 20	الرحمن	
231	غافر 21	غافر 27	القمر	
232	غافر 28	غافر 35	النجم	
233	تسميع من فصلت 40 إلى غافر 27			
234	غافر 36	غافر 44	الطور	
235	غافر 45	غافر 52	الذاريات	
236	غافر 53	غافر 60	الجاثية	
237	غافر 61	غافر 67	الدخان	

238	غافر 68	غافر 78	الزخرف 1	الزخرف 42	
239	تسميع من غافر 28 إلى غافر 67				
240	غافر 79	غافر 85	الزخرف 43	الزخرف 89	
241	اختبار في نصف الجزء (من آية 40 من غافر إلى نهاية فصلت)				
242	الزمر 1	الزمر 6	الشورى 1	الشورى 15	
243	الزمر 7	الزمر 16	الشورى 16	الشورى 31	
244	الزمر 17	الزمر 23	الشورى 32	الشورى 53	
245	الزمر 24	الزمر 35	ق		
246	الزمر 36	الزمر 41	الحجرات		

247	تسميع من غافر 68 إلى الزمر 35				
248	الزمر 42	الزمر 48	الفتح		
249	الزمر 49	الزمر 59	محمد		
250	الزمر 60	الزمر 70	الأحقاف		
251	الزمر 71	الزمر 75	الزمر 32	الزمر 52	
252	اختبار في نصف الجزء (من آية 32 الزمر إلى آية 40 غافر)				
253	اختبار في الجزء كاملاً (من آية 32 من الزمر إلى نهاية فصلت)				
254	تسميع من الزمر 36 إلى الزمر 70				

255	ص 1	ص 20	الزمر 53	الزمر 75	
256	ص 21	ص 29	غافر 1	غافر 22	
257	ص 30	ص 47	غافر 23	غافر 40	
258	ص 48	ص 66	غافر 41	غافر 63	
259	ص 67	ص 88	غافر 64	غافر 85	
260	تسميع من الزمر 71 إلى ص 66				
261	اختبار في نصف الجزء (من سورة ص إلى آية 31 من سورة الزمر)				
262	الصافات 1	الصافات 26	فصلت 1	فصلت 29	
263	الصافات 27	الصافات 53	فصلت 30	فصلت 54	
264	الصافات	الصافات 82	الجاثية		

	54				
265	الصافات 83	الصافات 113	الدخان		
266	الصافات 114	الصافات 132	الزخرف 1	الزخرف 42	
267	تسميع من ص 67 إلى الصافات 113				
268	الصافات 133	الصافات 157	الزخرف 43	الزخرف 89	
269	الصافات 158	الصافات 182	الشورى 1	الشورى 15	
270	يس 1	يس 15	الشورى 32	الشورى 53	
271	يس 16	يس 30	ق والحجرات		
272	يس 31	يس 45	الفتح		
273	تسميع من الصافات 114 إلى يس 30				
274	يس 46	يس 59	محمد		

275	يس 60	يس 73	الأحقاف		
276	يس 74	يس 83	الزمر 32	الزمر 52	
277	اختبار في نصف الجزء (سورتا الصافات و يس)				
278	اختبار في الجزء كاملاً (من سورة يس إلى آية 31 من الزمر)				
279	فاطر 1	فاطر 7	الزمر 53	الزمر 75	
280	فاطر 8	فاطر 12	غافر 1	غافر 27	
281	تسميع من يس 31 إلى فاطر 7				
282	فاطر 13	فاطر 24	غافر 28	غافر 52	
283	فاطر 25	فاطر 32	غافر 53	غافر 85	
284	فاطر 33	فاطر 39	فصلت 1	فصلت 20	

285	فاطر 40	فاطر 45	فصلت 21	فصلت 38	
286	سبأ 1	سبأ 8	فصلت 39	فصلت 54	
287	تسميع من فاطر 8 إلى فاطر 45				
288	سبأ 9	سبأ 15	الجاثية		
289	سبأ 16	سبأ 23	الدخان		
290	سبأ 24	سبأ 33	الزخرف 1	الزخرف 42	
291	سبأ 34	سبأ 42	الزخرف 43	الزخرف 89	
292	سبأ 43	سبأ 54	الشورى 1	الشورى 15	
293	اختبار في نصف الجزء (من آية 24 من سبأ إلى نهاية فاطر)				
294	تسميع من سبأ 1 إلى سبأ 42				
295	الأحزاب 1	الأحزاب 8	الشورى 32	الشورى 53	

296	الأحزاب 9	الأحزاب 17	يس 1	يس 40	
297	الأحزاب 18	الأحزاب 24	يس 41	يس 70	
298	الأحزاب 25	الأحزاب 31	يس 71	الصافات 24	
299	الأحزاب 32	الأحزاب 36	الصافات 25	الصافات 76	
300	تسميع من سبأ 43 إلى الأحزاب 31				
301	الأحزاب 37	الأحزاب 44	الصافات 77	الصافات 126	
302	الأحزاب 45	الأحزاب 51	الصافات 127	الصافات 182	
303	الأحزاب 52	الأحزاب 55	ص 1	ص 33	
304	الأحزاب 56	الأحزاب 63	ص 34	ص 88	

305	الأحزاب 64	الأحزاب 73	الزمر 1	الزمر 10	
306	اختبار في نصف الجزء (من آية 31 الأحزاب إلى آية 23 سبأ)				
307	اختبار في الجزء كاملاً (من آية 31 الأحزاب إلى نهاية فاطر)				
308	تسميع من الأحزاب 32 إلى الأحزاب 63				
309	السجدة 1	السجدة 12	الزمر 11	الزمر 31	
310	السجدة 13	السجدة 21	الزمر 32	الزمر 52	
311	السجدة 22	السجدة 30	الزمر 53	الزمر 75	
312	لقمان 1	لقمان 12	غافر 1	غافر 22	
313	لقمان 13	لقمان 20	غافر 23	غافر 40	

314	تسميع من الأحزاب 64 إلى لقمان 12				
315	لقمان 21	لقمان 29	غافر 41	غافر 63	
316	لقمان 30	لقمان 34	غافر 64	غافر 85	
317	اختبار في نصف الجزء (من آية 22 لقمان إلى آية 30 الأحزاب)				
318	الروم 1	الروم 11	فصلت 1	فصلت 29	
319	الروم 12	الروم 22	فصلت 30	فصلت 54	
320	الروم 23	الروم 30	الأحزاب 31	الأحزاب 43	
321	تسميع من لقمان 13 إلى الروم 22				
322	الروم 31	الروم 39	الأحزاب 44	الأحزاب 54	
323	الروم 40	الروم 47	الأحزاب 55	الأحزاب 73	

324	الروم 48	الروم 53	سبأ 1	سبأ 14	
325	الروم 54	الروم 60	سبأ 15	سبأ 31	
326	العنكبوت 1	العنكبوت 11	سبأ 32	سبأ 48	
327	تسميع من الروم 23 إلى الروم 60				
328	العنكبوت 12	العنكبوت 19	سبأ 49	فاطر 11	
329	العنكبوت 20	العنكبوت 27	فاطر 12	فاطر 30	
330	العنكبوت 28	العنكبوت 35	فاطر 31	فاطر 45	
331	العنكبوت 36	العنكبوت 43	يس 1	يس 40	
332	العنكبوت 44	العنكبوت 51	يس 41	يس 70	
333	تسميع من العنكبوت 1 إلى العنكبوت 43				

334	العنكبوت52	العنكبوت 61	يس 71	الصافات 24	
335	العنكبوت 62	العنكبوت 69	الصافات 25	الصافات 76	
336	اختبار في نصف الجزء (من آية 46 العنكبوت إلى آية 21 لقمان)				
337	اختبار في الجزء كاملاً (من 46 العنكبوت إلى 30 الأحزاب)				
338	يعطى الطالب فرصة لمراجعة الأجزاء الخمسة التي حفظها ويتأهب للاختبار				
339					
340					
341					
342					

343	اختبار شامل في الأجزاء الخمسة (العنكبوت إلى الجاثية)				
344	القصص 1	القصص 9	الصافات 77	الصافات 126	
345	القصص 10	القصص 17	الصافات 127	الصافات 182	
346	القصص 18	القصص 25	الأحزاب 31	الأحزاب 43	
	تسميع من العنكبوت 44 إلى القصص 17				
347	القصص 26	القصص 32	الأحزاب 44	الأحزاب 54	
348	القصص 33	القصص 40	الأحزاب 55	الأحزاب 73	
349	القصص 41	القصص 47	سبأ 1	سبأ 14	

350	القصص 48	القصص 56	سبأ 15	سبأ 31	
351	القصص 57	القصص 64	سبأ 32	سبأ 48	
352	تسميع من القصص 18 إلى القصص 56				
353	القصص 65	القصص 75	سبأ 49	فاطر 11	
354	القصص 76	القصص 80	فاطر 12	فاطر 30	
355	القصص 81	القصص 88	فاطر 31	فاطر 45	
356	اختبار في نصف الجزء (من 51 القصص إلى 45 العنكبوت)				
357	النمل 1	النمل 14	العنكبوت 46	العنكبوت 63	

358	النمل 15	النمل 24	العنكبوت 64	الروم 15	
359	تسميع من القصص 57 إلى النمل 14				
360	النمل 25	النمل 37	الروم 16	الروم 32	
361	النمل 38	النمل 45	الروم 33	الروم 50	
362	النمل 46	النمل 58	الروم 51	لقمان 11	
363	النمل 59	النمل 66	لقمان 12	لقمان 28	
364	النمل 67	النمل 82	لقمان 29	السجدة 11	
365	تسميع من النمل 15 إلى النمل 66				
366	النمل 83	النمل 93	السجدة 12	السجدة 30	
367	اختبار في نصف الجزء (من 56 النمل إلى 50 القصص)				

368	اختبار في الجزء كاملاً (من 56 النمل إلى 45 العنكبوت)				
369	الشعراء 1	الشعراء 22	الأحزاب 1	الأحزاب 15	
370	الشعراء 23	الشعراء 42	الأحزاب 16	الأحزاب 30	
371	الشعراء 43	الشعراء 62	النمل 56	النمل 76	
372	الشعراء 63	الشعراء 86	النمل 77	القصص 5	
373	تسميع من النمل 67 إلى الشعراء 62				
374	الشعراء 87	الشعراء 113	القصص 6	القصص 21	
375	الشعراء 114	الشعراء 140	القصص 22	القصص 35	
376	الشعراء 141	الشعراء 164	القصص 36	القصص 50	

377	الشعراء 165	الشعراء 184	القصص 51	القصص 70	
378	الشعراء 185	الشعراء 209	القصص 71	القصص 84	
379	تسميع من الشعراء 63 إلى الشعراء 184				
380	الشعراء 210	الشعراء 227	القصص 85	العنكبوت 14	
381	اختبار في نصف الجزء (من 111 الشعراء إلى 55 النمل)				
382	الفرقان 1	الفرقان 9	العنكبوت 15	العنكبوت 30	
383	الفرقان 10	الفرقان 19	العنكبوت 31	العنكبوت 45	
384	الفرقان 20	الفرقان 29	العنكبوت 46	الروم 5	
385	الفرقان 30	الفرقان 37	الروم 6	الروم 32	

386	تسميع من الشعراء 185 إلى الفرقان 29				
387	الفرقان 38	الفرقان 47	الروم 33	الروم 60	
388	الفرقان 48	الفرقان 57	لقمان 1	لقمان 28	
389	الفرقان 58	الفرقان 68	لقمان 29	السجدة 20	
390	الفرقان 69	الفرقان 77	السجدة 21	الأحزاب 15	
391	اختبار في نصف الجزء (21 الفرقان إلى 110 الشعراء)				
392	اختبار في الجزء كاملاً (21 الفرقان إلى 55 النمل)				
393	النور 1	النور 11	الأحزاب 16	الأحزاب 30	
394	تسميع من الفرقان 30 إلى الفرقان 68				

395	النور 12	النور 21	النمل 56	النمل 88	
396	النور 22	النور 28	النمل 89	القصص 21	
397	النور 29	النور 32	القصص 22	القصص 43	
398	النور 33	النور 38	القصص 44	القصص 70	
399	النور 39	النور 47	القصص 71	العنكبوت 6	
400	تسميع من الفرقان 69 إلى النور 38				
401	النور 48	النور 56	العنكبوت 7	العنكبوت 30	
402	النور 57	النور 60	العنكبوت 31	العنكبوت 45	
403	النور 61	النور 64	الفرقان 21	الفرقان 50	
404	اختبار في نصف الجزء				

	(21 النور إلى 20 الفرقان)				
405	المؤمنون 1	المؤمنون 19	الفرقان 51	الفرقان 77	
406	المؤمنون 20	المؤمنون 30	الشعراء 1	الشعراء 48	
407	تسميع من النور 39 إلى المؤمنون 19				
408	المؤمنون 31	المؤمنون 44	الشعراء 49	الشعراء 111	
409	المؤمنون 45	المؤمنون 61	الشعراء 112	الشعراء 175	
410	المؤمنون 62	المؤمنون 75	الشعراء 176	الشعراء 227	
411	المؤمنون 76	المؤمنون 91	النمل 1	النمل 26	
412	المؤمنون 92	المؤمنون 107	النمل 27	النمل 63	

413	تسميع من المؤمنون 20 إلى المؤمنون 91			
414	المؤمنون 108	المؤمنون 118	المؤمنون 1	المؤمنون 27
415	اختبار في نصف الجزء (من بداية المؤمنون إلى آية 20 من النور)			
416	اختبار في الجزء كاملاً (من بداية المؤمنون إلى 20 الفرقان)			
417	الحج 1	الحج 7	المؤمنون 28	المؤمنون 59
418	الحج 8	الحج 16	المؤمنون 60	المؤمنون 89
419	الحج 17	الحج 24	المؤمنون 90	المؤمنون 118
420	الحج 25	الحج 31	النور 1	النور 20

421	تسميع من المؤمنون 92 إلى الحج 24				
422	الحج 32	الحج 39	النور 21	النور 31	
423	الحج 40	الحج 48	النور 32	النور 43	
424	الحج 49	الحج 57	النور 44	النور 58	
425	الحج 58	الحج 65	النور 59	الفرقان 2	
426	الحج 66	الحج 73	الفرقان 3	الفرقان 20	
427	تسميع من الحج 25 إلى الحج 65				
428	الحج 74	الحج 78	الفرقان 21	الفرقان 43	
429	اختبار في نصف الجزء (سورة الحج)				
430	الأنبياء 1	الأنبياء 11	الفرقان 44	الفرقان 67	
431	الأنبياء 12	الأنبياء 25	الفرقان 68	الشعراء 19	

432	الأنبياء 26	الأنبياء 36	الشعراء 20	الشعراء 60	
433	الأنبياء 37	الأنبياء 46	الشعراء 61	الشعراء 111	
434	تسميع من الحج 66 إلى الأنبياء 36				
435	الأنبياء 47	الأنبياء 58	الشعراء 112	الشعراء 159	
436	الأنبياء 59	الأنبياء 73	الشعراء 160	الشعراء 206	
437	الأنبياء 74	الأنبياء 82	الشعراء 207	النمل 13	
438	الأنبياء 83	الأنبياء 91	النمل 14	النمل 35	
439	الأنبياء 92	الأنبياء 102	النمل 36	النمل 55	
440	تسميع من الأنبياء 37 إلى الأنبياء 91				
441	الأنبياء 103	الأنبياء 112	الحج 1	الحج 15	

442	اختبار في نصف الجزء (سورة الأنبياء)				
443	اختبار في الجزء كاملاً (سورتا الحج والأنبياء)				
444	طه 1	طه 16	الحج 16	الحج 30	
445	طه 17	طه 39	الحج 31	الحج 46	
446	طه 40	طه 54	الحج 47	الحج 64	
447	طه 55	طه 66	الحج 65	الحج 78	
448	تسميع من الأنبياء 92 إلى طه 54				
449	طه 67	طه 79	الأنبياء 1	الأنبياء 24	
450	طه 80	طه 89	الأنبياء 25	الأنبياء 44	
451	طه 90	طه 101	الأنبياء 45	الأنبياء 72	

452	طه 102	طه 114	الأنبياء 73	الأنبياء 90	
453	طه 115	طه 127	الأنبياء 91	الأنبياء 112	
454	تسميع من طه 55 إلى طه 114				
455	طه 128	طه 135	المؤمنون 1	المؤمنون 27	
456	اختبار في نصف الجزء (سورة طه)				
457	مريم 1	مريم 15	المؤمنون 28	المؤمنون 59	
458	مريم 16	مريم 26	المؤمنون 60	المؤمنون 89	
459	مريم 27	مريم 40	المؤمنون 90	المؤمنون 118	
460	مريم 41	مريم 55	النور 1	النور 20	
461	تسميع من طه 115 إلى مريم 40				

462	مريم 56	مريم 67	النور 21	النور 31	
463	مريم 68	مريم 80	النور 32	النور 43	
464	مريم 81	مريم 98	النور 44	النور 58	
465	اختبار في نصف الجزء (سورة مريم)				
466	اختبار في الجزء كاملاً (سورتا طه ومريم)				
467	الكهف 1	الكهف 12	النور 59	الفرقان 2	
468	الكهف 13	الكهف 18	الفرقان 3	الفرقان 20	
469	تسميع من مريم 41 إلى الكهف 12				
470	الكهف 19	الكهف 22	طه 1	طه 37	
471	الكهف 23	الكهف 29	طه 38	طه 64	

472	الكهف 30	الكهف 36	طه 65	طه 87	
473	الكهف 37	الكهف 46	طه 88	طه 113	
474	الكهف 47	الكهف 54	طه 114	طه 135	
475	تسميع من الكهف 13 إلى الكهف 46				
476	الكهف 55	الكهف 63	مريم 1	مريم 33	
477	الكهف 64	الكهف 76	مريم 34	مريم 64	
478	الكهف 77	الكهف 85	مريم 65	مريم 98	
479	الكهف 86	الكهف 98	الحج 1	الحج 15	
480	الكهف 99	الكهف 110	الحج 16	الحج 30	
481	تسميع من الكهف 47 إلى الكهف 98				
482	اختبار في نصف الجزء (سورة الكهف)				

<table dir="rtl">
<tr><td>483</td><td colspan="4" rowspan="5">يعطى الطالب فرصة لمراجعة الأجزاء الخمسة التي حفظها ويتأهب للاختبار</td><td></td></tr>
<tr><td>484</td><td></td></tr>
<tr><td>485</td><td></td></tr>
<tr><td>486</td><td></td></tr>
<tr><td>487</td><td></td></tr>
<tr><td>488</td><td colspan="4">اختبار شامل في الأجزاء الخمسة
(من القصص إلى الكهف)</td><td></td></tr>
<tr><td>489</td><td>الإسراء 1</td><td>الإسراء 8</td><td>الحج 31</td><td>الحج 46</td><td></td></tr>
<tr><td>490</td><td>الإسراء 9</td><td>الإسراء 19</td><td>الحج 47</td><td>الحج 64</td><td></td></tr>
<tr><td>491</td><td>الإسراء 20</td><td>الإسراء 30</td><td>الحج 65</td><td>الحج 78</td><td></td></tr>
<tr><td>492</td><td>الإسراء 31</td><td>الإسراء 40</td><td>الأنبياء 1</td><td>الأنبياء 24</td><td></td></tr>
<tr><td>493</td><td>الإسراء 41</td><td>الإسراء 52</td><td>الأنبياء 25</td><td>الأنبياء 44</td><td></td></tr>
</table>

494	تسميع من الكهف 99 إلى الإسراء 40				
495	الإسراء 53	الإسراء 60	الأنبياء 45	الأنبياء 72	
496	الإسراء 61	الإسراء 69	الأنبياء 73	الأنبياء 90	
497	الإسراء 70	الإسراء 81	الأنبياء 91	الأنبياء 112	
498	الإسراء 82	الإسراء 93	الكهف 1	الكهف 20	
499	الإسراء 94	الإسراء 102	الكهف 21	الكهف 34	
500	تسميع من الإسراء 41 إلى الإسراء 93				
501	الإسراء 103	الإسراء 111	الكهف 35	الكهف 53	
502	اختبار في نصف الجزء (سورة الإسراء)				
503	اختبار في الجزء كاملاً				

	(سورتا الكهف والإسراء)				
504	النحل 1	النحل 9	الكهف 54	الكهف 74	
505	النحل 10	النحل 18	الكهف 75	الكهف 92	
506	النحل 19	النحل 27	الكهف 93	الكهف 110	
507	النحل 28	النحل 35	الإسراء 1	الإسراء 17	
508	تسميع من الإسراء 94 إلى النحل 27				
509	النحل 36	النحل 44	الإسراء 18	الإسراء 38	
510	النحل 45	النحل 56	الإسراء 39	الإسراء 58	
511	النحل 57	النحل 65	الإسراء 59	الإسراء 75	
512	النحل 66	النحل 74	الإسراء 76	الإسراء 96	
513	النحل 75	النحل 80	الإسراء 97	الإسراء 111	

514	تسميع من النحل 28 إلى النحل 74				
515	النحل 81	النحل 88	طه 1	طه 37	
516	النحل 89	النحل 94	طه 38	طه 64	
517	النحل 95	النحل 103	طه 65	طه 87	
518	النحل 104	النحل 111	طه 88	طه 113	
519	النحل 112	النحل 119	طه 114	طه 135	
520	تسميع من النحل 75 إلى النحل 111				
521	النحل 120	النحل 128	مريم 1	مريم 33	
522	اختبار في نصف الجزء (من آية 51 من سورة النحل إلى نهايتها)				
523	الحجر 1	الحجر 18	مريم 34	مريم 64	
524	الحجر 19	الحجر 35	مريم 65	مريم 98	

525	الحجر 36	الحجر 56	النحل 1	النحل 26	
526	الحجر 57	الحجر 79	النحل 27	النحل 42	
527	تسميع من النحل 112 إلى الحجر 56				
528	الحجر 80	الحجر 99	النحل 43	النحل 64	
529	اختبار في نصف الجزء (من بداية الحجر إلى آية 52 النحل)				
530	اختبار في الجزء كاملاً (سورتا الحجر والنحل)				
531	إبراهيم 1	إبراهيم 6	النحل 65	النحل 79	
532	إبراهيم 7	إبراهيم 12	النحل 80	النحل 93	
533	إبراهيم 13	إبراهيم 21	النحل 94	النحل 110	
534	إبراهيم 22	إبراهيم 27	النحل 111	النحل 128	

535	تسميع من الحجر 57 إلى إبراهيم 21				
536	إبراهيم 28	إبراهيم 34	الحجر 1	الحجر 31	
537	إبراهيم 35	إبراهيم 43	الحجر 32	الحجر 70	
538	إبراهيم 44	إبراهيم 52	الحجر 71	الحجر 99	
539	الرعد 1	الرعد 6	الكهف 1	الكهف 20	
540	الرعد 7	الرعد 15	الكهف 21	الكهف 34	
541	تسميع من إبراهيم 22 إلى الرعد 6				
542	الرعد 16	الرعد 20	الكهف 35	الكهف 53	
543	الرعد 21	الرعد 30	الكهف 54	الكهف 74	
544	الرعد 31	الرعد 36	الكهف 75	الكهف 92	
545	الرعد 37	الرعد 43	الكهف 93	الكهف 110	
546	اختبار في نصف الجزء (سورتا الرعد وإبراهيم)				

547	يوسف 1	يوسف 6	الإسراء 1	الإسراء 17	
548	تسميع من الرعد 7 إلى الرعد 43				
549	يوسف 7	يوسف 15	الإسراء 18	الإسراء 38	
550	يوسف 16	يوسف 23	الإسراء 39	الإسراء 58	
551	يوسف 24	يوسف 31	الإسراء 59	الإسراء 75	
552	يوسف 32	يوسف 38	الإسراء 76	الإسراء 96	
553	يوسف 39	يوسف 45	الإسراء 97	الإسراء 111	
554	تسميع من يوسف 1 إلى يوسف 38				
555	يوسف 46	يوسف 53	الرعد 1	الرعد 9	
556	يوسف 54	يوسف 64	الرعد 10	الرعد 18	
557	يوسف 65	يوسف 72	الرعد 19	الرعد 34	
558	يوسف 73	يوسف 79	الرعد 35	إبراهيم 5	

559	يوسف 80	يوسف 87	إبراهيم 6	إبراهيم 18	
560	تسميع من يوسف 39 إلى يوسف 79				
561	يوسف 88	يوسف 98	إبراهيم 19	إبراهيم 33	
562	يوسف 99	يوسف 106	إبراهيم 34	إبراهيم 52	
563	يوسف 107	يوسف 111	النحل 1	النحل 26	
564	اختبار في نصف الجزء (من 53 يوسف إلى نهايتها)				
565	اختبار في الجزء كاملاً (من 53 يوسف إلى نهاية إبراهيم)				
566	هود 1	هود 8	النحل 27	النحل 42	
567	هود 9	هود 16	النحل 43	النحل 64	

568	تسميع من يوسف 80 إلى هود 8				
569	هود 17	هود 23	مريم 65	مريم 98	
570	هود 24	هود 31	النحل 1	النحل 26	
571	هود 32	هود 40	النحل 27	النحل 42	
572	اختبار في نصف الجزء (يوسف 1 إلى 52) و (هود 1 إلى 37)				
573	هود 41	هود 49	النحل 43	النحل 64	
574	هود 50	هود 60	النحل 65	النحل 79	
575	تسميع من هود 9 إلى هود 49				
576	هود 61	هود 68	النحل 80	النحل 93	
577	هود 69	هود 77	النحل 94	النحل 110	
578	هود 78	هود 86	النحل 111	النحل 128	

579	هود 87	هود 93	الحجر 1	الحجر 31	
580	هود 94	هود 102	الحجر 32	الحجر 70	
581	تسميع من هود 50 إلى هود 93				
582	هود 103	هود 113	الحجر 71	الحجر 99	
583	هود 114	هود 123	هود 1	هود 19	
584	اختبار في نصف الجزء (38 هود إلى نهايتها)				
585	اختبار في الجزء كاملاً (من بداية هود إلى 52 يوسف)				
586	يونس 1	يونس 8	هود 20	هود 37	
587	يونس 9	يونس 15	هود 38	هود 53	
588	يونس 16	يونس 21	هود 54	هود 71	

589	تسميع من هود 94 إلى يونس 15				
590	يونس 22	يونس 26	هود 72	هود 88	
591	يونس 27	يونس 34	هود 89	هود 108	
592	يونس 35	يونس 43	هود 109	يوسف 4	
593	يونس 44	يونس 54	يوسف 5	يوسف 22	
594	يونس 55	يونس 64	يوسف 23	يوسف 37	
595	تسميع من يونس 16 إلى يونس 54				
596	يونس 65	يونس 72	يوسف 38	يوسف 52	
597	يونس 73	يونس 82	يوسف 53	يوسف 69	
598	يونس 83	يونس 92	يوسف 70	يوسف 86	
599	يونس 93	يونس 101	يوسف 87	يوسف 100	
600	يونس 102	يونس 109	يوسف 101	يوسف 111	

<table dir="rtl">
<tr><td>601</td><td colspan="4">تسميع من يونس 55 إلى يونس 101</td><td></td></tr>
<tr><td>602</td><td colspan="4">اختبار في نصف الجزء
(من 31 يونس إلى نهايتها)</td><td></td></tr>
<tr><td>603</td><td colspan="4" rowspan="5">يعطى الطالب فرصة لمراجعة
الأجزاء الخمسة التي حفظها
ويتأهب للاختبار</td><td></td></tr>
<tr><td>604</td><td></td></tr>
<tr><td>605</td><td></td></tr>
<tr><td>606</td><td></td></tr>
<tr><td>607</td><td></td></tr>
<tr><td>608</td><td colspan="4">اختبار شامل في الأجزاء الخمسة
(من الإسراء إلى يونس)</td><td></td></tr>
<tr><td>609</td><td>التوبة 1</td><td>التوبة 7</td><td>الرعد 1</td><td>الرعد 9</td><td></td></tr>
</table>

610	التوبة 8	التوبة 15	الرعد 10	الرعد 18	
611	التوبة 16	التوبة 22	الرعد 19	الرعد 34	
612	التوبة 23	التوبة 27	الرعد 35	إبراهيم 5	
613	التوبة 28	التوبة 33	إبراهيم 6	إبراهيم 18	
614	تسميع من يونس 102 إلى التوبة 27				
615	التوبة 34	التوبة 37	إبراهيم 19	إبراهيم 33	
616	اختبار في نصف جزء (التوبة من 1 إلى 47 و يونس من 1 إلى 30)				
617	اختبار في ما يعادل جزءاً (التوبة من1إلى47 و يونس كاملة)				
618	التوبة 38	التوبة 41	إبراهيم 34	إبراهيم 52	
619	التوبة 42	التوبة 48	يونس 1	يونس 14	

620	التوبة 49	التوبة 56	يونس 15	يونس 25	
621	التوبة 57	التوبة 63	يونس 26	يونس 42	
622	تسميع من التوبة 28 إلى التوبة 56				
623	التوبة 64	التوبة 69	يونس 43	يونس 61	
624	التوبة 70	التوبة 74	يونس 62	يونس 78	
625	التوبة 75	التوبة 82	يونس 79	يونس 97	
626	التوبة 83	التوبة 89	يونس 98	يونس 109	
627	التوبة 90	التوبة 94	التوبة 1	التوبة 9	
628	تسميع من التوبة 57 إلى التوبة 89				
629	التوبة 95	التوبة 100	التوبة 10	التوبة 20	
630	التوبة 101	التوبة 107	التوبة 21	التوبة 31	
631	التوبة 108	التوبة 112	التوبة 32	التوبة 40	

632	التوبة 113	التوبة 118	هود 1	هود 19	
633	التوبة 119	التوبة 123	هود 20	هود 37	
634	تسميع من التوبة 90 إلى التوبة 118				
635	التوبة 124	التوبة 129	هود 38	هود 53	
636	اختبار في نصف جزء (سورة التوبة من 48 إلى نهايتها)				
637	الأنفال 1	الأنفال 10	هود 54	هود 71	
638	الأنفال 11	الأنفال 18	هود 72	هود 88	
639	الأنفال 19	الأنفال 26	هود 89	هود 108	
640	الأنفال 27	الأنفال 35	هود 109	يوسف 4	
641	تسميع من التوبة 119 إلى الأنفال 26				
642	الأنفال 36	الأنفال 41	يوسف 5	يوسف 22	

643	الأنفال 42	الأنفال 47	يوسف 23	يوسف 37	
644	الأنفال 48	الأنفال 54	يوسف 38	يوسف 52	
645	الأنفال 55	الأنفال 63	يوسف 53	يوسف 69	
646	الأنفال 64	الأنفال 71	يوسف 70	يوسف 86	
647	تسميع من الأنفال 27 إلى الأنفال 63				
648	الأنفال 72	الأنفال 75	يوسف 87	يوسف 100	
649	اختبار في نصف جزء (سورة الأنفال)				
650	اختبار في ما يعادل جزءاً (الأنفال ، والتوبة من 48 إلى نهايتها)				
651	الأعراف 1	الأعراف 13	يوسف 101	يوسف 111	

652	الأعراف 14	الأعراف 25	التوبة 41	التوبة 54	
653	الأعراف 26	الأعراف 32	التوبة 55	التوبة 68	
654	الأعراف 33	الأعراف 39	التوبة 69	التوبة 79	
655	تسميع من الأنفال 64 إلى الأعراف 32				
656	الأعراف 40	الأعراف 47	التوبة 80	التوبة 93	
657	الأعراف 48	الأعراف 54	التوبة 94	التوبة 106	
658	الأعراف 55	الأعراف 64	التوبة 107	التوبة 117	
659	الأعراف 65	الأعراف 72	التوبة 118	التوبة 129	
660	الأعراف 73	الأعراف 79	يونس 1	يونس 14	

661	تسميع من الأعراف 33 إلى الأعراف 72				
662	الأعراف 80	الأعراف 86	يونس 15	يونس 25	
663	اختبار في نصف جزء (الأعراف من 1 إلى 81)				
664	الأعراف 87	الأعراف 93	يونس 26	يونس 42	
665	الأعراف 94	الأعراف 102	يونس 43	يونس 61	
666	الأعراف 103	الأعراف 114	يونس 62	يونس 78	
667	الأعراف 115	الأعراف 126	يونس 79	يونس 97	

668	تسميع من الأعراف 73 إلى الأعراف 114				
669	الأعراف 127	الأعراف 131	يونس 98	يونس 109	
670	الأعراف 132	الأعراف 139	التوبة 1	التوبة 9	
671	الأعراف 140	الأعراف 145	التوبة 10	التوبة 20	
672	الأعراف 146	الأعراف 151	التوبة 21	التوبة 31	
673	الأعراف 152	الأعراف 156	التوبة 32	التوبة 40	
674	تسميع من الأعراف 115 إلى الأعراف 151				
675	الأعراف 157	الأعراف 160	الأنفال 1	الأنفال 11	

676	اختبار في نصف جزء (الأعراف من 82 إلى 159)				
677	اختبار في ما يعادل جزءاً (الأعراف من 1 إلى 159)				
678	الأعراف 161	الأعراف 166	الأنفال 12	الأنفال 25	
679	الأعراف 167	الأعراف 174	الأنفال 26	الأنفال 40	
680	الأعراف 175	الأعراف 180	الأنفال 41	الأنفال 52	
681	الأعراف 181	الأعراف 188	الأنفال 53	الأنفال 69	
682	تسميع من الأعراف 152 إلى الأعراف 180				
683	الأعراف	الأعراف	الأنفال 70	الأعراف	

	189	198		11	
684	الأعراف 199	الأعراف 206	الأعراف 12	الأعراف 30	
685	الأنعام 1	الأنعام 10	الأعراف 31	الأعراف 43	
686	الأنعام 11	الأنعام 20	الأعراف 44	الأعراف 57	
687	الأنعام 21	الأنعام 30	الأعراف 58	الأعراف 73	
688	تسميع من الأعراف 181 إلى الأنعام 20				
689	الأنعام 31	الأنعام 37	الأعراف 74	الأعراف 87	
690	اختبار في نصف جزء (الأعراف من 160 إلى نهايتها والأنعام من 1 إلى 35)				

691	الأنعام 38	الأنعام 47	التوبة 41	التوبة 54	
692	الأنعام 48	الأنعام 53	التوبة 55	التوبة 68	
693	الأنعام 54	الأنعام 60	التوبة 69	التوبة 79	
694	الأنعام 61	الأنعام 69	التوبة 80	التوبة 93	
695	تسميع من الأنعام 21 إلى الأنعام 60				
696	الأنعام 70	الأنعام 75	التوبة 94	التوبة 106	
697	الأنعام 76	الأنعام 83	التوبة 107	التوبة 117	
698	الأنعام 84	الأنعام 92	التوبة 118	التوبة 129	
699	الأنعام 93	الأنعام 97	الأعراف 88	الأعراف 104	
700	الأنعام 98	الأنعام 105	الأعراف 105	الأعراف 130	
701	تسميع من الأنعام 61 إلى الأنعام 97				

702	الأنعام 106	الأنعام 113	الأعراف 131	الأعراف 143	
703	اختبار في نصف جزء (الأنعام من 36 إلى 110)				
704	اختبار في ما يعادل جزءاً (الأعراف من 160 إلى نهايتها والأنعام من 1 إلى 110)				
705	الأنعام 114	الأنعام 121	الأعراف 144	الأعراف 155	
706	الأنعام 122	الأنعام 127	الأعراف 156	الأعراف 163	
707	الأنعام 128	الأنعام 135	الأعراف 164	الأعراف 178	
708	الأنعام	الأنعام 139	الأعراف	الأعراف	

	136		179	190	
709	تسميع من الأنعام 98 إلى الأنعام 135				
710	الأنعام 140	الأنعام 144	الأعراف 191	الأعراف 206	
711	الأنعام 145	الأنعام 150	الأنعام 1	الأنعام 18	
712	الأنعام 151	الأنعام 153	الأنعام 19	الأنعام 35	
713	الأنعام 154	الأنعام 158	الأنعام 36	الأنعام 52	
714	الأنعام 159	الأنعام 165	الأنفال 1	الأنفال 11	
715	تسميع من الأنعام 136 إلى الأنعام 158				
716	اختبار في نصف جزء (الأنعام من 111 إلى نهايتها)				

717	المائدة 1	المائدة 3	الأنفال 12	الأنفال 25	
718	المائدة 4	المائدة 6	الأنفال 26	الأنفال 40	
719	المائدة 7	المائدة 11	الأنفال 41	الأنفال 52	
720	المائدة 12	المائدة 14	الأنفال 53	الأنفال 69	
721	المائدة 15	المائدة 18	الأنفال 70	الأعراف 11	
722	تسميع من الأنعام 159 إلى المائدة 14				
723	المائدة 19	المائدة 26	الأعراف 12	الأعراف 30	
724	المائدة 27	المائدة 32	الأعراف 31	الأعراف 43	
725	المائدة 33	المائدة 40	الأعراف 44	الأعراف 57	
726	المائدة 41	المائدة 43	الأعراف 58	الأعراف 73	

727	المائدة 44	المائدة 47	الأعراف 74	الأعراف 87	
728	تسميع من المائدة 15 إلى المائدة 43				
729	المائدة 48	المائدة 53	الأنعام 53	الأنعام 68	
730	اختبار في نصف جزء (المائدة من 1 إلى 50)				
731	اختبار في ما يعادل جزءاً (الأنعام من 111 إلى نهايتها ، والمائدة من 1 إلى 50)				
732	المائدة 54	المائدة 61	الأنعام 69	الأنعام 81	
733	المائدة 62	المائدة 66	الأنعام 82	الأنعام 94	
734	المائدة 67	المائدة 71	الأنعام 95	الأنعام 110	

735	المائدة 72	المائدة 77	الأنعام 111	الأنعام 124	
736	تسميع من المائدة 44 إلى المائدة 71				
737	المائدة 78	المائدة 85	الأنعام 125	الأنعام 137	
738	المائدة 86	المائدة 92	الأنعام 138	الأنعام 146	
739	المائدة 93	المائدة 96	الأنعام 147	الأنعام 154	
740	المائدة 97	المائدة 105	الأنعام 155	الأنعام 165	
741	المائدة 106	المائدة 109	الأعراف 88	الأعراف 104	
742	تسميع من المائدة 72 إلى المائدة 105				
743	المائدة 110	المائدة 115	الأعراف 105	الأعراف 130	

744	المائدة 116	المائدة 120	الأعراف 131	الأعراف 143	
745	اختبار في نصف جزء (المائدة من 51 إلى نهايتها)				
746	يعطى الطالب فرصة لمراجعة الأجزاء الخمسة التي حفظها ويتأهب للاختبار				
747					
748					
749					
750					
751	اختبار شامل في الأجزاء الخمسة (من التوبة إلى المائدة)				
752	النساء 1	النساء 5	الأعراف	الأعراف	

			144	155	
753	النساء 6	النساء 10	الأعراف 156	الأعراف 163	
754	النساء 11	النساء 12	الأعراف 164	الأعراف 178	
755	تسميع من المائدة 106 إلى النساء 10				
756	النساء 13	النساء 17	الأعراف 179	الأعراف 190	
757	النساء 18	النساء 22	الأعراف 191	الأعراف 206	
758	النساء 23	النساء 24	الأنعام 1	الأنعام 18	
759	النساء 25	النساء 30	الأنعام 19	الأنعام 35	
760	النساء 31	النساء 35	الأنعام 36	الأنعام 52	
761	تسميع من النساء 11 إلى النساء 30				
762	النساء 36	النساء 42	المائدة 1	المائدة 5	

763	النساء 43	النساء 47	المائدة 6	المائدة 13	
764	النساء 48	النساء 57	المائدة 14	المائدة 23	
765	اختبار في نصف جزء (النساء من 1 إلى 51)				
766	اختبار في ما يعادل جزءاً (المائدة من 51 إلى نهايتها و النساء من 1 إلى 51)				
767	النساء 58	النساء 63	المائدة 24	المائدة 36	
768	النساء 64	النساء 70	المائدة 37	المائدة 45	
769	تسميع من النساء 31 إلى النساء 63				
770	النساء 71	النساء 76	المائدة 46	المائدة 57	

771	النساء 77	النساء 82	المائدة 58	المائدة 70	
772	النساء 83	النساء 88	المائدة 71	المائدة 82	
773	النساء 89	النساء 92	المائدة 83	المائدة 95	
774	النساء 93	النساء 96	المائدة 96	المائدة 108	
775	تسميع من النساء 64 إلى النساء 92				
776	النساء 97	النساء 103	المائدة 109	المائدة 120	
777	النساء 104	النساء 112	الأنعام 53	الأنعام 68	
778	النساء 113	النساء 116	الأنعام 69	الأنعام 81	
779	اختبار في نصف جزء (النساء من 52 إلى 113)				
780	النساء 117	النساء 124	الأنعام 82	الأنعام 94	

781	النساء 125	النساء 130	الأنعام 95	الأنعام 110	
782	تسميع من النساء 93 إلى النساء 124				
783	النساء 131	النساء 137	الأنعام 111	الأنعام 124	
784	النساء 138	النساء 144	الأنعام 125	الأنعام 137	
785	النساء 145	النساء 152	الأنعام 138	الأنعام 146	
786	النساء 153	النساء 159	الأنعام 147	الأنعام 154	
787	النساء 160	النساء 166	الأنعام 155	الأنعام 165	
788	تسميع من النساء 125 إلى النساء 159				
789	النساء 167	النساء 171	النساء 1	النساء 10	
790	النساء 172	النساء 176	النساء 11	النساء 14	

791	اختبار في نصف جزء (النساء من 114 إلى نهايتها)				
792	اختبار في ما يعادل جزءاً (النساء من 52 إلى نهايتها)				
793	آل عمران 1	آل عمران 11	النساء 15	النساء 23	
794	آل عمران 12	آل عمران 17	النساء 24	النساء 33	
795	آل عمران 18	آل عمران 25	النساء 34	النساء 44	
796	تسميع من النساء 160 إلى آل عمران 17				
797	آل عمران 26	آل عمران 32	النساء 45	النساء 59	
798	آل عمران 33	آل عمران 41	النساء 60	النساء 74	

799	آل عمران 42	آل عمران 49	النساء 75	النساء 86	
800	آل عمران 50	آل عمران 58	النساء 87	النساء 94	
801	آل عمران 59	آل عمران 66	النساء 95	النساء 105	
802	تسميع من آل عمران 18 إلى آل عمران 58				
803	آل عمران 67	آل عمران 74	النساء 106	النساء 121	
804	آل عمران 75	آل عمران 80	المائدة 1	المائدة 5	
805	اختبار في نصف جزء (آل عمران من 1 إلى 83)				
806	آل عمران 81	آل عمران 84	المائدة 6	المائدة 13	

807	آل عمران 85	آل عمران 92	المائدة 14	المائدة 23	
808	آل عمران 93	آل عمران 101	المائدة 24	المائدة 36	
809	تسميع من آل عمران 59 إلى آل عمران 92				
810	آل عمران 102	آل عمران 110	المائدة 37	المائدة 45	
811	آل عمران 111	آل عمران 117	المائدة 46	المائدة 57	
812	آل عمران 118	آل عمران 127	المائدة 58	المائدة 70	
813	آل عمران 128	آل عمران 136	المائدة 71	المائدة 82	
814	آل عمران 137	آل عمران 145	المائدة 83	المائدة 95	
815	تسميع من آل عمران 93 إلى آل عمران 136				

816	آل عمران 146	آل عمران 151	المائدة 96	المائدة 108	
817	آل عمران 152	آل عمران 155	المائدة 109	المائدة 120	
818	آل عمران 156	آل عمران 163	النساء 122	النساء 134	
819	اختبار في نصف جزء (آل عمران من 84 إلى 157)				
820	اختبار في ما يعادل جزءاً (آل عمران من 1 إلى 157)				
821	آل عمران 164	آل عمران 171	النساء 135	النساء 147	
822	آل عمران 172	آل عمران 179	النساء 148	النساء 162	

823	تسميع من آل عمران 137 إلى آل عمران 171				
824	آل عمران 180	آل عمران 185	النساء 163	النساء 176	
825	آل عمران 186	آل عمران 193	آل عمران 1	آل عمران 15	
826	آل عمران 194	آل عمران 200	آل عمران 16	آل عمران 29	
827	البقرة 1	البقرة 18	آل عمران 30	آل عمران 45	
828	البقرة 19	البقرة 25	آل عمران 46	آل عمران 61	
829	تسميع من آل عمران 172 إلى البقرة 18				
830	البقرة 26	البقرة 33	آل عمران 62	آل عمران 77	
831	اختبار في نصف جزء				

832	البقرة 34	البقرة 46	آل عمران 78	آل عمران 91	
	(آل عمران من 158 إلى نهايتها والبقرة من 1 إلى 29)				
833	البقرة 47	البقرة 54	آل عمران 92	آل عمران 108	
834	البقرة 55	البقرة 60	النساء 1	النساء 10	
835	البقرة 61	البقرة 66	النساء 11	النساء 14	
836	تسميع من البقرة 19 إلى البقرة 60				
837	البقرة 67	البقرة 74	النساء 15	النساء 23	
838	البقرة 75	البقرة 82	النساء 24	النساء 33	
839	البقرة 83	البقرة 86	النساء 34	النساء 44	
840	البقرة 87	البقرة 91	النساء 45	النساء 59	

841	اختبار في نصف جزء (البقرة من 30 إلى 88)				
842	اختبار في ما يعادل جزءاً (آل عمران من 158 إلى نهايتها والبقرة من 1 إلى 88)				
843	البقرة 92	البقرة 100	النساء 60	النساء 74	
844	تسميع من البقرة 61 إلى البقرة 91				
845	البقرة 101	البقرة 103	النساء 75	النساء 86	
846	البقرة 103	البقرة 110	النساء 87	النساء 94	
847	البقرة 111	البقرة 117	النساء 95	النساء 105	
848	البقرة 118	البقرة 123	النساء 106	النساء 121	

849	البقرة 124	البقرة 131	آل عمران 109	آل عمران 121	
850	تسميع من البقرة 92 إلى البقرة 123				
851	البقرة 132	البقرة 139	آل عمران 122	آل عمران 140	
852	البقرة 140	البقرة 143	آل عمران 141	آل عمران 153	
853	اختبار في نصف جزء (البقرة من 89 إلى 141)				
854	البقرة 144	البقرة 148	آل عمران 154	آل عمران 165	
855	البقرة 149	البقرة 157	آل عمران 166	آل عمران 180	
856	البقرة 158	البقرة 164	آل عمران 181	آل عمران 191	

857	تسميع من البقرة 124 إلى البقرة 157				
858	البقرة 165	البقرة 171	آل عمران 192	آل عمران 200	
859	البقرة 172	البقرة 177	البقرة 1	البقرة 29	
860	البقرة 178	البقرة 184	البقرة 30	البقرة 57	
861	البقرة 185	البقرة 187	النساء 122	النساء 134	
862	البقرة 188	البقرة 195	النساء 135	النساء 147	
863	تسميع من البقرة 158 إلى البقرة 187				
864	اختبار في نصف جزء (البقرة من 142 إلى 190)				
865	اختبار في ما يعادل جزءاً (البقرة من 89 إلى 190)				

866	البقرة 196	البقرة 199	النساء 148	النساء 162	
867	البقرة 200	البقرة 206	النساء 163	النساء 176	
868	البقرة 207	البقرة 213	آل عمران 1	آل عمران 15	
869	البقرة 214	البقرة 217	آل عمران 16	آل عمران 29	
870	البقرة 218	البقرة 221	آل عمران 30	آل عمران 45	
871	تسميع من البقرة 188 إلى البقرة 217				
872	البقرة 222	البقرة 228	آل عمران 46	آل عمران 61	
873	البقرة 229	البقرة 231	آل عمران 62	آل عمران 77	
874	البقرة 232	البقرة 234	آل عمران 78	آل عمران 91	
875	البقرة 235	البقرة 239	آل عمران	آل عمران	

			92	108	
876	البقرة 240	البقرة 246	البقرة 58	البقرة 76	
877	تسميع من البقرة 218 إلى البقرة 239				
878	اختبار في نصف جزء (البقرة من 191 إلى 245)				
879	البقرة 247	البقرة 249	البقرة 77	البقرة 93	
880	البقرة 250	البقرة 253	البقرة 94	البقرة 112	
881	البقرة 254	البقرة 257	البقرة 113	البقرة 134	
882	البقرة 258	البقرة 260	البقرة 135	البقرة 153	
883	البقرة 261	البقرة 265	البقرة 154	البقرة 176	
884	تسميع من البقرة 240 إلى البقرة 260				
885	البقرة 266	البقرة 270	آل عمران 109	آل عمران 121	

886	البقرة 273	البقرة 274	آل عمران 122	آل عمران 140	
887	البقرة 275	البقرة 280	آل عمران 141	آل عمران 153	
888	البقرة 281	البقرة 283	آل عمران 154	آل عمران 173	
889	البقرة 284	البقرة 286	آل عمران 174	آل عمران 194	
890	تسميع من البقرة 261 إلى البقرة 286				
891	اختبار في نصف جزء (البقرة من 246 إلى نهايتها)				
892	اختبار في ما يعادل جزءاً (البقرة من 191 إلى نهايتها)				
893	-		آل عمران	البقرة 16	

		195		
894	-	البقرة 17	البقرة 37	
895	-	البقرة 38	البقرة 57	
896	-	البقرة 177	البقرة 190	
897	-	البقرة 191	البقرة 210	
898	-	البقرة 211	البقرة 224	
899	-	البقرة 225	البقرة 237	
900	-	البقرة 238	البقرة 252	
901	-	البقرة 253	البقرة 264	
902	-	البقرة 265	البقرة 277	
903	-	البقرة 278	البقرة 286	
904	-	البقرة 58	البقرة 76	
905	-	البقرة 77	البقرة 93	

906	-	البقرة 94	البقرة 112	
907	-	البقرة 113	البقرة 134	
908	-	البقرة 135	البقرة 153	
909	-	البقرة 154	البقرة 176	
910	-	البقرة 177	البقرة 190	
911	-	البقرة 191	البقرة 210	
912	-	البقرة 211	البقرة 224	
913	-	البقرة 225	البقرة 237	
914	-	البقرة 238	البقرة 252	
915	-	البقرة 253	البقرة 264	
916	-	البقرة 265	البقرة 277	
917	-	البقرة 278	البقرة 286	

الرقم	المحتوى	
918	يعطى الطالب فرصة لمراجعة الأجزاء الخمسة التي حفظها ويتأهب للاختبار	
919		
920		
921		
922		
923	اختبار شامل في الأجزاء الخمسة (من النساء إلى البقرة)	
924	يعطى الطالب فرصة لمراجعة	
925		
926		

927	أول عشرة أجزاء حفظها ويتأهب للاختبار	
928		
929		
930		
931		
932		
933		
934	اختبار شامل في الأجزاء العشرة (من الناس إلى العنكبوت)	
935	يعطى الطالب فرصة لمراجعة	
936		
937		

938	ثاني عشرة أجزاء حفظها ويتأهب للاختبار	
939		
940		
941		
942		
943		
944		
945	اختبار شامل في الأجزاء العشرة (من القصص إلى يونس)	
946	يعطى الطالب فرصة لمراجعة	
947		
948		

949	آخر عشرة أجزاء حفظها ويتأهب للاختبار	
950		
951		
952		
953		
954		
955		
956	اختبار شامل في الأجزاء العشرة (من التوبة إلى البقرة)	
957		
958		
959		

960	يعطى الطالب فرصة لمراجعة شاملة لجميع أجزاء التي حفظها ويتأهب للاختبار النهائي	
961		
962		
963		
964		
965		
966		
967		
968		
969		
970		
971		

<table>
<tr><td>972</td><td rowspan="12">يعطى الطالب فرصة لمراجعة شاملة لجميع أجزاء التي حفظها ويتأهب للاختبار النهائي</td><td></td></tr>
<tr><td>973</td><td></td></tr>
<tr><td>974</td><td></td></tr>
<tr><td>975</td><td></td></tr>
<tr><td>976</td><td></td></tr>
<tr><td>977</td><td></td></tr>
<tr><td>978</td><td></td></tr>
<tr><td>979</td><td></td></tr>
<tr><td>980</td><td></td></tr>
<tr><td>981</td><td></td></tr>
<tr><td>982</td><td></td></tr>
<tr><td>983</td><td></td></tr>
</table>

<table>
<tr><td>984</td><td rowspan="12">يعطى الطالب فرصة لمراجعة شاملة لجميع أجزاء التي حفظها ويتأهب للاختبار النهائي</td><td></td></tr>
<tr><td>985</td><td></td></tr>
<tr><td>986</td><td></td></tr>
<tr><td>987</td><td></td></tr>
<tr><td>988</td><td></td></tr>
<tr><td>989</td><td></td></tr>
<tr><td>990</td><td></td></tr>
<tr><td>991</td><td></td></tr>
<tr><td>992</td><td></td></tr>
<tr><td>993</td><td></td></tr>
<tr><td>994</td><td></td></tr>
<tr><td>995</td><td></td></tr>
</table>

996		
997		
998		
999		
1000	اختبار شامل للقرآن الكريم (من الفاتحةإلى الناس)	

ثبت المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: القرآن وعلومه:

- القرآن الكريم.

- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، دار التراث ، القاهرة.

- أخلاق حملة القرآن ، الآجري ، دار الكتاب العربي ، لبنان.

- التبيان في آداب حملة القرآن ، أبو زكريا النووي ، الوكالة العامة للتوزيع ، دمشق ،ط1 1403هـ

- تدبر القرآن ، سليمان السنيدي ، المنتدى الإسلامي ،ط1 ، 1422هـ.

- التعبير القرآني والدلالة النفسية ، د. عبدالله الجيوسي ، دار الغوثاني ، دمشق ، ط2 ،2007.

- تفسير القرآن العظيم ، الحافظ ابن كثير ، دار طيبة ، ط2 ، 1420هـ.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط1 ، 2000م.

- خصائص القرآن الكريم ، فهد بن عبد الرحمن الرومي ، مركز تفسير للدراسات القرآنية ، ط10 ، 1420هـ / 2000م.

- عظمة القرآن الكريم ، محمود الدوسري ، دار ابن الجوزي ، ط1 ، 1426هـ.

- فتح من الرحمن الرحيم في بيان كيفية تدبر كلام المنان ، د. أحمد منصور آل سبالك ، المكتب الإسلامي ، ط1 ، القاهرة.

- فضائل القرآن ، أبو عبيد القاسم الهروي ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط2 ،1410هـ.

- فضائل القرآن ، الفريابي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط2 ، 1421.

- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله تعالى ، عبدالرحمن حسن حبنكة ، دار القلم ، دمشق ، ط2 ، 1409.

- الكشاف ، الزمخشري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط3 ، 1407هـ.

- كيف نتعامل مع القرآن ، محمد الغزالي ، دار الوفاء ، مصر ، ط2 ، 1421هـ.

- كيف نتعامل مع القرآن ، يوسق القرضاوي ، دار الشروق ، مصر.

- كيف ننتفع بالقرآن ، أحمد الأميري ، مؤسسة الريان ،بيروت.

- مع أشراف الأمة حملة القرآن ، محمد حسين الرنتاوي ، ط2، 1427هـ.

- مع القرآن وحملته في حياة السلف ، عبيد بن أبي نفيع الشعبي ، دار الوطن ، الرياض ط2 ، 1417هـ.

- مفاتيح تدبر القرآن ، خالد اللاحم ، المؤلف نفسه ، ط11425هـ.

- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر ، د. مساعد بن سليمان الطيار ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط1 ، 1423هـ.

- مفهوم التدبر " تحرير وتأصيل " ، اللجنة العلمية بمركز تدبر ،الرياض ، ط2 ، 1434هـ .

- منهج الاستنباط من القرآن ، د. فهد بن مبارك الوهبي ، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الشاطبي ، جدة ، ط1 ، 1428هـ.

- منهج السلف في العناية بالقرآن ، د. بدر لن ناصر البدر ، دار الضياء الخيرية ، ط1 ، 1428هـ.

ثانياً: السنة وعلومها:

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، مؤسسة الرسالة ، دمشق ، ط1 ، 1408هـ

- سنن الترمذي ، تحقيق أحمد شاكر ، دار إحياء التراث ، بيروت.

- سنن الدارمي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط1 ، 1420هـ

- سنن أبي داود ، دار الفكر ، بيروت.

- سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر ، بيروت.

- صحيح البخاري ، مكتبة العبيكان ، الرياض، ط 1417هـ

- صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط1 ، 1412هـ

- المستدرك على الصحيحين ، الحاكم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1411هـ

- مسند الإمام أحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، 1420هـ

- مصنف ابي أبي شيبة ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط2 ، 1409هـ

- مصنف عبد الرزاق ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 1403هـ

ثالثاً: اللغة وعلومها:

- التعريفات للشيف علي بن محمد الجرجاني ، دار الشروق ، ط3 ، 1399هـ.

- المخصص ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- أساس البلاغة ، الزمخشري ،تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1419هـ .

- تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي ، تحقيق عبد العليم الطحاوي ، دار الهداية ، 1400هـ .

- تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق رياض زكي قاسم ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.

- الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري.

- لسان العرب ، محمد بن منظور ، دار صادر ، بيروت.

- المع جم الو سيط ، د. إ براهيم أ نيس، د. ع بد الح ليم منت صر ،وعط ية الصوالحي، ومحمد خلف.

- معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبدالسلام هارون ، اتحاد الكتاب العربي ، 1423هـ.

- معجم العين ، الخليل بن أحمد الفراهيد ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

رابعاً: كتب السيرة والتاريخ:

- البداية والنهاية – ابن كثير – دار الريان ، القاهرة ، ط8، 1140 هـ

- حياة الصحابة للدهلوي ، شركة الرياض ، ط1 ، 1998م.

- سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، ط4 ، 1406هـ

- السيرة النبوية لابن هشام ، دار التراث العربي ، القاهرة.

خامسا: كتب عامة:

- إحياء علوم الدين ، الغزالي ، دار الحديث ، ط1 ، 1412هـ.

- زاد المهاجر إلى ربه (الرسالة التبوكية) ، ابن القيم الجوزية ، مكتبة المدني ، جدة.

- الفوائد ، ابن القيم الجوزية ، تحقيق محمد عزير شمس ، دار عالم الفوائد ، ط3.

- مدارج السالكين في منازل السائرين ، ابن قيم الجوزية ، محمد أجمل الإصلاحي ، محمد عزير شمس ، نبيل بن نصار السندي ، علي بن محمد العمران ، دار عالم الفوائد .

- مفتاح دار السعادة ، ابن القيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ، صالح بن عبد الله بن حميد ، عبد الرحمن بن ملوح ،دار الوسيلة .


رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي

